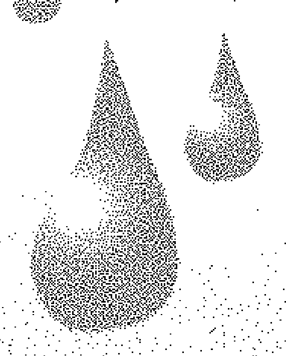
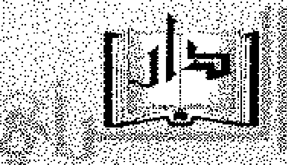
صالح الورداني



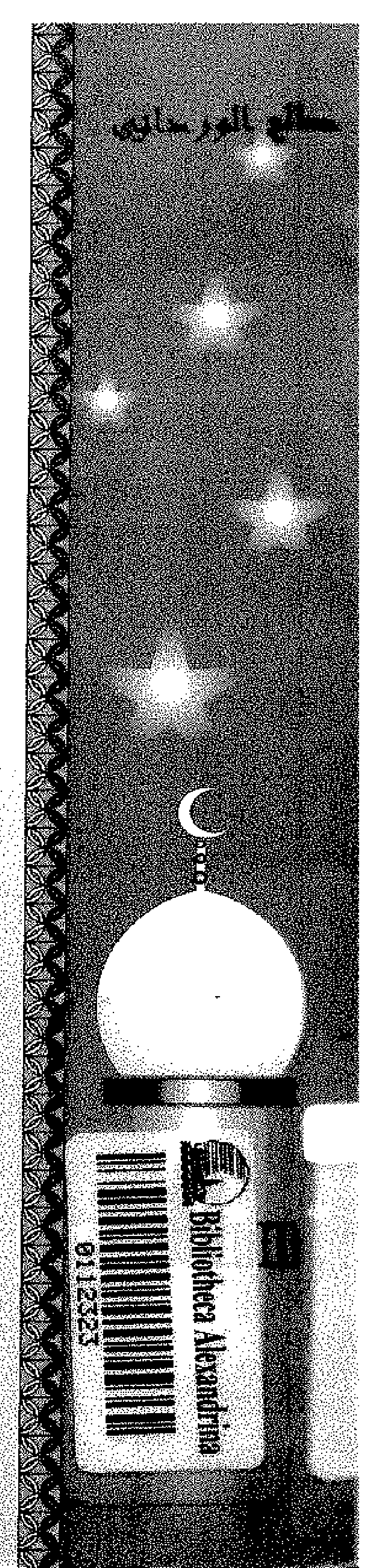
السيف والسياسة

صراع بين الإسلام النبوي والإسلام الأموي





للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان



السيف والسياسة

في الاسلام

الصراع بين الاسلام النبوي والاسلام الأموي

رقم الايداع : ١١٧٦٧ / ٩٥
الترقيم الدولي : 6 - 8 - 0 5659 - 977

السيف والسياسة في الاسلام

الصراع بين الاسلام النبوي والاسلام الأموي

الكاتب المصري
صالح الورداني



للطباعة والنشر والتوزيع

الطبعة الأولى
١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وما محمد الإ رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات
أو قتل انقلبتم علي اعقابكم ومن ينقلب على عقبيه
فلن يضر الله شيئا وسيجزى الله الشاكرين ﴾

[آل عمران آية ١٤٤]

تقديم

كنت قد أعلنت عن هذا الكتاب منذ عدة سنوات تحت عنوان: «صفين». رؤية جديدة لحركة التاريخ. وكانت خطة الكتاب تقتضي بحث الصراع الذى دار بين الامام على ومعاوية ونتائج هذا الصراع وانعكاساته على واقعنا..

إلا انني عندما خضت فى الوقائع والأحداث التاريخية تبين لى أن وقعة صفين لم تكن سوى واجهة لأحداث أكبر انبنت على أساسها وتولدت منها.

من هنا فقد عدت إلى الوراء لأبحث فى أمر عثمان. والبحث فى أمر عثمان دفعنى إلى البحث فى أمر عمر. والبحث فى أمر عمر دفعنى إلى البحث فى أمر أبى بكر حتى وصلت إلى الرسول(ﷺ) لاكتشف أن الانحراف بدأ مع احتضاره وأن صفين بدأت من هنا..

ومنذ وفاة الرسول(ﷺ) بدأت السياسة يساندها السيف تلعب لعبتها لتبرز لنا الخط القبلى الذى أرسى دعائمه ابو بكر وعمر والذى قام على أساسه الخط الأموى فيما بعد..

لم تكن صفين سوى نهاية الطريق بالنسبة لمسيرة الإسلام القبلى الذى ساد بعد وفاة لرسول(ﷺ). وأن فقه صفين يتوقف على فقه مرحلة احتضار الرسول..

لقد برز بعد وفاة الرسول خطان:

خط سار فى طريق القبلية نتج من سقيفة بنى ساعدة..

وخط سار فى طريق آل البيت وتحالف مع الأمام على..

الخط الأول مثل الإسلام القبلى..

والخط الثانى مثل الإسلام النبوى..

وان الصراع قد احتدم بين الإسلام القبلى والإسلام النبوى فور وفاة وان كان الإسلام القبلى قد تحققت له السيادة فقد بقى الأسلام النبوى فى ساحة المواجهة..

تارة يصارع السيف..

وتارة يصارع السياسة..

وتارة يصارعهما معاً . .

إن الهدف من هذه الدراسة هو بعث الدعوة الى إعادة كتابة التاريخ الاسلامي وإعادة قراءته من جديد فمن الواضح أن هذا التاريخ قد صبغته السياسة وطغى فيه الرجال على النصوص وتغلبت فيه النزعات على القيم الاسلامية . .

ولقد استمر المسلمون منذ وفاة الرسولﷺ وحتى اليوم يرصدون حركة التاريخ بعين واحدة . هي عين القداسة دون أن ينظروا إليها بعين النقد . .

ومنبع هذه النظرة يكمن في تلك الاغلال السلفية التي طوق بها المسلمون والتي تحول دون رؤيتهم لحركة التاريخ بصورة متكاملة بمعزل عن القداسة ألتي أضفيت على رموز وشخصيات معينة لعبت دوراً بارزاً في دائرة هذه الحركة . ونحن لا نهدف من خلال هذه الدراسة الى التجريح أو الطعن والتشويه وهدم رموز معينة هي محل قداسة المسلمين ولكن الهدف هو وضع النصوص فوق الرجال ثم وزن هؤلاء الرجال على ضوء هذه النصوص . .

ما نهدف إليه هو أن نرسي قاعدة تعيننا على قراءة التاريخ قراءة متبصرة من خلال النصوص لامن خلال الرجال . .

ان البحث في وقائع التاريخ يجب أن تكون له دلالاته الواقعية . وما طرحناه في هذه الدراسة إنما له انعكاساته على واقعنا وما نعايشه من خلال واقع الاسلاميين والفكر الاسلامي بصورة عامة . .

وما يجب أن يدركه الذين يتصدون لأمر الدعوة والتوجيه في الميدان الاسلامي أن فقه حركة التاريخ مقدمة ضرورية لفقه الاسلام . .

وان فقه الماضي مقدمة لفقه الحاضر .

ومن الماضي إلى الحاضر كانت رحلة هذا الكتاب الذى ارجو أن يكون خطوة على طريق تحرير العقل المسلم من اغلال الماضي . .

صالح الورداني

القاهرة يناير ١٩٩٦م

المحطة الأولى

وفاة الرسول

وأطلت الفتنة برأسها والرسول
لا زال على فراش المرض..

منذ أن بدأ المرض يشتد برسول الله(ﷺ) وبدأت الفتنة تبرز على ساحة المدينة بين قطاعات المهاجرين والأنصار. تلك القطاعات التى كانت تهيأ نفسها لاستثمار مرحلة ما بعد الرسول..

كانت زعامات قريش التى أطاح بها الإسلام فى مرحلة الفتح ترقب من بعيد البيت النبوى وتطورات مرض الرسول..

وكانت قطاعات المهاجرين فى المدينة تتداول الأمر فيما بينها على ضوء وصية الرسول فى حجة الوداع وما تنزل من القرآن فى أواخر حياته. وذلك بهدف وضع ملامح المرحلة القادمة. مرحلة ما بعد الرسول. وتحديد دورهم فيها..

وكانت الأنصار ترقب الاحداث فى توجس خوفاً من فقد مكانتها ووضعها الاستراتيجى بوفاة الرسول..

وكان المنافقون يعدون العدة لإنهاء مرحلة السرية والتخفى وتجهيز أنفسهم للتكيف مع المرحلة الجديدة..

وكانت هناك فئة قليلة من المؤمنين منشغلة بالرسول ومستقبل الدعوة وردود الأفعال التى سوف تحدث بعد وفاته على مستوى المدينة وخارجها..

ويلاحظ من خلال استقراء الروايات التى تشخص لنا واقع المدينة أثناء مرض الرسول أن هناك ضغوطاً كان يواجهها الرسول من فئات مختلفة لها توجهاتها المختلفة. ويبدو أن هذه الضغوط كانت تتركز جميعها حول مسألة الخلافة والحكم ومثل هذه الضغوط لا تكون إلا إذا كان الرسول قد أشار أو حدد الأمر فى شخص أو جهة معينة كانت محل التنازع. فلو لم يكن الرسول قد أشار الى أحد لما كان هناك مبرر للاختلاف والتنازع أمامه. فالواجب الصبر حتى يقضى الله أمره. فإن عوفى كان بها. وإن توفاه الله اختاروا من بينهم من يقوم بالأمر..

إلا أن الروايات لا تقودنا إلى مثل هذه الاستنتاجات. وإنما تؤكد أن الرسول

كان يشغله مستقبل الدعوة وأمر الأمة من بعده ويريد أن يحدد لـها معالم الطريق حتى لا تضل وتشقى لكن هناك فئات ترى هذا الأمر يصطدم مع مصالحها ونفوذها ويهدد مكاسبها. فكانت تعمل على وضع العراقيل التى تحول دون تحقيقه..

والرسول كقائد يودع أمته يدرك أن هناك مجموعة من الاخطار تتهددها على مستوى الداخل والخارج لابد له من أن يضع خطة لمواجهتها..

لابد له من ان يتخذ بعض الخطوات على مستوى الخارج حيث الروم والفرس يتربصون بالإسلام والمسلمين..

ولابد له من اتخاذ خطوات على مستوى الداخل حيث يوجد المنافقون واليهود..

وعلى مستوى الخارج كان تجهيز جيش اسامة..

وعلى مستوى الداخل كان كتابة الوصية وخطبة الوداع..

خطبة الوداع :

هل يمكن أن تخلو خطبة رسول يودع امته ولا نبى بعده. من خطوط عريضة تسير عليها الامة من بعده..؟

ان الإجابة على هذا السؤال تدعونا إلى التأمل فى نصوص خطبة الوداع الواردة فى كتب السنن كما تدعونا إلى التأمل فى الآيات القرآنية التى ارتبطت بتلك الفترة..

وعلى رأس النصوص القرآنية التى ارتبطت بحجة الوداع قوله تعالى: يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس[1].

---

(١) سورة المائدة

فقد أشار كثير من المفسرين والفقهاء إلى ان مناسبة هذه الآية كانت حجة الوداع وان الأمر الصادر للرسول كي يبلغه للأمة كان يتعلق بمستقبل الدعوة من بعده..

يروى البخارى عن عائشة قالت: من حدثك أن محمداً كتم شيئاً مما انزل عليه فقد كذب والله يقول(يا أيها الرسول بلغ ما انزل إليك من ربك)[٢]

والسؤال الذى يطرح نفسه هنا هو: لماذا تقول عائشة هذا الكلام..؟

لا شك ان هناك مناسبة ما اضطرتها إلى قولها هذا..

ويبدو ان هناك من أكثر القول حول هذه الآية وان هناك شيئاً ما له أهميته نزلت به الآية..

ولا يعقل بل لا يجوز ان يوجه الاتهام إلى الرسول(ﷺ) بكتمان ما أنزل الله. فإن هذا الكتمان بكافة أحواله هو فى صالح المنافقين والقبليين واصحاب المصالح والاهواء. فما الذى يضطرهم إلى تكذيب الرسول واتهامه بالكتمان وهم يعلمون ان القرآن يتنزل على الرسول فاضحاً لهم وكاشفاً لنواياهم..

إذن الرسول لم يكتم شيئا وأبلغ الامة ما انزل إليه. لكن الكتمان جاء من أطراف أخرى. وهو ليس كتماناً لنصوص قرآنية بلا شك وإنما هو كتما لقول الرسول حول هذه النصوص ويبدو أن هناك اتجاه كان يؤمن بأن هذه الآية كانت تتعلق بوصية الرسول فيمن يخلفه من بعده. ولعل هذا يبرر قول عائشة الذى يشير إلى أن الآية لو كانت تشير إلى هذه القضية لبين الرسول ذلك وما كتمه.. وهو ما يبرر رواية عائشة الأخرى فى البخارى التى تقول منكرة وصية الرسول لعلى: متى أوصى إليه..؟ فلقد انخنث فى حجرى وما شعرت أنه مات. فمتى أوصى اليه..؟[٣]

وإذا ما استعرضنا النصف الآخر للآية الذى يقول: وان لم تفعل ما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس) تبين لنا ان هناك أمر جلل بلغ للأمة أوجب

---

(٢) البخارى. كتاب العلم.

(٣) البخارى كتاب الوصايا ومسلم كتاب الوصية..

طمئنة الرسول بسأن ردود الافعال من قبل المنافقين والقبلـيين وأصحاب الاهواء لن تضره شيئا وهو ما يمكن فهمه من قوله تعالى(والله يعصمك من الناس). .

والرسول تتنزل عليه الآيات بكثير من الاحكـام يبلغها للناس منذ سنوات فلماذا ارتبط تبليغ هذا الأمر الأخير بالعصمة من الناس. . ؟

وقوله تعالى: (اليوم اكملت لكم دينكـم. وأتممت عليكم نعمتى. ورضيت لكم الإسلام دينا)[٤]. من الآيات التى نزلت فى حجة الوداع كما روى الجمهور عن ابى سعيد الخدرى ان النبى(ﷺ) دعا الناس إلـى على فى يوم غديرخم. وأمر بما تحت الشجرة مـن الشوك فقام فدعا علـيا. فأخذ بضبعيـه فرفعها حتى نظـر الناس إلى بيـاض إبطـى رسول الله وعلـى. ثم لـم يتفـرقوا حـتى نزلـت هذه الآيـة. . ثم قال(ﷺ): مـن كنت مـولاه فعلي مـولاه. اللهـم وال من والاه وعاد مـن عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله. .[٥].

يروى البخارى أن رسول الله خطـب فى الناس فقال: ألا تدرون أى يوم هذا؟ قالوا الله ورسوله أعلم. قال: حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه. فقال: اليس بيوم النحر؟ قلـنا بلى يارسول الله. قال: أى بلـد هذا. . ؟ أليست بالبلـدة الحرام؟ قلنا بلى يارسـول الله قال: فإن دماءكم وأموالكم وأعـراضكم وأبشاركم علـيكم حرام كحرمة يومـكم هذا فى شهركم هذا. فى بـلدكم هذا. ألا هل بلغت. قـلنا نعم. قال اللهم فاشهد. فليبلغ الشاهد الغائب فإنه رب مبلغ يبلغه من هو أوعى له فكان كذلك. قال: لا ترجعوا بعدى كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض. .[٦].

وفى رواية: لا ترتدوا بعدى كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض. .[٧].

---

(٤) سورة المائدة. .

(٥) انظر كتب التفسير وأسباب النزول. والحديث رواه أحمد فى مسنده حـ ١١٨/١ واسناده صحيح.

(٦) البخارى. كتاب الفتن.

(٧) المرجع السابق. .

وعن جرير قال: قال لي رسول الله في حجة الوداع: استنصت الناس. ثم قال: لا ترجعوا بعدى كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض. .[8].

وروى مسلم: ايها الناس: اسمعوا قولي. فإنى لا أدرى لعلى لا القاكم بعد عامى هذا بهذا الموقف ابداً. أيها الناس. أن دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا. الا وان كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمى موضوع ودماء الجاهلية موضوعة وأن أول دم أضع من دمائنا دم ابن ربيعة بن الحارث وربا الجاهلية موضوع. واول ربا أضع ربا العباس بن عبد المطلب فإنه موضوع كله. .

أيها الناس. إن الشيطان قد يئس من أن يعبد بأرضكم هذه أبداً، ولكنه إن يطع فيما سوى ذاك فقد رضى به ما تحقرون من أعمالكم. فاحذوره على دينكم. أيها الناس: ان النسئ زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاماً ويحرمونه عاماً ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله ويحرموا ما أحل الله. وان الزمان قد استدار كهيأته يوم خلق الله السموات والأرض. السنة أثنا عشر شهراً. منها أربعة حرم. ثلاثة متواليات. ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذى بين جمادى وشعبان.

اتقوا الله في النساء. فإنكم إنما اخذتموهن بأمان الله واستحللتم فروجهم بكلمة الله.

ان لكم عليهن حقا. ولهن عليكم حقاً. لكم عليهن ان لا يوطئن فرشكم أحدا تكرهونه.

فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضرباً غير مبرح. ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف. فاعقلوا أيها الناس قولي فإنى قد بلغت. وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده ابداً ان اعتصمتم به: كتاب الله وسنه رسوله. .

يا أيها الناس: اسمعوا واطيعوا وإن أمر عليكم عبد حبشى مجدَّع ما أقام فيكم كتاب الله.

---

(٨) المرجع السابق. .

أيها الناس: اسمعوا قولي واعقلوه. تعلمن ان كل مسلم أخ للمسلم. وان المسلمين إخوة فلا يحل لامرىء من أخيه إلا ما اعطاه عن طيب نفس منه. فلا تظلموا أنفسكم. اللهم هل بلغت وانتم تسألون عني فما انتم قائلون. .؟(٩).

وروى ابن سعد: أرقاءكم. ارقاءكم. أطعموهم مما تأكلون واكسوهم مما تلبسون. وان جاءوا بذنب لا تريدون ان تغفروه. فبيعوا عباد الله ولا تعذبوهم. .(١٠)

وروى ابن اسحاق في سيرته نفس هذه الرواية كما رواها ابن سعد في طبقاته.

تروي كتب السنن ان الرسول(ﷺ) قال: اني أوشك أن أدعى فأجيب واني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي. وان اللطيف الخبير اخبرني أنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض. فانظروا كيف تخلفوني فيهما. .(١١)

وفي رواية: اني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي كتاب الله وعترتي أهل بيتي ولن يفترقا حتى يردا على الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما. .(١٢)

وفي رواية مسلم: ايها الناس. إنما أنا بشر يوشك ان يأتيني رسول ربي فاجيب واني تارك فيكم ثقلين: أولهما كتاب الله عز وجل فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله تعالى واستمسكوا به فحث على كتاب الله ورغب فيه. وقال: أهل بيتي. أذكركم الله في أهل بيتي. أذكركم الله في أهل بيتي. أذكركم الله في أهل بيتي(١٣). .

وفي رواية ان الامام علي نشد الناس في الرحبة قائلاً: من سمع رسول الله(ﷺ)

---

(٩) مسلم حـ ٤/ ٣٧. .

(١٠) الطبقات حـ ١/

(١١) مسلم بباب فضائل الامام علي. ورواه الطبراني في الاوسط وجمع الجوامع للسيوطي والترمذي باب مناقب آل البيت والهيثمي في مجمع الزوائد حـ/ ٩ ١٦٣. .

(١٢) الحاكم في المستدرك حـ ٣/ ١٤٦. وانظر مسلم. .

(١٣) مسلم باب فضائل الامام علي. وانظر الترمذي والنسائي والدارمي ومسند أحمد.

يقول فى غدير خُــم ـ موضع ماء خطب فيه الرسول أثـناء حجة الوداع ـ إلا قام. فقام من قـبل سعيد ستــة. ومن قبل زيد ستــة. فشهدوا أنهم سـمعوا رسول الله يقول لعلى يوم غدير خم: أليس الله أولى من المؤمنين. قالـوا: بلى. قال اللهم من كنت مولاه فعلى مولاه. اللهم وال من والاه وعاد من عاداه. .[١٤].

وعن البراء بن عازب قال: أقبلنا مـع رسول الله(ﷺ) فى السنة التى حج فنزل فى بـعض الطريـق. فأمر الـصلاة جامعـة. فأخذ بـيد علـى فقال: ألســت أولى بالمؤمنين من أنفسهـم. قالوا: بلى. قال: ألست أولى بكل مؤمن من نفسه؟ قالوا: بلى: قــال: فهذا ـ أى على ـ ولى مـن أنا مولاه. "اللهم وال مـن والاه وعاد من عاداه. .[١٥]

ويقول ابن تيمية عن أهل السنة: ويحبون أهل بيت رسول الله(ﷺ) ويتولونهم ويحفظون فيـهم وصية رسول الله حيث قال يوم غدير خم: أذكـركم الله فى أهل بيتى. .[١٦]

مناقشة الروايات :

من خلال عرض الروايات السابقة نلخّص إلى ما يلى:

ـ ان رواية البخارى قد حددت أمامنا عدة أمور مستقبليه:

الأول يتعلق بحفظ الدماء بين المسلمين. .

والثانى يتعلق بعدم الالتزام بالأول. .

والثالث يتعلق بشهادة الرسول. .

والسؤال الذى يطرح نفسه هنا هو: لماذا يركـز الرسول فى خطبة يودع فيها أمته على الدماء والـردة. ثم هو يبلغ ذلك ويشهـد عليه ليعلن براءته أمام الله كرسول ناصح لأمته. . ؟.

---

(١٤) مسند احمد. .

(١٥) المرجع السابق. .

(١٦) العقيدة الواسطية. ط القاهرة

إن هذا البلاغ إنما هو إشارة صريحة من قبل الرسول إلى قطاع من صحابته يبدو من مواقفهم وممارساتهم ما يدعو إلى هذا التحذير. .

ولعل هـذا هو المعلم الوحيد الذى تبرزه رواية البخارى فيما يتعلق بمستقبل الدعوة وحال الأمة بعد وفاة الرسول. .

ولا يوجد ما يبرر الصراع والتطاحن وشهر السيوف وضرب الاعناق بعد الرسول إلا الحكم والسعى نحو الفوز به. .

ولقد كانت ولاية ابى بكر سبباً مباشراً فى قيام صراع مسلح بين المسلمين حسمته السيوف بقسوة فيما سمى بقتال مانعى الزكاة. . .؟؟

وما ذكره البخارى هو جزء من خطبة الوداع أما بقيتها فقد شتتها كعادته بين الأبواب التى ترتبط بموضوعاتها. فالجزء الخاص منها بالربا وضعه فى باب الربا والجزء الخاص بالنساء وضعه فى باب يلائمه وهكذا. . وهذا من شأنه أن يضيع المفهوم العام لخطبة الوداع ويبدد أغراضها. .

أما رواية مسلم فهى رواية متكاملة حددت عدة معالم واضحة:

الأول : حفظ الدماء. .

الثانى : نبذ الجاهلية. .

الثالث : وضع الربا. .

الرابع : احترام النساء. .

الخامس : الاعتصام بالكتاب والسنة.

السادس : طاعة الحكام. .

السابع : حفظ الحقوق بين المسلمين. .

الثامن : البلاغ والشهادة. .

وكون أن الرسول يوصى أمته بحفظ الدماء ونبذ الجاهلية واحترام النساء وحفظ

الحقوق ووضع الربا فهذا أمر مقبول عقلاً. لكن الأمر الغير مقبول هو حضه على الاعتصام بالكتاب والسنة وطاعة الحكام..

فكان من الأولى أن يحض على الكتاب وحده فلم تكن السنة قد جمعت ولم تكن معروفة كمصدر للتشريع. حتى الكتاب ـ حسب رواياتهم ـ لم يكن قد جمع ولم يكن يحفظه إلا القلة القليلة من الصحابة. ويبدو أن إضافة السنة هنا هي من اختراع الرواة حيث أن هناك رواية أخرى لمسلم ذكر فيها الكتاب وحده ولم يذكر السنة..

أما طاعة الحكام فمن الواضح أنها من اختراع السياسة كي تمهد للأنظمة الحاكمة التي سوف تقوم بعد وفاة الرسول. وهي قضية مهدت لها عشرات الاحاديث الأخرى التي تلزم الأمة بطاعة الحكام وان كانوا فجاراً ينتهكون حرمات الناس.. (١٧).

وما رواه مسلم والبخاري وغيرهما إنما يتعلق بالشق الأول من خطبة الوداع. لكن هناك شق آخر للخطبة تفوق أهمّيته أهمية الشق الأول. خطبه الرسول في مكان آخر أثناء عودته من الحج مكان يدعى غدير خم بالقرب من المدينة..

وهذا الشق لم يروه البخاري إنما رواه مسلم وكتب السنن الأخرى. وهو محل جدل بين السنة والشيعة. حيث ان السنة تشكك فيه وان اعترفت به فهي تشكك في ابعاده والمراد منه. بينما الشيعة تعده من أقوى التصريحات النبوية على وصية الرسول للإمام علي والتي تؤكد ان الرسول وضع خطوطاً عريضة للأمة تهتدي بها بعد وفاته فيما يتعلق بالحكم والامامة وسائر أمور الدين..

وكون ان الرسول يوصي في حجة الوداع بكتاب الله وآل بيته فإن المسألة يكون لها مدلول آخر. وكونه يمسك بيد علي ويعلن أنه وليه ويدعو لمن والاه ويدعو على من عاداه فإن المسألة هنا تزداد وضوحاً..

---

(١٧) انظر البخاري ومسلم وكتب السنن وهي تكتظ بعشرات الأحاديث التي توجب طاعة الحكام وان جلدوا ظهور الناس وسلبوا أموالهم وعدم منابذتهم والخروج عليهم وان الخروج يوجب الحكم بالإعدام ويخرج المسلم من دائرة الإسلام. وانظر لنا عقائد السنة وعقائد الشيعة باب الإمامة..

ولعل هذا ما دفع بخصوص على من الصحابة إلى إنكار ما سمعوه من الرسول بحقه بعد وفاته عندما احتدم الصراع على الحكم. فقد كانت القبلية لا زالت مستحكمة في نفوس الناس آنذاك. كما ان المنافقون وهم قطاع بارز في المجتمع المدنى في حياة الرسول قد برز أكثر بعد وفاته. .

ويبدو أن هناك تحالف بين جبهة القبليين وجبهة المنافقين تم في مواجهة جبهة على وشيعته من الصحابة انتهت بهزيمة جبهة على. .

ويروى ان عليا شكى الناس لرسول الله(ﷺ) فقام الرسول خطيباً فقال: أيها الناس لا تشكوا عليا فوالله إنه لأخشن في ذات الله أو في سبيل الله. .[١٨].

والناس هنا بالطبع هم قطاع من الصحابة كان يتقول على على ويحسده على مكانته من الرسول وعلو شأنه في الإسلام. .

وقد حسم رسول الله هذا الأمر بالحكم على مبغضى الامام على وكارهيه بالنفاق فيما يروى على لسان على: عهد إلى النبى الأمى: أنه لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق. .)[١٩]

ويروى: كنا نعرف المنافقين على عهد رسول الله بأمرين: صلاة العتمه وبغض عليا. . ومثل هذه الروايات إنما تشير إلى أن الجبهة المعادية لعلى كان لها وجودها في حياة الرسول. كما ان الجبهة المناصرة له كان لها وجودها أيضاً. .

وابن تيمية وهو خصم لسلشيعة ولكل الخارجين على خط بنى أمية أقر بأن الرسول أوصى في غدير بأهل البيت وذكر قوله(أذكركم الله في أهل بيتى) في عقيدته الواسطية دون ذكر بقية كلام الرسول في على. .

وبالطبع فإن ابن تيمية لا يرى ولا يفهم من كلام الرسول هذا ما يفهمه أصحاب العقول من أنه دلاله على أحقيتهم بالإمامة والاتباع من بعده. وهذا الفهم لدور آل البيت هو الذى ساد بعد وفاة الرسول وانتصر له ابن تيمية وتلقفته الحكومات

---

(١٨) مسند أحمد جـ ٣/ ٨٦.

(١٩) سنن ابن ماجه باب فضائل اصحاب رسول الله. . ومثله في الترمذى ومسلم وأحمد.

منه حتى آل سعود اليوم ليصبح هو المفهوم السائد لدى مسلمى الحقبة النفطية المعاصرة. .[٢٠].

جيش أسامة

كثرت الروايات التى تتحدث عن جيش اسامة فى كتب السنن وكتب التاريخ. إلا ان هذه الروايات على كثرتها لم تكشف لنا السر وراء إصرار الرسول(ﷺ) على بعث هذا الجيش إلى الخارج فى مثل تلك الظروف التى كان يعيشها المجتمع المدنى آنذاك وهو يترقب وفاة الرسول ما بين ساعة وأخرى. .

لقد كان الرسول كثيراً ما يردد وهو على فراش المرض: أنفذوا بعث أسامة. أنفذوا بعث أسامة. .[٢١]

ان إصرار الرسول على ضرورة تحقيق هذا الأمر يكشف لنا عدة حقائق:

الأولى: ان هناك قوى تقف فى طريق تحرك هذا الجيش. .

الثانية: ان تحرك هذا الجيش له أهميته القصوى بالنسبة لحركة الدعوة. .

الثالثة: ان الرسول كان يتعجل خروجه. .

الرابعة: ما هى حكمة تولية فتى صغير على كبار الصحابة فى بعثه عسكرية هامة كهذه؟

يروى البخارى: استعمل النبى أسامة فقالوا فيه. . فقال النبى(ﷺ) قد بلغنى انكم قلتم فى اسامة وأنه احب الناس إلى. .

لماذا يقول الصحابة فى أسامة. وماذا يقولون فيه. .؟

هذا ما لم تخبرنا الرواية. إلا ان هناك رواية أخرى اكثر تفصيلا. .

عن ابن عمر قال ان رسول الله(ﷺ) بعث بعثاً وأمر عليهم أسامة بن زيد فطعن

(٢٠) انظر لنا العقل المسلم بين اغلال السلف وأوهام الخلف. وأيضا فقهاء النفط ويذكر أن فتاوى ابن تيمية الكبرى (٣٧) جزءاً طبعت على نفقة خادم الحرمين وتوزع مجاناً.

(٢١) انظر طبقات ابن سعد جـ ٣/٤.

الناس في إمارته. فقام رسول الله فقال: ان تطعنوا في إمارته فقد كنتم تطعنون في إمارة ابيه من قبل. وأيم الله ان كان لخليقا بالامارة وان كان لمن احب الناس إلي. وان هذا ـ اسامة ـ لمن أحب الناس إلي بعده. (٢٢)

والرواية الثانية تجلي لنا الموقف بصورة اكثر وضوحاً وهو ان هناك طعناً في اسامة ورفضاً لإمارته. وان هذا الموقف كان قد اتخذ مسبقاً من إمارة ابية في غزوة مؤتة التي استشهد فيها..

والسؤال الذي يفرض نفسه هنا: أليس الطعن في إمارة اسامه يعد طعناً في أمر الرسول الذي عينه..؟

وهل هذا الموقف كان يستركز في أسامة بشخصه أم في أهداف البعثة؟ ان الأمر على ما يبدو يتجاوز المسألة الشخصية ويشير إلى أن هناك قضية أخرى اكبر من أسامة ومن بعثته..

وكعادة الروايات التي تروى في كتب السنن خاصة الصحيحين وتتعلق بمواقف الصحابة وتجاوزاتهم. فإنها تكون مبتورة المعنى أولا تسمي الشخص أولا تفصل الحدث..

والهدف من وراء ذلك هو محاولة التمويه على الحقيقة وعدم إثارة الشبهات حول شخصيات معينة حتى لا تهتز في أعين المسلمين.. وهو أمر يعود أولاً واخيراً إلى أمانه الراوي.

انظر حديث عائشة: خرج رسول الله(ﷺ) في مرضه وهو مستند على رجلين أحدهما العباس ورجل آخر. وكان الرجل الآخر الذي لم تسمه عائشة هو علي. (٢٣)

وانظر حديث ابو هريرة: حفظت وعاءين عن رسول الله(ﷺ) وعاء بثثته. اما الآخر فلو بثثته لقطع هذا الحلقوم.. (٢٤).

---

(٢٢) البخاري باب بعث أسامة.

(٢٣) البخاري. كتاب المغازي. باب مرض النبي ووفاته. وانظر مسلم..

(٢٤) البخاري. كتاب العلم..

وانظر حديث ابن عباس: يوم الخميس وما يوم الخميس: اشتد برسول الله(ﷺ) وجعه. فقال ائتونى اكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده أبداً. فتنازعوا ولا ينبغى عند نبى تنازع. فقالوا ما شأنه أهجر. فذهبوا يردون عليه. فقال دعونى فالذى أنا فيه خير مما تدعونى إليه وأوصاهم بثلاث. قال: أخرجوا المشركين من جزيرة العرب. واجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم. وسكت عن الثالثة أو قال فنسيتها..

فالبخارى هنا لم يخبرنا من الذى قال عن الرسول: ما شأنه أهجر. وهى طعن فى الرسول وإتهامه بالتخريف والهلوسة.. ثم أنه لم يخبرنا عن الثالثة هل سكت عنها ابن عباس أم سكت عنها هو، وهو على ما يبدو من الرواية متأرجح بين ان يكون ابن عباس سكت عنها أو نسيها هو. كما فاته ان يذكر ان الذى طعن فى الرسول وهو على فراش المرض هو عمر بن الخطاب..

ومثل هذا الامر ينطبق على الروايات المتعلقة بجيش أسامة فقد ذكرت رواية البخارى: استعمل النبى أسامة فقالوا فيه..

وفى الرواية الثانية" فطعن الناس فى إمارته..

ولم يخبرنا البخارى من الذين قالوا فى أسامة ومن الذين طعنوا فى إمارته من الصحابة..؟ إن مثل هذا الأمر يطابق النهى عن الخوض فى خلافات الصحابة واعتبار ذلك من المحرمات ومن أصول العقيدة كما تنص على ذلك كتب العقائد. (٢٥)

فكلا الأمرين الهدف منهما التغطية على أحداث التاريخ التى تتعلق بالصحابة حتى لا تهتز صورتهم فى أعين المسلمين وتفقد الثقة فيهم وتكون النتيجة هى خروج المسلمين عن خط أهل السنة وخط الحكام على ماسوف نبين.

ومن المعروف أن جيش أسامة كان فيه كبار الصحابة وعلى رأسهم أبى بكر وعمر عدا الامام على الذى أبقاه الرسول (ﷺ) الى جواره..

---

(٢٥) انظر العقيدة الطحاوية والواسطية والعواصم من القواصم، وانظر لنا عقائد السنة وعقايد الشيعة باب الرجال،.

وهنا تتضح لنا معالم جديدة حول هذا الحدث.

ماذا كان يهدف الرسول من وراء تأمير فتى كأسامة على أبى بكر وعمر وكبار الصحابة ثم يصر على ضرورة خروجهم من المدينة فى أسرع وقت. وهو الذى على فراش الموت. ومن الممكن أن يتوفاه الله فى أية لحظة فلا يكون إلى جواره فى المدينة أحد من الصحابة لعل هذا الأمر أثار الريب فى نفوس الصحابة وجعلهم يتلكأون فى الخروج محتجين بصغر سن أسامة.

ولعل جواب الرسول (ﷺ): أن تطعنوا فى إمارته فقد كنتم تطعنون فى إمارة أبيه من قبل يشير الى شكه فى موقفهم مذكراً لهم أن هذا الموقف اتخذتموه من قبل من أبيه زيد ولم يكن زيد صغير السن..؟

إذن هؤلاء القوم كانوا يضمرون فى نفوسهم أمراً ويتحججون بحجج واهية كى لايخرجوا من المدينة. ولكن لماذا يريدون البقاء فى المدينة..؟

ان الجواب على هذا السؤال تكشفه لنا الرواية التى ذكرناها آنفاً وهى رواية يوم الخميس حين طلب الرسول (ﷺ) أن يكتب لهم كتاباً لايضلوا بعده. فهاجوا وماجوا وطعن بعضهم فى الرسول حتى يفوتوا عليه كتابة هذا الكتاب. فهذا الحدث قد كشف لهذه الطائفة التى يتزعمها عمر على مايبدو وعلى ماسوف نبين أن الرسول يضمر شيئا يتعلق بالأمر من بعده. فمن ثم هم لايريدون أن يفوتهم هذا الأمر.

ومما يؤكد هذا الظن أن الرسول (ﷺ) قد كرر هذا الموقف فى غزوة تبوك مع الامام على وصرح أمام الصحابة بمقالة فيه أثارت الريب فى نفوسهم..

يروى البخارى أن رسول الله (ﷺ) خرج إلى تبوك واستخلف عليا. فقال: أتخلفنى فى الصبيان والنساء؟ قال: ألا ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى. إلا أنه ليس نبى بعدى..[٢٦]

(٢٦) البخارى. كتاب فضائل الصحابة. باب مناقب على.

ولعل الصحابة تذكروا هذا النص حين أمرهم بالخروج في بعث أسامة وأدركوا أن الأمر يحمل أبعاداً أخرى تتعدى مسألة الخروج خاصة بعد أن رأوا الرسول قد استبقى عليا مع إصراره على خروجهم من المدينة.

ان بعث أسامة يكشف أمامنا قضية هامة وهي قضية التفضيل. تفضيل الصحابة على بعضهم. وتفضيل أبي بكر وعمر على الصحابة بل على الأمة. فإن هذا التفضيل لو كان حقيقة ماجعل رسول الله أسامة أميراً على أبي بكر وعمر وما استبقى علياً.. كما يكشف لنا من جهة أخرى أنه لو كان الرسول قد نص على استخلاف أبي بكر كما يقال ماوضعه على مقدمة الجيش بينما هو على فراش المرض الذي توفي فيه (*).

يقول ابن حجر: كان تجهيز أسامة قبل موت الرسول بيومين فندب الناس لغزو الروم في آخر صفر. ودعا أسامة فقال: سر الى موضع مقتل أبيك فأوطئهم الخيل فقد وليتك هذا الجيش.. فعقد الرسول لأسامة لواء بيده. وكان ممن انتدب مع أسامة كبار المهاجرين والأنصار فيهم أبو بكر وعمر وأبي عبيدة وسعد وسعيد وقتادة بن النعمان وسلمة بن أسلم ثم اشتد على الرسول وجعه: فقال انفذوا بعث أسامة. فتكلم في ذلك قوم منهم عياش بن أبي ربيعة المخزومي. فجهزه أبوبكر بعد أن استخلف.. (٢٧)

وقد أنكر ابن تيمية أن يكون أبو بكر وعمر كانا في بعث أسامة. لكن ابن حجر رد عليه وأورد عدد من الروايات التي تبطل قوله.. (٢٨)

وهنا يطرح أمامنا السؤال التالي: لماذا يحاول ابن تيمية نفي وجود أبوبكر وعمر في بعث أسامة..؟.

أليس وجودهما يعد امتثالا لأمر الرسول وهو شرف لهما..؟.

---

* ليست هذه المرة الأولى التي وضع فيها أبو بكر وعمر في هذا الموضع فقد سبق ان وضعهما الرسول ﷺ تحت إمرة عمرو بن العاص في غزوة ذات السلاسل. انظر البخاري. باب مناقب أبو بكر وشرح الرواية في فتح الباري جـ٧.

(٢٧) فتح الباري جـ ٨/ ١٥٢ كتاب المغازي باب ٨٧.

(٢٨) المرجع السابق.

لماذا يحاول ابن تيمية أن ينفي عنهما شرف الامتثال لطاعة الرسول والجهاد في سبيل الله؟.

إن ابن تيمية قد اتخذ هذا الموقف في معرض رده على العلامة الحلي أبرز علماء الشيعة المعاصرين له. وقد اضطر في مواجهته إلى التشكيك في حديث الثقلين المروي في صحيح مسلم وهو ما دأب ابن تيمية على فعله في مواجهة خصومه من العلماء داخل أهل السنة وخارجها خاصة من الشيعة. .(٢٩)

والطريف في هذا الأمر هو تجهيز أبو بكر للجيش بعد وفاة الرسول وبعثه إلى الروم. . يقول ابن حجر: ولما جهزه أبوبكر بعد أن استخلف سأله ـ أي أسامة ـ أن يأذن لعمر بالاقامة ـ في المدينة ـ فأذن. . تأمل. .(٣٠)

لماذا عمل أبو بكر على استثناء عمر من جيش أسامة. . ؟

لقد جهز أبو بكر الجيش امتثالا لأمر الرسول حيث أنه قد رفع شعاراً مفاده إنما أنا متبع ولسيت بمبتدع. . وعمد إلى تقليد الرسول في كل مواقفه وممارساته. . فإذا كان هو كذلك فلماذا عمل على استثناء عمر. أليس ذلك مخالفة لسنة الرسول وأمره. وهو قد استثنى نفسه بحكم تسلمه الخلافة فبأي حجة استثنى عمر. . ؟

هل يمكن أن نتهم أبوبكر بالسطحية في فهم النصوص إذ أن الغرض من بعث أسامة قد انتفى بوفاة الرسول واستخلافه. بينما هو يصر على خروجه ويستثنى منه عمر. أم أن أبابكر يحاول أن يموه على الهدف الحقيقي من بعثة أسامة؟

ولنترك القوم مع جيش أسامة على أبواب المدينة ينتظرون ويراقبون من بعد تطورات مرض الرسول (ﷺ) وهم بموقفهم هذا قد تحايلوا على أمر الرسول: فلا هم نفذوا أمره ولا هم ظاهرون أمامه. وبدا وكأنهم يوهمون الرسول أنهم خرجوا. .

هل مثل هذا السلوك يصح من إناس تخرجوا من مدرسة الرسول. . ؟

---

(٢٩) انظر منهاج السنة وهو رد على كتاب العلامة الحلي منهاج الكرامة في إثبات الولاية لآل البيت. . ط بيروت.

(٣٠) فتح الباري جـ ٨/ باب ٨٧ كتاب المغازي. .

بين المرض والوفاة

روى البخارى عن ابن عباس أنه قال: يوم الخميس.. وما يوم الخميس؟

اشتد برسول الله (ﷺ) وجعه: فقال: أئتونى أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً. فتنازعوا ولا ينبغى عند نبى تنازع: فقالوا ما شأنه أهجر استفهموه. فذهبوا يردون عليه. فقال دعونى فالذى أنا فيه خير مما تدعونى إليه. وأوصاهم بثلاث. قال أخرجوا المشركين من جزيرة العرب. وأجيزوا الوفد بنحو ماكسنت أجيزهم. وسكت عن الثالثة أو قال فنسيتها..

وفى رواية: لما حضر رسول الله (ﷺ) وفى البيت رجال: فقال النبى هلموا اكتب لم كتابا لاتضلوا بعده. فقال بعضهم أن رسول الله قد غلبه الوجع وعندكم القرآن. حسبنا كتاب الله. فاختلف أهل البيت واختصموا. فمنهم من يقول قربوا يكتب لكم كتاباً لاتضلوا بعده. ومنهم من يقول غير ذلك. فلما أكثروا اللغو والاختلاف. قال رسول الله: قوموا.

قال ابن عباس: ان الرزية كل الرزية ماحال بين رسول الله وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب لاختلافهم ولغطهم..[٣١]

وفى رواية ثالثة عن ابن عباس: لما اشتد بالنبى وجعه قال: أئتونى بكتاب أكتب لكم كتاباً لاتضلوا بعده. قال عمر: ان النبى غلبه الوجع وعندنا كتاب الله حسبنا. فاختلفوا وكثر اللغط. قال: قوموا عنى ولا ينبغى عندى التنازع. فخرج ابن عباس يقول: أن الرزية كل الرزية ماحال بين رسول الله وبين كتابه..[٣٢]

قال القرطبى وغيره أئتونى أمر وكان حق المأمور أن يبادر للامتثال. لكن ظهر لعمر مع طائفة أنه ليس على الوجوب وأنه من باب الارشاد إلى الأصلح فكرهوا أن يكلفوه من ذلك مايشق عليه فى تلك الحالة مع استحضارهم قول الله تعالى (مافرطنا فى الكتاب من شىء) وقوله: «تبيانا لكل شىء»..

---

(٣١) البخارى كتاب العلم وانظر كتاب المرضى. وانظر مسلم كتاب الوصية ومسند أحمد حـ ١/ ٣٥٥.

(٣٢) المراجع السابقة.

وقال الخطابي: إنما ذهب عمر إلى أنه لو نص بما يزيل الخلاف لبطلت فضيلة العلماء وعدم الاجتهاد..

وقال ابن الجوزي.. وإنما خاف عمر أن يكون مايكتبه في حالة غلبة المرض فيجد بذلك المنافقون سبيلا إلى الطعن في ذلك المكتوب..

ويقول ابن حجر معلقاً على قول ابن عباس: إن الرزية كل الرزية ماحال بين رسول الله وبين كتابه.. وليس الأمر في الواقع على مايقتضيه هذا الظاهر. بل قول ابن عباس المذكور إنما كان يقوله عندما يحدث بهذا الحديث. وجزم ابن تيمية في الرد على الرافضي - الحلي- بما قلته. ،إنما تعين حمله على غير الظاهر لأن عبيد الله بن عباس راوى الحديث تابعي من الطبقة الثانية لم يدرك القصة في وقتها لأنه ولد بعد النبي بمدة طويلة ثم سمعها من ابن عباس بعد ذلك بمدة أخرى.[٣٣]

وروت عائشة أن الرسول في حال احتضاره كان يقول: لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد[٣٤].

ويروى أن الناس قد ذكروا عند عائشة أن علياً كان وصياً. فقالت: متى أوصى إليه فقد كانت مسندته الى صدري (أو قالت حجري) فدعا بالطست.. فلقد انخنث في حجري وما شعرت أنه مات. فمتى أوصى إليه..؟[٣٥]

وروى عن عائشة أن رسول الله (ﷺ) كان اذا اشتكى نفث على نفسه بالمعوذات ومسح عنه بيده. فلما اشتكى وجعه الذى توفى فيه طفقت أنفث على نفسه بالمعوذات التى كان ينفث وأمسح بيد النبي عنه..

وقد أذن له في أن يمرض في بيت عائشة من قبل نسائه لما يعلمن من محبته لها وارتياحه إليها.[٣٦]

---

(٣٣) أنظر فتح البارى جـ ١٣/ ٣٣٦ وجـ ٨/ ١٣٢ وما بعدها وقول ابن حجر هذا يفتح باب الشك في طرق الرواية عند أهل السنة.

(٣٤) البخارى ومسلم.

(٣٥) البخارى ومسلم.

(٣٦) البخارى. كتاب المغازى. باب مرض النبي ووفاته.. وانظر مسلم.

وفي بيت عائشة إشتد به الوجع. وكان يـقول: أهريقوا على من سبع قرب لم تحلل أوكيتهن لعلي أعهد إلى النـاس. ثم خرج عاصباً رأسه بعد أن صب عليه الماء فجلس على المنبر ثم قال: أيها الناس ان آمن الناس على فى ماله وصحبته أبوبكر. ولو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكـر خليلا. ولكن إخوة الإسلام. لاتبقين فى المسجـد خوخه إلا خوخة أبى بـكر. وانى فرط لكم. وأنـا شهيد عليـكم. وإنى والله لأنظر إلى حوضى الآن. وانى أعطيت مفاتيح خزائن الأرض. وانى والله ما أخاف أن تشركوا من بعدى ولكن أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوا فيها.. (٣٧)

ويروى عن عائشة قـالت: قال لى رسول الله فى مرضه أدعـى لى أبا بكر أباك وأخاك. حتى أكتب كتابا فإنى أخاف أن يتمـنى متمن ويقول قائل: أنا أولى. ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر.. (٣٨)

ولما حـال المرض بيـن رسول اللـه وبين الخـروج قال: مـروا أبا بكـر فليـصل بالناس. فقالت عائشة: يارسول الـله: ان أبا بكر رجل أسيف (رقيق) وأنه إذا قام مقامك لم يكد يسمع الناس. فقال: أنـكم صواحب يوسف. مروا أبا بكر فليصل بالناس.. (٣٩)

ويروى عن عائـشة أنها قالت: ورأسـاه: فقال رسول الله (ﷺ) ذلـك لو كان وأنا حي واستغفر لـك وأدعو لك. فقال عائشة، واثكلتاه والـله أنى لأظنك تحب موتى ولو كان ذلك لظللت آخر يومك معرساً ببعض أزواجك..

فقال النبى: بل أنا وارأساه. لقد هممت أو أردت أن أرسل إلى أبى بكر فأعهد أن يقول القائـلون أو يتمنى المتمنون. ثـم قلت يأبى الله ويدفع المـؤمنون أو يدفع الله ويأبى المؤمنون.. (٤٠)

وإذا ماقمنا بمناقشة هذه النصوص المتعـلقة بمرض الرسرل ووفاته فسوف تتكشف

---

(٣٧) البخارى. كتاب المغازى. بـاب مرض النبى. وكتاب فضائل الصحابة. باب فـضل أبى بكر. (٣٨) مـسلم. كتاب فضائل الصحابة باب فضل أبى بكر. وانظر البخارى كتاب الأحكام باب الاستخلاف..

(٣٩) مسلم كتاب الصلاة. باب استخلاف الامام اذا عرض له عذر..

(٤٠) البخارى. كتاب الأحكام. باب الاستخلاف..

أمامنا بعض النتائج التى من الممكن أن تقودنا الى حل بعض النقاط الغامضة المتعلقة بوصية الرسول فرواية ابن عباس المتعلقة بطلب الرسول كتابة كتاب تهتدى به الأمة بعد وفاته التـزم أمامها أهل السنة بسياستـهم التبريرية المعتادة لذلـك السلوك وتلك المواقف المتناقضة مع روح الاسلام ومع العقل التى سلكها الصحابة وفى مقدمتهم عمر أمام نـبيهم مما هوَ واضح مـن خلال أقوالهم التـى عرضناها والتى تـرتكز فى صميمها على هدم أيـة محاولة لتفسير النص تفسيراً يمـس الصحابة ولو بشىء من النقد حتى لاتهتز صـورتهم فى أعين الناس فيفقدوا قدوتهم وتضيـع مثاليتهم حتى لو أدى ذلك إلى الجـام العقل وتكبيـله. فالعقل لايمثـل أهمية كبيرة عـندهم ولو كانوا يحترمونه ما اخترعوا كل تلـك القواعد التى تزجره عن الخوض فى خلافات الصحابة أو فى النصوص المنسوبة للرسـول الخاصة بطاعة الحكام أو تلك المتناقضة مع القرآن والتى هى صحيحة بطرقهم..[41]

وقد نـقل ابن حجـر أن المقصـود بالكتـاب فى حديـث ابن عبـاس هو تعيـين الخليفة[42].

وقال عياض : معنى كـلمة هجر التى ذكرها عمر: أفحش . يقال هجر الرجل اذا هذى. وأهجر إذا أفحش..[43]

إذا كان معنى كلمة هجر بهذه الصورة فهل يحق لصحابى أن يقولها لنبيه..؟

يقول ابن حجر: وقوع ذلك عن النبى (ﷺ) مسـتحيل لأنه معصوم فى صحته ومرضه لقوله تعالى (وما ينطق عن الهوى..)[44]

فهل كان عمر يجهل أن الرسول معصوماً..؟

وليت أهل الـسنة يسيرون فـى تأويل مواقف الصـحابة على أساس الـقرآن كما فعل ابن حجـر فى مواجهة موقف عمـر من الرسول.. لو فعلوا ذلـك لكانوا قد

(٤١) أنظر لنا العقل المسلم. وانظر العواصم من القواصم..

(٤٢) فتح البارى جـ ٢٠٦/١٣.

(٤٣) المرجع السابق..

(٤٤) المرجع السابق..

أغلقوا الباب في وجه السياسة الى الإبد. فقد استثمرت السياسة مواقف الصحابة أفضل استثمار. واشتقت من أحداث السقيفة ومواقف عمر وعثمان مابنيت على أساسه قواعد العلاقة بين الحاكم والمحكوم. .(٤٥)

إلا أن هذا الاستدلال الذى بناه ابن حجر على الآية يعد من فلتاته. فقد تابع أهل السنة فى مواقفهم التى تبرر أفعال الصحابة وممارستهم على أساس السياسة وعلى أساس كونهم عدول مجتهدون. .(٤٦)

والحق أن موقف عمر كان رزية كبيرة تسببت فى تعويق مسيرة الإسلام وضياع الأمة وشتاتها بين الحكام والفقهاء وأهل الأهواء. . وهو فعل يضاف إلى سيئات الرجل وليس محمدة له كما يحاول فقهاء التبرير تصوير ذلك.

والعقل لايقبل أن يحمل مثل هذا السلوك من قبل عمر على محمل الخير. أى خير في معارضة نبى؟ واذا اعتبرناه مجتهدا فهل يحق له الاجتهاد على أمر رسول الله. . ؟

وقول عمر حسبنا كتاب الله قول مغرض. فهو لم يكن من الحافظين لكتاب الله المسلمين بأحكامه وان كان مخترعو الأحاديث وفقهاء التبرير قد حاولوا أن يضفوا عليه صفة الفقيه المجتهد ويدل على ذلك موقفه بعد وفاة الرسول (ﷺ) حين ادعى عدم موته وهدد القائلين بموته وهو موقف لاينم عن علمه بطبيعة الرسالة ودور الرسول. ولم يتخذ هذا الموقف أحد سواه حتى جاء ابوبكر ففقهه بالآية. فقال كأني أسمعها أول مرة. .(٤٧)

ان موقف عمر ومن حالفه إنما يشير إلى أن هناك جبهة من الصحابة كانت ضد كتابة الوصية وموقف هذه الجبهة إنما ينبع من يقينها أن هذه الوصية ليست فى صالحها. اذ لايعقل أن ترفض أمة وصية نبيها فى احتضاره وهى تعلم أنه خاتم الرسل. فإن عدم وجود رسل من بعده يجعل الحاجة لهذه الوصية أشد وأكثر مصيرية.

---

(٤٥) سوف نبين هذا الأمر في الفصول القادمة. .

(٤٦) انظر العواصم وكتب العقائد. ويعتبر أهل السنة عدالة الصحابة من العقائد. .

(٤٧) انظر المحطة الثالثة

والسؤال الذى يطرح نفسه هنا هو: لماذا استجاب الرسول لعدم الكتابة وطرد الجميع.. وكان من الأولى له كرسول خاتم أن يصر على كتابها لكونها مسألة مصيرية تتعلق بمستقبل الاسلام والمسلمين..؟

إن الجبهة المعارضة لكتابة الوصية كانت تعلم بموقفها هذا أنها لن تحول بين الرسول وبين الوصية. فهى لن تستطع بحال أن تمنع الرسول من أداء مهمته لكونه مؤيد من قبل الله تعالى ومن مهمته أن يوصى أمته حال وفاته. فالوصية جزء من البلاغ الذى هو أساس مهمته والذى بعث من أجله..

لكن هناك فرق بين أن يكتب الرسول الوصية وبين أن يبلغها شفاهية. عندما يكتبها تكون حجة على المخالفين الى يوم الدين ويصبح من العسير تحريفها..

وعندما تكون شفاهية فهنا يكون الباب مفتوحاً للتأويل والتزييف. فإن تحريف القول أيسر من تحريف الكتاب..

وهذا هو هدف جبهة عمر أن تحول دون كتابة الوصية وليس منعها وهو ماحدث

دور عائشة :

ويلاحظ أن معظم الروايات الخاصة باحتضار الرسول ووفاته إن لم نقل جميعها تروى على لسان عائشة. ومثل هذا الأمر يثير في النفس تساؤلات عديدة.. أولها: لماذا اختصت عائشة بهذه الروايات دون غيرها من نساء النبى..؟ والإجابة على هذا التساؤل تدفعنا الى مناقشة حقيقتين تتعلقان بعائشة.

الأولى: تتعلق بفضائلها وموقعها من الرسولﷺ..

والثانية: تتعلق بموقفها من الامام على..

فبخصوص فضائلها فهى كما يرويها البخارى ومسلم وغيرهما تنقل على لسانها. أى ترويها هى عن نفسها كحال أبى هريرة الذى روى جميع فضائله عن نفسه. وهو أمر مرفوض عقلاً إذ أن الفضائل من المفروض أن يرويها عنها غيرها حتى تكون مقبولة عقلاً بينما يلاحظ أن فضائل الامام على يرويها عنه كثير من الصحابة ولم يروها هو عن نفسه.

والمتأمل فى الأحاديث التى تختص بفضائل عائشة يجد أن هذه الأحاديث لاتشير الى فضيلة بل ربما أشارت إلى العكس من ذلك.

لنتأمل على وجه المثال الأحاديث التى تروى على لسانها عن غيرتها من خديجة ومن نسوة الرسول عموماً..

روى مسلم عن عائشة أن الرسول (ﷺ) ذكر خديجة فغرت فقلت: وما تذكر من عجوز من عجائز قريش حمراء الشدقين هلكت فى الدهر فأبدلك الله خيرا منها. الى هنا تنتهى رواية مسلم. إلا أن هناك رواية أخرى رد فيها الرسول عليها قائلا: لا والله ما أبدلنى الله خيرا منها.

وروت عائشة: ماغرت للنبى على امرأة من نسائه ماغرت على خديجة لكثرة ذكره إياها وما رأيتها قط..[48]

وفى هذا رد كاف على عائشة وكون خديجة أفضل منها. وماذا يمكن أن تكون قد قدمت عائشة للدعوة من بذل وعطاء حتى تفضل خديجة؟ أنها لم تقدم شىء سوى كم كبير من الأحاديث التى خدمت الخط الأموى ونصرته على آل البيت.

وتأمل قول فقهاء التبرير فى الرواية المذكورة..

ينقل النووى شارح مسلم قولهم: الغيرة مسامح للنساء فيها لا عقوبة عليهن فيها لما جبلن عليه من ذلك ولهذا لم يزجر - أى الرسول - عائشة عنها.[49]

وقال القاضى: وعندى أن ذلك جرى من عائشة لصغر سنها وأول شبيبتها ولعلها لم تكن بلغت حينئذ..[50].

فإذا كان القوم يبررون تجاوزات عائشة مع الرسول بصغر سنها فبماذا يبررون مواقفها الأخرى. وهل صغر سنها يبرر لها أن تتجاوز حدودها مع الرسول؟.

---

(٤٨) مسلم كتاب فضائل الصحابة باب فضائل خديجة..

(٤٩) انظر شرح صحيح مسلم باب فضائل عائشة..

(٥٠) المرجع السابق.

وتأمل الرواية التى تقول ان عائشة اذا كانت راضية عن الرسول تقول ورب محمد وإذا كانت غاضبة عليه تقول ورب إبراهيم أى أنها إذا أغضبت من الرسول كانت لا تذكر اسمه. .(٥١)

هل هذا سلوك يليق بإمرأة نبى. .؟.

وكيف لها أن لاترضى عن رسول الله. .؟.

وماهو حكم من لايرضى عن رسول الله فى فقه القوم. .؟.

ان مثل هذا السلوك لايكون إلا من امرأة غير راشدة تلهو فى حجر رسول الله أو كما تقول الروايات تلعب بالبنات عند الرسول. .(٥٢)

ويروى مسلم عن عائشة أن نسوة النبى أوفدن إليه فاطمة (ع) وهو مضطجع معها تسأله على لسانهن العدل فى ابنة أبى قحافة. فقال الرسول (ﷺ): أى بنية الست تحبين ما أحب؟ فقالت: بلى. قال: فأحبى هذه (عائشة). .

فأرسل نسوة النبى بعد ذلك زينب بن جحش فسألت الرسول العدل فى ابنة أبى قحافة. ثم وقعت فى عائشة واستطالت عليها والرسول ساكت. وهنا هجمت عائشة على زينب وحسبما تقول الرواية على لسان عائشة: فلما وقعت بها لم أنشبها حتى أنحيت عليها. وفى رواية أخرى: فلما وقعت بها لم أنشبها أن أثخنتها غلبة. .(٥٣)

---

(٥١) مسلم باب فضائل عائشة.

(٥٢) يروى مسلم عن عائشة: كنت ألعب بالبنات فى بيته ـ بيت الرسول ـ وكانت تأتينى صواحبى فكن ينقمعن من رسول الله (ﷺ) فكان رسول يسربهن إلى. .

تأمل. هل كان الرسول متفرغاً لرعاية عائشة فى طفولتها واللعب معها. .؟

وهل طغى شوق الرسول إليها فدفعه إلى الزواج بها فى هذا السن الصغيرة وفى طبقات ابن سعد حـ ٨/ ٥٨ مايفيد أن رسول الله تزوج عائشة وكانت ثيباً يروى ابن سعد: خطب رسول الله عائشة فقال أبوبكر: يارسول الله إنى كنت قد أعطيتها مطعماً لإبنة جبير فدعنى حتى استلها منهم فاستلها منهم فطلقها فتزوجها رسول الله. .

(٥٣) مسلم فضائل عائشة.

والمتأمل فى هذه الرواية يتبين له كم هى تحط من قدر الرسول وتظهره بمظهر الرجل المنشغل بنسائه المتعلق بهن المشغول بمشاكلهن الشغوف بابنة أبى بكر بحيث لايفارق خدرها ولا يمل جوارها . .

وكيف يطالب الرسول بالعدل وهو الذى بعث لتحقيقه بين الناس . . ؟

واذا كان الرسول عاجز عن تحقيق العدل بين نسائه وقد قرب عائشة على حسابهن أليس من الأولى أن يكون عاجزا عن تحقيق العدل بين الناس . . ؟

ان هذا الصدام بين إمرأتين من نساء الرسول على مشهد منه بينما هو يواجهه بالتبسم قائلاً لزينب : إنها ابنة أبى بكر . ليدل على تهاون من قبل الرسول واصرار منه على تقديم عائشة وظلم بقية نساءه . وكيف لنا أن ننسب الى الرسول هذا اللهم لاتؤاخذنا . لكنها روايات القوم . .

ولنتأمل رواية ثالثة على لسان عائشة تكشف لنا مدى إنشغال الرسول بها حتى وهو مع نساءه فى ليلتهن : تقول الرواية : ان كان رسول الله (ﷺ) ليتفقد ـ نساءه ـ يقول أين أنا اليوم؟ أين أنا غدا . ؟ ـ استبطاءً ليوم عائشة ـ . . (٥٤) .

إن الرسول بهذه الصورة التى تصورها لنا هذه الرواية ليس إلا مجرد عاشق ولهان ليس على لسانه سوى عائشة كما ليس فى قلبه سواها . وما علاقته بنساءه الآخريات سوى علاقة فاترة لا نشوة لها ولا أثر . فإن النشوة والأثر لايكون إلا مع عائشة فهل يرتضى مسلم أن يكون رسوله بهذه الصورة الفاضحة . . ؟ .

ثم ان هذه الرواية كما تؤكد عائشة كانت قبل وفاة الرسول بساعات قليلة أى أن عمر الرسول وقتها قد جاوز الستين ببضع سنين بينما هى لم تتجاوز الثمانية عشر عاماً . فهل يعقل أن شيخاً فى مثل هذا السن يكون متعلقاً بالنساء إلى هذا الحد . . ؟

تقول عائشة استكمالا للرواية السابقة : فلما كان يومى قبضه الله بين سحرى ونحرى . . أى أن الرسول بعد أن أفلت من نساءه وظفر بعائشة توفاه الله دون أن يقضى وطره منها . أى أن الرسول مات فى حضن عائشة . .

---

(٥٤) مسلم والبخارى

هل يمكن أن يحتمل العقل والوجدان المسلم مثل هذه الوقاحة فى حق نبيه..؟

ويروى البخارى نفس الرواية السابقة بشيء أكثر فجاجة وتعرية للرسول أن رسول الله (ﷺ) لما كان فى مرضه جعل يدور فى نسائه ويقول أين أنا غدا..؟ حرصا على بيت عائشة. قالت عائشة: فلما كان يومى سكن(٥٥)

وهذه الرواية كأنها تقول لنا أن الرسول رغم مرضه كان شغوفا بالجنس والطواف على نسائه اللواتى لم يشبعن شغفه حتى جاء الى عائشة فتتحقق له السكن معها وهذا التفصيل الفاضح لم تكشفه رواية مسلم السابقة..

ويروى مسلم عن عائشة أن الناس كانوا يتحرون بهداياهم يوم عائشة يبتغون بذلك مرضاة رسول الله (ﷺ).. (٥٦)

وهذه الرواية تكشف لنا أن علاقة الرسول بنسائه كانت على الملأ. حتى أن الناس كانوا يعرفون يوم عائشة من بين الأيام الأخرى التى يطوف فيها على نسائه

وهذا يعنى أن حركة الرسول بين نسائه كانت تحت رقابة الناس انتظاراً ليوم عائشة فيهرعون نحوها بهداياهم تقربا للرسول..

إن هذا الحديث يشير إلى دلالة خطيرة وهى أن الطريق إلى رضا الرسول يكون بواسطة عائشة. وهذا يعنى أن عائشة سيطرت على قلب الرسول ووجدانه وأحاسيسه للدرجة التى جعلتهم يستثمرون هذا الحب فى كسب رضا الرسول عن طريق رشوة عائشة بهداياهم. مما يعنى بطريق غير مباشر رشوة الرسول الذى تصوره الرواية أنه يغضب لغير الله ويرضى لغيره سبحانه وبواسطة عائشة يكسب الناس رضاه. فهل سيطرت عائشة على الرسول إلى هذا الحد..؟

ان البخارى يروى نفس هذه الرواية بشيء من التفصيل. تقول الرواية: ان نساء النبى اجتمعن بأم سلمة بسبب أن الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة وقلن للرسول: انا نريد الخير كما تريده عائشة. وطلبن من الرسول أن يأمر الناس أن يهدوا إليه حيث كان أو حيث دار. فذكرت أم سلمة الأمر للرسول ثلاثاً وهو

---

(٥٥) البخارى كتاب فضائل الصحابة. باب فضل عائشة..

يعرض عنها ثم أجابها في الثالثة بقولـه: يا أم سلمة لاتؤذيني في عائشة فإنه والله مانزل علي الوحي وأنا في لحاف إمرأة منكن غيرها. .(٥٧)

وظاهر الرواية يفيد أن نسوة النبي استفزهن أمر الهدايا فاجتمعن لهذا الغرض وأوفدن أم سلمة للتحدث بلسانهن مع الرسول الذي كان في مكانه المعتاد الى جوار عائشة. فهل كان الرسول لايشغله سوى النسوة ومشاكلهن. . ؟

ان الرواية تقول ان الرسول انحاز الى عائشة كما انحاز اليها في الرواية السابقة ضد بقية زوجاته معتبرا ان مثل هذا السلوك يعتبر أذى لـه مؤكدا أن درجة عائشة أعلى من درجتهن لأن الوحي كان ينزل في لحافها ولم ينزل في لحافهن فهل كان الوحي يتنزل على الرسول وهو في لحاف عائشة. . ؟

أليس هذا امتهانا للوحي وللرسول أن تتنزل آيات الله في هذا الموضع. . ؟

لقد بلغ القوم مبلغاً عظيماً في محاولاتهم اختراع المناقب لعائشة الى الدرجة التي أهانوا فيها الرسول وأهانوا فيها الوحي وأهانوا فيها بقية زوجات الرسول. . وتستمر عائشة في رواية فضائلها قائلة: قال رسول الله (ﷺ) يا عائش هذا جبريل يقرأ عليك السلام. فقلت: وعليه السلام ورحمة الله. وهو يرى مالا أرى. .(٥٨)

ويبدو أن القوم أرادوا أن ينتزعوا لعائشة منقبة على لسان الوحي بعد أن عجزوا عن انتزاعها من لسان الرسول. حتى أن أنس بن مالك يروي على لسان الرسول قوله: فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على الطعام. .(٥٩)

ألم يجد الرسول شيئاً يفضل به عائشة على غيرها سوى الطعام. . ؟ .

هل كان الرسول أكولاً وعاشقا للطعام إلى الحد الذي يضرب به المثل. . ؟.

تروي عائشة: كان رسول الله (ﷺ) اذا خرج أقرع بين نسائه فطارت القرعة

---

(٥٦) مسلم فضائل عائشة وانظر البخاري. .

(٥٧) البخاري. فضل عائشة. .

(٥٨) مسلم فضائل عائشة. .

(٥٩) المرجع السابق. .

على عائشة وحفصة فخرجتا معه جميعاً. وكان الرسول إذا كان بالليل سار مع عائشة يتحدث معها. فقالت حفصة لعائشة: ألا تركبين الليلة بعيرى وأركب بعيرك فتنظرين وأنظر. قالت: بلى. فركبت عائشة على بعير حفصة وركبت حفصة على بعير عائشة. فجاء رسول الله الى جمل عائشة وعليه حفصة فسلم ثم سار معها حتى نزلوا. فافتقدته عائشة فغارت. فلما نزلوا جعلت تجعل رجلها بين الإذخر. وتقول يارب سلط على عقربا أو حية تلدغنى.. رسولك ولا أستطيع أن أقول شيئا..(٦٠)

ان هذا النص يفرض عدد من التساؤلات:

هل كان الرسول (ﷺ) يأخذ نساءه معه عند الخروج..؟

ولماذا ندمت عائشة على مافعلت مع حفصة..؟

وهل الغيرة تدفع بأم المؤمنين إلى محاولة الانتحار بوضع رجلها فى نبت تكثر فيه الهوام كالحيات وغيرها..؟

ان القرآن يكشف لنا أن رسول الله كان يخلف دائماً النساء والصبيان والعجزة عند خروجه للغزو. وهو الدافع الوحيد لخروجه فلم يكن يخرج لسبب آخر فلم نسمع أن الرسول خرج للصيد أو التنزه فلم يكن لديه الوقت لمثل هذه الأمور والذى تؤكده كثير من الروايات ان مسؤوليات وتبعات الدعوة كانت ثقيلة عليه بحكم كونه خاتم الأنبياء. والاسلام هو خاتم الرسالات (إنا سنلقى عليك قولا ثقيلاً)..

فهل رسول خاتم يحمل مثل هذه المسؤولية لديه وقت للهو مع النساء..؟

وهل يمكن لامرأة مثل عائشة أن تتدلل على الرسول الى هذا الحد..؟

وهل الرسول بمثل هذه السذاجة بحيث تنطلى عليه حيلة حفصة فيأخذها وهى على بعير عائشة ويسلم عليها ولا يعرفها..؟

وتروى عائشة: فلما نزل برسول الله (ﷺ) المرض - ورأسه على فخذى غشى

---

(٦٠) المرجع السابق..

عليه ساعة ثم أفاق فأشخص بصره الى السقف ثم قال: اللهم الرفيق الأعلى. قالت عائشة قلت إذا لايختارنا . . (٦١)

هل طمعت عائشة فى رسول الله الى الحد الذى تريد أن تجعل الرسول يفضلها على الرفيق الأعلى ويختار جوارها على جواره. . ؟

كم حطت هذه الروايات من قدر الرسول وأهانته حتى وهو على فراش المرض جعل من فخذى عائشة وسادته . .

ولقد بلغ من خيال القوم فى صنع مناقب عائشة أن جعلوا الرسول (ﷺ) يحلم بها وهو فى مكة وربما من قبل أن تولد . .

تروى عائشة : قال رسول الله ﷺ أريتك فى المنام ثلاث ليال جاءنى بك الملك فى سرقة من حرير فيقول هذه امرأتك فاكشف عن وجهك فإذا أنت هى : فأقول إن يك هذا من عند الله يمضه . . (٦٢)

وإذا ماتبين لنا أن روايات عائشة لاتصرح بمناقب لها بقدر ماتعريها وتفضحها وتحط من قدر الرسول ومكانته أدركنا أن الهدف من هذه الروايات ليس هو عائشة فى ذاتها وإنما الخط الذى سوف يتولد منها. وادركنا أيضا حجم مكانتها وموقعها من الرسول وموقفه منها.

ان اختلاق مثل هذه الروايات ليدل على ان موقع عائشة من الرسول كان مهزوزاً وان موقف الرسول منها كان لاينم عن الرضا عنها أو عن ابيها.

فلو كان موقع عائشة من الرسول حسناً ما كانت هناك حاجة إلى خلق مثل هذه الروايات التى تسئ إليها قبل ان تسئ للرسول. ولترك الأمر للإطراف الأخرى تروى محاسنها وتصف موقعها وتعدد مناقبها. لكن الامر كما هو واضح أمامنا هو من اختلاق عائشة او اختلق على لسانها . .

وهذا الامر ندركه بقليل من التأمل فى مناقب خديجة فقد جاء على لسان الامام

---

(٦١) البخارى ومسلم.

(٦٢) مسلم فضائل عائشة والبخارى . .

على انه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : خير نسائها مريم بنت عمران . وخير نسائها خديجة بنت خويلد[٦٣] .

ويروى أبو هريرة : أتى جبريل النبى ﷺ فقال يارسول الله هذه خديجة قد أتتك فأقرأ عليها السلام من ربها عز وجل ومنى وبشرها ببيت فى الجنة من قصب لاصخب فيه ولانصب[٦٤] .

وتروى عائشة : بشر رسول الله ﷺ خديجة بنت خويلد ببيت فى الجنة[٦٥] .

ويروى أيضاً : أن الرسول إذا ذبح الشاة يقول : أرسلوا بها إلى أصدقاء خديجة فأغضبته يوماً فقلت خديجة فقال رسول الله ﷺ إنى قد رزقت حبها[٦٦] .

فها هى مناقب خديجة تروى على لسان الآخرين حتى على لسان عائشة نفسها وهاهى الروايات تثبت أن خديجة أفضل من عائشة . .

وهاهو الرسول يبشرها ببيت فى الجنة ولم يبشر عائشة .

وهاهو الرسول بعد موتها يظل وفياً لذكراها ويكرم خلانها وأقربائها حتى أدى الامر إلى غضب عائشة . .

وهاهو الرسول يصرح أنه قد رزق حبها .

وها هو جبريل يقرأها السلام من الله سبحانه من قبل أن يتزوج الرسول بعائشة وبمقارنة النصوص الواردة فى خديجة والروايات التى ترويها عائشة عن نفسها يتبين لنا صحة مناقب خديجة وبطلان مناقب عائشة . كما يتبين لنا عظيم مكانة خديجة وموقعها من الرسول وضعف موقف عائشة[٦٧] .

لقد كانت عائشة صغيرة السن وقد تركها الرسول وعمرها ثمانية عشر عاما .

---

(٦٣) مسلم فضائل خديجة أم المؤمنين . . وتأمل فضائل فاطمة أيضاً . .

(٦٤) المرجع السابق . .

(٦٥) المرجع السابق .

(٦٦) المرجع السابق . .

(٦٧) تأمل فضائل زوجات النبى الأخريات وقارن بينها وبين فضائل عائشة . .

فكيف يمكن لمن فى مثل سنها أن ترث كل هذا العلم الذي ينسبونه إليها وقد قضت سني بلوغها مع الرسول فى شكل وغيرة وغرام كما تحكى الروايات على لسانها؟ .

وكيف يمكن للرسول أن يأتمن إمرأة فى مثل هذا السن على علم السماء؟ أليس هذا يتناقض مع قول الرسول ﷺ : لن يفلح قوم ولو أمرهم إمرأة[٦٨].

وقد قيل عنها أنها روت عن الرسول أربعين الف حديث فكيف وعت كل هذا الكم من الاحاديث عن الرسول فى فترة البلوغ القصيرة التى قضتها مع الرسول.؟. ان مثل عائشة كمثل أبى هريرة كلاهما روى كما هائلا من الأحاديث على لسان الرسول في مدة تثير الشك في هذا الكم ومدى تناسبه مع فترة معايشتهم.

إن الأمر على مايبدو يتجاوز عائشة وأبو هريرة. إنه خط يريد أن يفرض على الأمة من خلالهما مما سوف يتضح عند استعراضنا موقف عائشة من الامام على وإن محاولة إرجاع موقف عائشة العدائى من الامام إلى حادث الافك وقول الامام للرسول (تزوج يارسول الله إن النساء كثيرات) إنما هو تسطيح لحقيقة الموقف وجذوره. فقد وقفت عائشة من بعد وفاة الرسول إلي جوار أبيها ضد الامام وأنصاره من الصحابة وضد فاطمة التى اصطدمت بأبيها بسبب ميراث الرسول وقاطعته وتوفت غاضبة عليه..

ولاشك أن الامام كان يمثل خط آل البيت الذى اصطدم بجبهة القبليين والمنافقين بعد وفاة الرسول بسبب الخلافة. وعندما يتبين لنا ان عائشة كانت تقف فى صف الجبهة المناوئة للإمام تتكشف لنا جذور موقفها العدائى منه..

ودور عائشة فى مواجهة الامام إنما برز بشكله السافر فى عهد الامام وبعد مقتل عثمان. فلم تكن هناك حاجة لبروزها فى عهد أبيها وعهد عمر من بعده لسيادة الخط القبلى واختفاء خط الإمام.

وبعد سيادة الخط الاموى بعد مرحلة صفين استثمرت مواقف عائشة من الامام

(٦٨) البخارى. كتاب المغازى. باب كتاب النبى الى كسرى وقيصر.

كما استثمرت مكانتها كزوجة للرسول فى إضفاء المشروعية على هذا الخط عن طريف إسباغ الفضائل عليها واختراع الروايات على لسانها كما استثمرت شخصية أبو هريرة وابن عمر من بعد(٦٩).

ومما سبق يتبين لنا ان اختصاص عائشة برواية أحاديث احتضار الرسول أمر مستهدف له غاية محددة هى ضرب وصية الرسول وتوجيهاته الحقيقية التى أدلى بها قبل وفاته كى تهتدى بها الأمة.

فعائشة تتوافر بها كل المقومات اللازمة لدعم خط بنى أمية فى مواجهة خط آل البيت. هذه المقومات التى تتمثل فيما يلى:

- قربها من الرسول.
- كراهيتها للإمام على..
- كونها إبنة أبى بكر الخليفة الأول..
- مواقفها مع زوجات الرسول..
- صغر سنها.

وبالطبع ليس هناك من بين زوجات النبى من تتوافر بها هذه المقومات سوى عائشة فمواقفها وممارستها فى حياة الرسول والتى نزل القرآن يؤكدها رشحتها للقيام بهذا الدور..(٧٠)

من هنا يتبين لنا أن التركيز على روايات عائشة الخاصة بوفاة الرسول لن يقودنا الى الحقيقة التى نبحث عنها وسوف يؤدى بنا الى التعتيم على الخط الآخر خط آل البيت الذى يقول بالوصية والمناهض لبنى أمية والخلفاء..

---

(٦٩) انظر لنا فقه الهزيمة فصل الرجال وتتبع سيرة ابن عمر وأبوهريرة فى كتب السنن وكتب التاريخ.

(٧٠) انظر تفسير سورتى الأحزاب والتحريم فى كتب التفسير ويروى البخارى أن الرسول (ﷺ) أشار الى بيت عائشة وقال: هاهنا الفتنة ثلاثا من حيث يطلع قرن شيطان انظر باب ماجاء فى بيوت أزواج النبى. وانظر مسلم حـ ٨/ ١٨٣. وانظر روايات تنبح عليك كلاب الحوأب ياعائشة. والحوأب بئر ماء فى طريق البصرة حين سارت لقتال على انظر الصواعق المحرقة لابن حجر الهيثمي..

وهذا يقودنا الى تقصى الروايات الأخرى التى تتعلق بوفاة الرسول والتى رويت من جهات أخرى غير جهة عائشة . .

يروى أن العباس جاء الى النبى فى وجعه الذى توفى فيه فقال على ماتريد؟ فقال العباس: أريد أن أسأل رسول الله (ﷺ) أن يستخلف منا خليفة. فقال علي: لا تفعل. قال: ولم. قال أخشى أن يقول لا فإذا ابتغينا ذلك من الناس قالوا: أليس قد أبى رسول الله. . ؟[٧١]

وسئل علي: أخصكم رسول الله (ﷺ) بشيء؟ فقال ماخصنا رسول الله بشيء لم يعم به الناس كافة إلا ماكان في قراب سيفي هذا. قال. فأخرج صحيفة مكتوب فيها: لعن الله من ذبح لغير الله. ولعن الله من سرق منار الأرض. ولعن الله من لعن والده. ولعن الله من آوى محدثاً . .[٧٢]

وفى رواية ماعهد الى رسول الله (ﷺ) شيئا خاصاً من دون الناس. إلا شيء سمعته منه فهو فى صحيفة فى قراب سيفي. قالوا: فلم يزالوا به حتى أخرج الصحيفة قال فإذا فيها: من أحدث حدثاً أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين. لايقبل منه حرف ولا عدل. قال وإذا فيها ان ابراهيم حرم مكة وإنى أحرم المدينة. حرم مابين حريتها وحماها كله. لايختلى خلاها ولا ينفر صيدها. ولا تلتقط لقطتها الا لمن أشار بها. ولا تقطع منها شجرة إلا أن يعلف رجل بعيره ولا يحمل فيها السلاح لقتال. قال وإذا فيها: المؤمنون تتكافؤ دماءهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم. ألا لا يقتل مؤمن بكافر ولا ذو عهد في عهده. . .[٧٣]

وفى روايات أخرى يأتى السؤال بصيغة أخبرنا بشيء أسره إليك رسول الله. أو ماكان النبى يسر إليك. أو أفشيء عهده إليك رسول الله. .[٧٤]

(٧١) طبقات ابن سعد حـ ٢

(٧٢) مسلم كتاب الأضاحى باب ٨. ومسند أحمد حـ/ ١ ١١٨.

(٧٣) مسند احمد حـ ١/ ١١٩.

(٧٤) انظر مسلم كتاب الأضاحى. .

وفى رواية البخارى سئل الامام على عما تركه له الرسول فقال كتاب الله وهذه الصحيفة. فقيـل ومافى هذه الصحيفة قال: العقل وفكاك الأسير ولا يقتل مسلم بكافر. .(٧٥)

وسئل عبدالله بن أبى أوفى. أوصى النبى؟ قال: لا. فقلت: كيف كتب على الناس الوصية أو أمروا بها؟ قال: أوصى بكتاب الله. .(٧٦)

ويروى أن الذين غسلـوا الرسول بعد وفاته ثلاثة على بن أبى طالب والفضل بن العباس وأسامة بن زيد. وكان على يغسله والفضل وأسامة يحجبانه. .(٧٧)

وفى رواية علي والعباس والفضل. .(٧٨)

ويروى أن الرسول فاضت روحه بين يدى على.(٧٩)

يروى ابن عبـاس: والله لتوفى رسول اللـه (ﷺ) وأنه لمستند الـى صدر على وهو الذى غسله وأخى الفضل بن عباس.(٨٠)

ويروى : قال رسول الله فى مرضه: أدع لى أخى. فدعى له عليا. فقال: أدن منى. فدنوت منه. فاسـتند إلى فلم يزل مستنداً إلى وأنه ليكـلمنى حتى أن بعض ريق النبى (ﷺ) ليصيبنى.(٨١)

ويتضح لنا من خـلال هذه الروايات أن بعضها يناقض روايات عـائشة والبعض الآخر يعطينا مدلولات جديدة لم تشر إليها روايات عائشة كما أن هناك روايات منها تدعم رواياتها. .

---

(٧٥) البخارى. كتاب العلم. وانظر كتاب فضائل القرآن. باب من قال لم يترك النبى إلا مابين الدفتين.

(٧٦) البخارى كتاب المغازى. باب ٨٣.

(٧٧) انظر طبقات ابن سعد حـ ٢/ ٥٢ وما بعدها.

(٧٨) المرجع السابق. .

(٧٩) طبقات ابن سعد حـ ٢/ ٥٢ وما بعدها. .

(٨٠) المرجع السابق. .

(٨١) المرجع السابق. .

أما الروايات التى تناقض روايات عائشة فهى الروايات التى تتحدث عن تغسيل الإمام على للرسول ووفاته بين يديه . .

ويلاحظ أن هذه الروايات لم تروها كتب الصحاح مثل البخارى ومسلم. وإنما رواها ابن سعد فى طبقاته وأحمد فى مسنده والطيالسي وغيرهم. أما الأحاديث التى روتها عائشة فقد رواها البخارى ومسلم.

والهدف من وراء هذا الأمر هو دفع المسلمين الى تبنى موقف عائشة أو بمعنى آخر تبنى الخط الأموى والتشكيك فى خط آل البيت حيث أن البخارى ومسلم محل ثقة المسلمين لصحة أحاديثهما وإجماع الأمة عليهما.

والحق أن تقديم البخارى ومسلم على غيرهما من كتب الأحاديث إنما هى قضية سياسة فى المقام الأول ولا صلة لها بالشرع. فهذان الكتابان يخدمان خط بنى أمية وخط الحكام ويعاديان خط آل البيت وان كان موقف البخارى أشد عداءا من موقف مسلم. إلا أن موقف مسلم أشد عداءاً من الكتب الأخرى. . (٨٢)

والباحث فى مسألة الاجماع على صحة هذين الكتابين سوف يتبين له أن مسألة الاجماع هذه مشكوك فيها. . (٨٣)

إلا أن هذا لايعنى أن هناك أحاديث صحيحة فى كتب الأحاديث غير البخارى ومسلم وعلى رأسها حديث غديرخم المذكور سابقاً والذى رواه أحمد والنسائى والترمذى وغيرهم. .

من هنا فإننا بمناسبة الحديث عن البخارى ومسلم نتوجه بالدعوة إلى الفقهاء والمتخصصين من أهل الحديث والأثر الى العمل على جمع الأحاديث الصحيحة كلها فى كتاب واحد بما فيها البخارى ومسلم والأحاديث الواردة بطرق آل البيت المعمول بها عند الشيعة الإمامية مع ملاحظة ضبط هذه الأحاديث بالقرآن بحيث يتم استثناء الأحاديث المتناقضة معه. فهذه هى الخطوة الاولى والاساسية على طريق الوحدة الاسلامية . .

---

(٨٢) انظر لنا فقه الهزيمة فصل السنة. وانظر تأملات فى الصحيحين ط بيروت.

(٨٣) انظر اضواء على السنة المحمدية ط القاهرة والمرجعين السابقين . .

ونعود الى الـروايات التى نحن بـصددها فنقول أن الـروايات التى تكشـف لنا تساؤلات القوم حول وصيـة الرسول واختصاص الامام على بها إنما تـعطينا مدلولاً هاماً وهو أن هـناك وصية يحاول البعـض التعتيم عليـها فيختلقون الـروايات على لسان الامام التى تنفى هذه الوصية.

وليس من المقبول عقلاً أن الامام على المشهود له من قبل جميع الأطراف بوافر العلم وهو الذى قال فيه الرسول (ﷺ) أنا مدينة العلم وعلى بابها.. (٨٤)

ليس من المـقبول عقلا أن يكـون ميراثه العلـمى من الرسول هو تـلك الأمور الشكلية مـثل فكاك الأسير وعدم قتل المسـلم بالكافر والقصاص بيـنما نجد واحدة مثل عائشة يـقول فيها ابن حجر أنها حفـظت عن الرسول شيئا كثيـراً فأكثر الناس الأخذ عنها ونقلوا عنها من الأحكام والآداب شيئا كثيراً حتى قيل أن ربع الأحكام الشرعية منقول عنها.. (٨٥)

وليس من المعقـول أن واحداً مثل أبوهريرة أو ابن عمر يـرثان من علم رسول الله مايفوق الامام بنسبة لاتجعل هناك مجالاً للمقارنة.. (٨٦)

ان مثل هذا الأمر يثير الشك فى نفوس الـعقلاء. غير أن تقصى حركة الرسول وعلاقة الامام عـلى به سرعان ماتـكشف لنا أن رفع عـائشة وابن عمر وأبـوهريرة على حساب الامـام إنما هى مسألة سياسـية من صنع بنى أميـة.. والمدقق فى خط بنى أمية الذى تحول فيما بعد إلى أهل الـسنة والجماعة يتبين له أن هذا الخط يرتكز على هذه الشخصيات الثلاثة..

وليس مـن المعقول أيضا أن يـترك الرسول الأمة بـلا وصية فهذا الأمر يـناقض القرآن الذى جاء به ويخل بمهمته ودوره كرسول خاتم.

---

(٨٤) رواه ابن المغازلى فى مناقبه. والخطيب فى تاريخ بغداد. والترمذى بلفظ أنا دار الحكمة وعلى بابها..

(٨٥) فتح البارى جـ ٧/ ١٠٧ شرح فضائل عائشة.

(٨٦) انظر اضواء على السنة. وانظر هدى السارى مقدمة شرح البخارى لابن حجر وفيه احصائية بكم الاحاديث التى رواها كبار الصحابة. ويتضح من هذه الاحصائية أن عائشة روت (٢٤٢) وأبو هريرة روى (٤٤٦) وابن عمر روى (٢٧٠) بينما روى الامام على (٢٩) وفاطمة حديثاً واحداً..

فالقـرآن يقول: ﴿كتب علـيكم إذا حضر أحـدكم الموت إن ترك خيراً الـوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقاً على المؤمنين﴾(٨٧)

فهل يجوز للرسول أن يخالف القرآن الذى جاء به وهو يأمر بالوصية..؟

واذا كانت الوصيـة واجبة فى حق المؤمنين فـيما يتعلق بالأمـوال والتركات وما يتعلق بالمصالح الدنيوية. أفلا تكون واجبة فيما يتعلق بمستقبل الإسلام والمسلمين؟

يروى البخارى أن رسول الله (ﷺ) قال: ماحـق أمرىء مسلم له شىء يوصى فيه يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عنده..(٨٨)

فهل الرسول يناقض نفسه يأمر بالوصية ولا يطبقها..؟

وأيهمـا نصدق القـرآن والرسول أم هؤلاء الـذين ينكـرون وجود الوصيـة من الصحابة وفقهاء التبرير..؟

ان المتتبع لحركة الرسول سوف يجد أنه كان يطبق الوصية فى كل مناسبة تقتضى تطبيقها. فى الغزوات والعلاقات الشخصية وحين الموت..

وقد أوصى الرسول للإمام على فى المدينة حين خرج فى غزوة تبوك..

وأوصى أبا بكر ليصلى بالناس فى مرضه..

وأوصى بلعن بناة القبور فى المساجد..

وأوصى بالنساء فى حجة الوداع..

وأوصى بالأنصار قبل وفاته..

فإذا كان يوصـى بمثل هذه الأمور التى جـاءت بها روايات القوم وهو عـلى قيد الحياة. أليس هذا دليلاً على كونه قد وضع الوصية نصب عينيه.؟.

---

(٨٧) البقرة آية رقم ١٨٠..

(٨٨) البخارى كتاب الوصايا.

وإذا كان قد خلف علياً في المدينة وهو في غزوة سوف يعود منها. أليس من الأولى أن يستخلف وهو راحل عن الدنيا.؟.

ان فقهاء التبرير ليخوضون في مثل هذه المواقف والممارسات ويحاولون طمس معالمها وتبديد أهدافها بتبريرات وتأويلات واهية تصطدم بالعقل كما تصطدم بالنصوص بهدف الحفاظ على خط ورثوه عن أسلافهم واعتبروه من صلب العقيدة..

المحطة الثانية
السقيفـــة

احتجوا بالشجرة وأضاعوا الثمرة ....

الإمام على

تعد مرحلة السقيفة بعد وفاة الرسول (ﷺ) مرحلة سيادة الخط القبلي على واقع المسلمين. فقد أخذ هذا الخط امتداده وشرعيته من تلك المرحلة متسترا بستار الشورى..

ان الراصد لما دار في السقيفة يتبين له بوضوح أن الأمر كان أبعد مايكون عن الشورى وإنما هو في الحقيقة أشبه بالانقلاب على خط واضح الملامح وضع أسسه الرسول (ﷺ).

ومن السذاجة تصور أن معاوية حمل راية المواجهة ضد الإمام دون أن يستند إلى ركائز ثابتة تؤهله برفع هذه الراية. وهذه الركائز إنما كانت تقوم على أساس الواقع القبلي الذى فرض في مرحلة السقيفة واستمر حتى عصر الإمام علي..

كلمة التاريخ :

يروى شهاب الدين النويرى أحداث السقيفة قائلا: وكان من خبر سقيفة بنى ساعده أنه لما توفى رسول الله (ﷺ) اجتمعت الأنصار في سقيفة بنى ساعدة وقالوا: نولي هذا الأمر بعد رسول الله سعد ابن عباده. وأخرجوا سعد إليهم وهو مريض. فلما اجتمعوا قال سعد لأبيه أو لبعض بنى عمه: إنى لا أقدر أشكو أى أن أسمع القوم كلهم كلامي. ولكن تلق منى قولي فاسمعوه. فكان سعد يتكلم ويحفظ الرجل قوله فيرفع به صوته. فيسمع أصحابه. فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه: يامعشر الأنصار. ان لكم سابقة في الدين. وفضيلة في الاسلام ليست لقبيلة من العرب. ان محمدا (ﷺ) لبث بضع عشرة سنة في قومه يدعوهم إلى عبادة الرحمن وخلع الأوثان. فما آمن به من قومه إلا رجال قليل. والله ماكانوا يقدرون على أن يمنعوا رسوله. ولا أن يعزوا دينه. ولا أن يدفعوا عن انفسهم فيما عموا به. حتى إذا أراد بكم الفضيلة ساق اليكم الكرامة. وخصكم بالنعمة ورزقكم الإيمان به وبرسوله والمنع له ولأصحابه. والاعزاز له ولدينه والجهاد لاعدائه. فكنتم أشد الناس على عدوه من غيركم حتى استقامت العرب لامر الله طوعاً وكرهاً. وأعطى البعيد المقادة صاغراً داخراً وحتى أثخن الله

لرسوله بكم الأرض. ودانت باسيافكم له العرب. وتوفاه الله إليه وهو عنكم راض. وبكم قرير العين. استبدوا بهذا الأمر دون الناس. فإنه لكم دون الناس..

فأجابوه بأجمعهم. أن قد وفقت في الرأى. وأصبت في القول. ولن نعدوا مارأيت. نوليك هذا الأمر فإنك فينا رفيع. ولصالح المؤمنين رضاً..[1]

وتجنباً للصدام مع المهاجرين طرح بعض الأنصار فكرة المشاركة في الامارة. من الأنصار أمير ومن المهاجرين أمير. وكان رد زعيمهم سعد بن عبادة هذا أول الوهن..[2]

كان هذا هو موقف الأنصار أما موقف المهاجرين فيظهر لنا من خلال تحرك عمر الذي تزعم حركة المهاجرين في مواجهة الأنصار..

يروى النويرى أن عمر لما أتاه الخبر ذهب إلى أبي بكر فوجده مشغولا(*). فأرسل إليه أنه قد حدث أمر لابد لك من حضوره. فخرج إليه فقال: أما علمت أن الأنصار قد اجتمعت في سقيفة بني ساعدة يريدون أن يولى هذا الأمر سعد بن عبادة. وأحسنهم مقالة من يقول منا أمير ومنكم أمير.

فخرجا مسرعين نحو السقيفة وجمعا في طريقهما عددا من المهاجرين وتنازعوا بين الذهاب أو حسم الأمر بينهم دون الأنصار. ثم قرروا الذهاب. قال عمر: والله لنأتينهم..

وخطب أبي بكر في أهل السقيفة قائلاً: ان العرب لاتعرف هذا الأمر الا لهذا الحي من قريش هم أواسط العرب داراً ونسباً.. وصاح أحد الأنصار: منا أمير ومنكم أمير يامعشر قريش..

وارتفعت الأصوات وكثر اللغط. وهنا أصدر عمر قراره لأبي بكر: أبسط يدك

---

(١) انظر نهاية الارب في فنون الادب للنويرى.

(٢) انظر فتح البارى شرح البخارى جـ٧/ ٣٠ وما بعدها وجـ ١٣/ ٢٠٦ وما بعدها وانظر كتب التاريخ.

(*) لم تكشف لنا الروايت ما كان مشغولاً به ابو بكر في بيته بينما الرسول يجهزه للدفن الامام على.

نبايعك: فبسط يده فبايعته وبايعه المهاجرون. وبايعه الأنصار. ثم نزوا على سعد. حتى قال قائلهم: قتلتم سعد بن عبادة. فقال عمر: قتل الله سعدا. وإنا والله ماوجدنا أمراً هو أقوى من مبايعة أبى بكر أنا خشينا إن فارقنا القوم ولم تكن بيعة أن يحدثوا بعدنا بيعة. فإما أن نبايعهم على مانرضى. أو نخالفهم فيكون فشل..(٣)

وهناك روايات أخرى تنص على تصريحات أخرى لأبى بكر وعمر والأنصار كل فى مواجهة الآخر يقول فيها أبو بكر: إن قريشا أحق الناس بهذا الأمر من بعد الرسول لاينازعهم ذلك إلا ظالم. فنحن الأمراء وأنتم الوزراء. لاتفاتون بمشورة ولا تقضى دونكم الأمور..(٤)

أما تصريح الأنصار فى مواجهة المهاجرين فقد حمله الحباب بن المنذر بن الجموح فقال: يامعشر الأنصار. املكوا على أيديكم. فإن الناس فى فيئكم وفى ظلكم. ولن يجترىء مجترىء على خلافكم. ولن يصدر الناس إلا عن رأيكم. وأنتم أهل العزة والثروة وأولوا العدد والتجربة. وذوو اليأس والنجدة. وإنما ينظر الناس الى ماتصنعون. فلا تختلفوا فيفسد عليكم رأيكم. وتنتقض أموركم فإن أبى هؤلاء إلا ما سمعتم. فمنا أمير ومنهم أمير..(٥)

وكان رد عمر أكثر عنفاً. قال: هيهات؟ لايجتمع إثنان فى قرن. إنه والله لايرضى العرب أن يؤمروكم ونبيها (ﷺ) من غيركم. ولكن العرب لا تمتنع أن تولى أمورها من كانت النبوة فيهم وولى أمورهم منهم. ولنا بذلك على من أبى من العرب الحجة الظاهرة والسلطان المبين. من ذا ينازعنا سلطان محمد وإمارته. ونحن أولياؤه وعشيرته الا مدل بباطل أو متجانف لإثم أو متورط فى هلكة..

ورد الحباب على عمر بلغة أشد عنفاً فقال: يامعشر الأنصار. املكوا على أيديكم ولا تسمعوا مقالة هذا وأصحابه فيذهبوا بنصيبكم من هذا الأمر. فإن أبوا عليكم ماسألتموه. فاجعلوهم عن هذه البلاد وتولوا عليهم هذه الأمور. فأنتم والله أحق بهذا الأمر منهم. فإنه باسيافكم دان لهذا الدين من لم يكن يدين.

---

(٣) انظر المراجع السابقة ومروج الذهب للمسعودى والبداية والنهاية لابن كثير..

(٤) المراجع السابقة..

(٥) المراجع السابقة..

ورد عمر: إذن يقتلك الله..

ورد الحباب: بل إياك يقتل..[٦]

وصاح صوت من المهاجرين (أبو عبيدة): يامعشر الأنصار انكم أول من نصر وآزر. فلا تكونوا أول من بدل وغير..[٧]

وطالب بشير بن سعد من الأنصار قومه بالتخلي عن هذا الأمر لقريش ابتغاء وجه الله.

وقال أبو بكر: هذا عمر وأبوعبيدة فأيهما شئتم فبايعوا.[٨]

ورجح عمر وأنصاره كفة أبي بكر وقدموه للخلافة وحدث صدام بين الأنصار بسبب مبايعة بعض الأنصار له. وتحركت الأوس لمبايعة أبي بكر حتى تفوت الفرصة على الخزرج بزعامةسعد بن عبادة.

ودخلت قوات قبيلة أسلم الموالية لأبي بكر المدينة وسيطرت على دروبها ومسالكها ولما رآها عمر قال في فرح: ماهو إلا أن رأيت أسلم. فأيقنت بالنصر..[٩]

ويروى أن الناس أقبلوا من كل جانب يبايعون أبا بكر وكادوا يطئون سعد بن عبادة. وقال ناس من أصحاب سعد: اتقوا سعدا لاتطئوه. قال عمر: اقتلوه. اقتلوه.. قتله الله. ثم قام على رأسه فقال: لقد هممت أن أطأك حتى تندر عضدك.. فأخذ قيس بن سعد بلحية عمر ثم قال: والله لو حصصت منها شعرة مارجعت وفي فيك واضحة..[١٠]

ويروى ابن عبدالبر: وتخلف عن بيعته سعد بن عبادة وطائفة من الخزرج وفرقة من قريش ثم بايعوه بعد غير سعد..[١١]

---

(٦) المراجع السابقة..

(٧) المراجع السابقة..

(٨) المراجع السابقة..

(٩) انظر مروج الذهب والإمامة والسياسة لابن قتيبة وتاريخ اليعقوبي..

(١٠) المراجع السابقة..

(١١) انظر الإستيعاب هامش الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر..

وكان عمر يحرض أبى بكر على سعد ليجبره على البيعة فقيل له: أنه ليس يبايعكم حتى يقتل وليس بمقتول حتى يقتل معه ولده وأهل بيته وطائفة من عشيرته. فتركوه.[١٢]

موقف الإمام على

كان هذا العرض التاريخى على جانب الأنصار وقطاع من المهاجرين القريشيين. الا أنه هناك جانب آخر من قريش كان بعيداً عن السقيفة. وهذا الجانب يملك رصيداً أقوى من رصيد قطاع أبو بكر وعمر ومن تابعهما.

يملك رصيداً شرعياً.

ويملك رصيداً جماهيرياً..

ويملك رصداً تاريخياً.

ويملك وزناً أكبر فى قريش..

ذلك الجانب هو جانب الهاشميين بزعامة آل بيت النبى والذى كان مشغولا بتجهيز الرسول للدفن بينما القوم يتصارعون فى السقيفة..

ويروى فى نهج البلاغة أن عليا سأل عما حدث فى السقيفة. فقال: ماذا قالت قريش.؟

قالوا: احتجت قريش بأنها شجرة الرسول (ﷺ).

فقال على: احتجوا بالشجرة وأضاعوا الثمرة[١٣]

وتروى كتب التاريخ روايات تشير الى صدامات وقعت بين جناح الهاشميين بقيادة الإمام على وجناح القريشيين بقيادة عمر بن الخطاب.

وكان الصدام الأول بين فاطمة وبين أبى بكر حين طالبته بميراث الرسول (ﷺ) فى فدك ورفضه طلبها محتجاً بحديث رواه هو..

---

(١٢) انظر مروج الذهب..

(١٣) المراجع السابق. والمقصود بالثمرة آل البيت...

يقول أبو بكر: سمعت رسول الله (ﷺ) نحن معشر الأنبياء لانورث وما تركناه صدقة. [١٤]

ومن المعروف أن فاطمة خاصمت أبي بكر وهجرته غاضبة حتى ماتت فدفنها على (ع) ليلاً في خفية عن القوم. وكانت وفاتها بعد وفاة الرسول بستة أشهر. . [١٥].

وكما كان عمر يحرض أبي بكر على سعد. أصبح يحرضه على على ويطالبه بحسم الأمر معه واجباره على البيعة له لما يشكله موقفه من خطورة على استقرار الحكم القبلي الذى أرسى دعائمه ويعد نفسه لقطف ثمرته. .

ان عليا لم يكن وحده فقد كان معه بنى هاشم وكثير من العناصر الفاعلة فى المجتمع المدنى من الأنصار والمهاجرين مثل العباس وعمار بن ياسر وأبوذر الغفارى وسلمان الفارسى وبلال بن رباح والمقداد وجابر بن عبدالله وابن عباس وغيرهم. .

وتروى الروايات أن عمر هم بإحراق بيت فاطمة الذى كان مقراً للقطاع المعارض لحكم أبى بكر بقيادة الامام على. . [١٦]

ويبدو أن ممارسات عمر هذه قد زادت من حدة العداء بينه وبين الامام على. يروى الطبرى أن عليا أرسل الى أبى بكر أن ائتنا ولا يأتنا معك أحد (يقصد عمر). .

فقال عمر لأبى بكر: والله لا تدخل عليهم وحدك. .

---

(١٤) انظر مسلم كتاب الجهاد والسير والبخاري

(١٥) انظر فتح البارى جـ٧/ ١٠٥ . . وانظر تفاصيل الصدام بين فاطمة وابى بكر فى البداية والنهاية لابن كثير حـ٦ . وكتب التاريخ الأخرى. وكان الهدف من حجب ميراث فاطمة هو محاصرة آل البيت اقتصاديًا من اجل اضعافهم. ومما يدل على ان موقف ابوبكر هذا نابع من القبلية والسياسة ان عمر بن عبد العزيز رد ميراث فدك لآل البيت. ويلاحظ ان موقف ابوبكر هذا مخالف لنصوص القرآن مثل قوله تعالى (وورث سليمان داود) وقوله (يرثنى ويرث ال يعقوب). . .

(١٦) انظر تاريخ الطبرى حـ٣/ ١٩٨/ والملل والنحل للشهر ستانى حـ١/ ٧٥ والامامة والسياسة لابن قتيبة حـ١/ ١٢ . وتاريخ ابى الفداء حـ١/ ١٥٦ واليعقوبي ٢/ ١٠٥. .

فقال أبو بكر: وما عساهم أن يفعلوا بى.. والله لآتيهم إلا منفرداً.. فدخل أبو بكر على بنى هاشم وفيهم على والعباس. فاستقبلوه استقبالاً حسنا.(١٧)

ويروى المسعودى: ولما بويع أبو بكر فى يوم السقيفة وجددت البيعة له يوم الثلاثاء على العامة خرج على فقال: افسدت علينا أمورنا ولم تستشر. ولم ترع لنا حقاً..

فقال أبو بكر: بلى. ولكنى خشيت الفتنة.

وكان للمهاجرين والأنصار يوم السقيفة خطب طويل. ومجاربة فى الامامة. وخرج سعد بن عبادة ولم يبايع. فصار إلى الشام. فقتل هناك فى سنة خمس عشرة. وليس كتابنا هذا موضعاً لخبر مقتله. ولم يبايع أحد من بنى هاشم حتى ماتت فاطمة(١٨).

وينقل فى كتب التراجم والتاريخ الكثير من الروايات التى تنسب لأبى بكر وعمر وعمر بن العاص وابن عمر وغيرهم وذلك فى وقت الاحتضار وهم على مشارف الموت. تلك الروايات التى تشير الى ندمهم الشديد على ما اقترفوه فى حياتهم بسبب السياسة.

يروى المسعودى عن أبى بكر: ولما احتضر قال: ما آسى على شىء إلا على ثلاث فعلتها وددت أنى تركتها. وثلاث تركتها وددت أنى فعلتها. وثلاث وددت أنى سألت رسول الله (ﷺ) عنها:

فأما الثلاث التى وددت أنى تركتها: فوددت أنى لم أكن فتشت بيت فاطمة وذكر فى ذلك كلاماً كثيراً. وودت أنى لم أكن قد حرقت الفجاءة وأطلقته نجيحاً او قتلته صريحاً.

ووددت أنى يوم سقيفة بنى ساعدة قذفت الأمر فى عنق أحد الرجلين فكان أميرا وكنت وزيراً.

---

(١٧) انظر تاريخ الطبرى..

(١٨) انظر الطبرى ومروج الذهب-للمسعودى..

والثلاث التي تركتها وودت أني فعلتها: وددت أني يوم أتيت بالاشعث بن قيس أسيرا ضربت عنقه. فأنه قد خيل لي أنه لايرى شرا الا أعانه. ووددت أني كنت قد قذفت المشرق بعمر بن الخطاب. فكنت قد بسطت يمينى وشمالى فى سبيل الله. وودت أنى يوم جهزت جيش الردة ورجعت أقمت مكانى فإن سلم المسلمون سلموا. وان كان غير ذلك كنت صدق اللقاء أو مدداً.

والثلاث التى وددت أنى سألت رسول الله (ﷺ) عنها. وددت أنى كنت سألته فى من هذا الأمر فلا ينازع الأمر أهله. ووددت أنى سألته عن ميراث العمة وبنت الأخ فإن بنفسى منها حاجة. ووددت أنى سألته هل للأنصار فى هذا الأمر نصيب فنعطيهم إياه.[19]

ولم يكن الصراع على الحكم ينحصر بين الأنصار وبين قطاع أبوبكر وعمر من المهاجرين إنما كانت هناك قطاعات أخرى تتطلع الى الحكم من قريش على رأسها قطاع السفيانيين الذين تزعمهم أبو سفيان بن حرب الذى فقد سلطانه ونفوذه بعد فتح مكة..

ولم يكن أمام أبوسفيان الذى لاتوجد له شوكة فى المدينة سوى تحريض الإمام عليٌّ على المجتمعين في السقيفة..

يروى الطبرى أن أبا سفيان قال للإمام: مابال هذا الأمر (الخلافة) فى أذل قبيلة من قريش وأقلها. والله لئن شئت لأملأنها عليه خيلا ورجالا..

وكان جواب الإمام: مازلت عدوا للإسلام وأهله فما ضر ذلك الاسلام وأهله شيئا. والله ما أريد أن تملأها عليه خيلاً ورجالاً ولو رأينا أبا بكر لذلك اهلاً ماخليناه وإياها. يا أبا سفيان ان المؤمنين قوم نصحه بعضهم لبعض متوادون. وان بعدت ديارهم وأبدانهم وأن المنافقين قوم غششة بعضهم لبعض..[20]

---

(١٩) انظر مروج الذهب.

(٢٠) انظر الطبرى حـ٢/ ٤٤٩ الإستيعاب لابن عبد البر.

ويروى الطبرى أيضا أن الإمام على سارع ببيعة أبى بكر ولزم مجلسه وهناك روايات أخرى تقول أنه بايع بعد ستة أشهر وبايع بعده شيعته من الصحابة . .(٢١)

يقول الإمام: فأمسكت يدى حتى رأيت راجعة الناس قد رجعت عن الاسلام. يدعون الى محق دين محمد (ﷺ) فخشيت إن لم أنصر الاسلام وأهله أن أرى فيه ثلما أو هدفا تكون المصيبة به على أعظم من موت ولايتكم التى إنما هى متاع أيام قلائل يزول منها ماكان كما يزول السراب أو كما ينقشع السحاب. فنهضت فى تلك الأحداث حتى زاح الباطل وزهق وأطمأن الدين وتنهنه . .(٢٢)

ومثل هذه الروايات التى تتحدث عن بيعة الإمام لأبى بكر سواء كانت قبل سته شهور أو بعد هذه المدة أو حتى بعد دفن الرسول مباشرة. إنما تؤكد حقيقة واحدة وهى ان الإمام كان له موقف مما جرى بالسقيفة بشكل عام ومن أبى بكر وعمر بشكل خاص.

إن تسامح الإمام فى أمر البيعة لا يعنى تخليه عن موقفه الفكرى والعقائدى تجاه هذا الخط السقبلى الذى بدأت تسوضع قواعده أمامه. فهذا التسامح لا يخرج عن كونه موقفا سياسيا فى مواجهة الأمر الواقع. فالإمام لم يتنازل عن قضيته ولكن تنازل عن شخصه من أجل حفظ قضيته التى تعكس الجوهر الحقيقى للإسلام. .

لقد كان الإمام مخير بين ان يتنازل عن إمامته من أجل الحفاظ على الإسلام أو يصطدم الواقع وتكون النتيجة خسارة الإسلام وخسارة الإمامة فقد كانت جيوب المنافقين بالمجتمع المدنى قوية وكانت القبلية مستشرية. هذا على مستوى الداخل.

أما على مستوى الخارج فكانت هناك قوى الروم والفرس تتربص بالمسلمين. .

ان الإنحراف فى عصر أبى بكر لم يكن كبيرا إلى الحد الذى يستفز الإمام. ويؤرقه. إنما الانحراف الأكبر برز فى عصر عثمان. وهنا تغير موقف الإمام.

(٢١) انظر الطبري. .

(٢٢) نهج البلاغة جـ. ١/ خطبه رقم٣.

وتعايش الإمام مع عصر الخليفة الأول والثاني يبرهن به البعض على شريعه هذين العصرين حيث أن الإمام اعترف بشرعيتهما ولم يصطدم بهما . .

وفات هؤلاء ان هناك فرق بين التعايش والرضا . .

وفات هؤلاء ان الإمام تعايش مع واقع الخلفاء تعايش العالم المتميز.

تعايش العالم المدرك لحقائق الأمور حيث أنه قد نبأ من قبل الرسول(ﷺ) بتصورات الأحداث من بعده.

والبون شاسع بين من يفاجأ بظهور انحراف من جهة لم يكن بتوقع الإنحراف منها. وبين من يعلم بحدوث هذا الانحراف مسبقاً . .

ومن بين الروايات التي تؤكد علم الإمام بهذه الحوادث . . قول الرسول(ﷺ) : ياعلي . قاتلت على التنزيل وانت تقاتل على التأويل . . [٢٣].

أي أن الرسول قاتل المشركين الذين كفروا بما أنزل عليه ورفضوا الأعتراف بنبوته أما علي فسوف يقاتل المنتسبين لهذا الدين من المنافقين والمارقين الذين يؤولون النصوص ويستندوا إلى هذا التأويل في تبرير الأنحراف والفساد ونسبته إلى الدين . .

وقول الرسول(ﷺ) : يأتي على الناس زمان يكون فيه حداث الأسنان سفهاء الأحلام يقولون بقول خير البرية ويمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية . لا يجاوز إيمانهم حناجرهم تحقر صلاتك خلف صلاتهم إذا وجدتموهم فاقتلوهم . . [٢٤]

وقول الرسول(ﷺ) : هلاك امتي على يدي غلمة من قريش . قال ابو هريرة الرواي ان شئت أن أسميهم بني فلان وبني فلان . . [٢٦]

---

(٢٣) انظر مسند احمد جـ ٣/ ٨٢.

(٢٤) انظر مسلم بشرح النووي جـ٣ . .

(٢٦) انظر البخاري كتاب الفتن والسؤال الذي يطرح نفسه هنا: لماذا لم يصرح بهم ابو هريرة؟ . وفي هذا النص إشارة إلى ردة الصحابة من بعد الرسول . انظر احاديث الحوض في البخاري . .

وقول الرسول(ﷺ): لا ترجعوا بعدى كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض(٢٧)

وقول الرسول(ﷺ) لعمار تقتلك الفئة الباغية تدعوهم إلى الجنة ويدعونك إلى النار(٢٨)

وحديث السر الذى كشفته عائشة وحفصة فى سورة التحريم ذلك السر الذى كان يتعلق بموقف كلا من أبى بكر وعمر بعد وفاة الرسول. .(٢٩).

إن مثل تلك الروايات إنما تشير إلى ان الرسول(ﷺ) قد أجلى الأمور أمام الأمة وحدد لها معالم الانحراف عن خط الإسلام. وهى تشير أيضاً إلى ان هناك الكثير من الصحابة الذين كانت لديهم دراية بأخبار الحوادث التى سوف تقع بعد وفاة الرسول مثل حذيفة. .(٣٠)

ومن المعروف أن الإمام على لم يشهر سيفاً بعد وفاة الرسول(ﷺ) إلا على أهل القبلة وقد شهر هذا السيف فى وجه عائشة والزبير وطلحة ومعاوية وابن العاص والخوارج. وهذا كله يشير إلى أن لديه علم خاص يبيح له فعل ذلك. .

كما أنه من المعروف أن جميع العقائد والاتجاهات التى خالفت خط الإمام على وفى مقدمتها عقيدة أهل السنة قد قامت على التأويل. .(٣١).

إن الإمام قد تعايش مع واقع رافض له غير راض عنه لا مستسلماً له. وهو فوق ذلك له وضعه المتميز فيه والذى يتلائم مع مكانته وقدره ووزنه. وقد اتخذه كل من الخليفة الأول والثانى مستشاراً شرعياً وسياسياً له. .

يقول الإمام: اما والله لقد تقمصها فلان ـ أبو بكر ـ وإنه ليعلم أن محلى منها

---

(٢٧) المرجع السابق

(٢٨) انظر مسلم

(٢٩) انظر تفسير الكشاف للزمخشرى وكتب التفسير الأخرى. .

(٣٠) انظر رواية البخارى فى حذيفة صاحب سر رسول الله(ﷺ) كتاب فضائل الصحابه. ورواية كان الناس يسألون الرسول عن الخير وكنت أسأله عن الشر. كتاب الفتن. وانظر المحطة الخامسة من هذا الكتاب.

(٣١) انظر لنا كتاب الخدعة. وكتاب عقائد السنة وعقائد الشيعة. .وانظر المحطة الخامسة من هذا الكتاب.

محل القطب من الرحا ينحدر عني السيل ولا يرقى إلي الطير. فسدلت دونها ثوباً وطويت عنها كشحاً وطفقت أرتئي بين أن أصول بيد جزاء أو أصبر طخية عمياء يهرم فيها الكبير ويشيب فيها الصغير ويكدح فيها مؤمن حتى يلقى ربه فرأيت ان الصبر على هاتا أحجي. فصبرت وفي العين قذى وفي الحلق شجا. أرى تراثي نهبا حتى مضى الأول لسبيله فأدلى إلى فلان بعده ـ عمر ـ فياعجبا. بينا هو يستقيلها في حياته إذ عقدها لآخر بعد وفاته. لشد ما تشطرا ضرعيها فصيرها في حوزة خشناء يغلظ كلمها ويخشن مسها ويكثر العثار فيها والاعتذار منها فصاحبها كراكب الصعبة أن أشنق لها خرم وان أسلس لها تقحم. فمني الناس ـ لعمر الله ـ بخبط وشماس وتلون واعتراض فصبرت على طول المدة وشدة المحنة. حتى إذا مضى لسبيله جعلها في جماعة زعم أني أحدهم. فيالله وللشورى متى أعترض الريب في مع الأول منهم حتى صرت أقرن إلى هذه النظائر لكني اسففت إذ أسفوا وطرت إذ طاروا فصغى رجل منهم لضغنه. ومال الآخر لصهره مع هن وهن..[٣٢]

مناقشة الروايات

يبدو لنا من خلال رصد الروايات التي تدور حول أحداث السقيفة أن هناك الكثير من التساؤلات وعلامات الأستفهام التي تدور في الأذهان بمجرد قراءة هذه الروايات..

وسوف نعرض هنا لبعض الملاحظات حول هذه الروايات ونبدأ مناقشتنا لها على أساسها.

* **الملاحظة الأولى**: ان الأنصار أرادوا الاستئثار بأمر الخلافة وهم طائفة لا يمثلون جميع المسلمين.. والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هو: على أي أساس استند الأنصار في موقفهم هذا..؟

ان الأنصار لم يتحصنوا في موقفهم هذا بدليل شرعي محدد. فقط هم حاولوا ان يستثمروا مكانتهم ودورهم في إيواء الرسول ونصرته.. ولكن هل يعد هذا سبباً كافياً لمطالبتهم بالخلافة..؟

(٣٢) نهج البلاغة جـ ١ خطبة رقم ٣

ليس هناك من إجابة على هذا السؤال سوى ان الدافع القبلى قد تسلط على القوم حتى أدى فى النهاية إلى انقسامهم وإضعاف شوكتهم بتحالف الأوس مع جناح أبو بكر وعمر مخافة أن تسيطر الخزرج على الأمر ويصبحون تحت إمرتها. وهذا عمل قبلى فى المقام الأول قدمت فيه الحسابات القبلية على الحسابات الشرعية. أو بمعنى أكثر وضوحاً قدمت فيه مصلحة القبلية على مصلحة الدعوة..

وعلى الرغم من تبعات هذا الموقف من قبل الأوس وآثاره على وحدة المسلمين واستقرار المجتمع الإسلامى إلا أن الجناح القرشى بزعامة أبى بكر استقبله بالترحاب واستثمره لصالحه..

* **الملاحظة الثانية:** ان عمر كان المحرك الفعلى للأحداث وبدا أبو بكر وكأنه تابع له.. والسؤال الذى يطرح نفسه هنا: لماذا تصدى عمر للأمر وتخطى كبار المهاجرين وآل البيت..؟

هناك جواب جاهز عند البعض وهو أن عمر فعل ذلك من أجل الحفاظ على الدعوة وتأمين مستقبلها وينتفى عنه أى عرض آخر لعظيم مكانته عند الرسول بحكم النصوص الواردة فيه..

إلا ان الروايات تدحض هذا التصور وتشكك فيه..

يروى البخاري: ان عمر طاف فى المدينة بعد وفاة الرسول(ﷺ) وهو يصيح مقسماً: والله ما مات رسول الله. والله ما كان يقع فى نفسى إلا ذاك. وليبعثنه الله فليقطعن أيدى رجال وأرجلهم. وجاء أبو بكر فقال: أيها الحالف على رسلك. فلما تكلم أبو بكر جلس عمر..[٣٣].

أن هذه الرواية تشير إلى ان عمر لم يكن يعتقد فى وفاة الرسول(ﷺ) وانه حسب روايات أخرى ـ ذهب ليكلم ربه ويعود كما حدث لموسى. ونحن لن نناقش هنا مدى صحة هذا الاعتقاد وكيف طرأ على ذهن واحد مثل عمر وهو من هو. إلا أن ما نريد توضيحه أن هذا الموقف من قبله يكشف لنا أن فكرة تبنيه موضوع الخلافة كانت فكرة طارئة عليه لم تكن تشغله بعد وفاة الرسول وإنما كان يشغله

---

(٣٣) انظر البخارى كتاب فضائل الصحابة باب فضل ابى بكر.

موت الرسول وبعثه وعودته حتى جاء أبو بكر فبصره بالأمر وتلى عليه قوله تعالى: ﴿وما كان محمد أبا أحداً من رجالكم أفإن مات أو قتل إنقلبتم على أعقابكم﴾(*).

فقال عمر كأنى اسمع هذه الآية لأول مره. ثم انه سكن وهدأ وأتاه خبر السقيفة فهرع إلى هناك مصطحباً أبا بكر وأبا عبيدة بن الجراح..

والسؤال الذى يطرح نفسه هنا هل كان عمر غير مستوعب لنصوص القرآن التى تتنزل على الرسول(ﷺ) حتى يدعى أن الرسول سوف يعود بعد وفاته ويتوعد من يقول بوفاته؟

وإذا كان عمر بهذا المستوى من الفهم أفلا يشير هذا إلى أنه لم يفهم النصوص القرآنية الأخرى الواردة بشأن آل البيت والإمام على ومستقبل الدعوة..؟

وإذا كان عمر قد تصدى لأمر الخلافة من باب المصلحة وكان متحمساً للأمر ويصول ويجول هنا وهناك من أجل أخذ البيعة لأبى بكر. فلماذا لم يكن صاحب المصلحة أبو بكر بنفس المستوى من الحماس ومن المفروض أن يكون حماسه يفوق حماس عمر. وقد أشارت الروايات إلى أنه كان مشغولاً وقت وفاة الرسول(ﷺ) بشيء آخر لم توضحه الروايات.. وكان عمر يلح على طلبه بينما هو يتمنع حتى أعلمه بخبر السقيفة فانطلق معه..

والسؤال الذى يطرح نفسه هنا هو: أى شيء كان يشغل ابو بكر غير تجهيز الرسول..؟.

وأى ما تكون الإجابة فإن الأمر المقطوع به أنه كان مشغولاً بأمر غير الخلافة حتى جاء عمّر فأحيا الفكرة فى نفسه..

ومن هنا يتضح لنا ان فكرة الخلافة كانت طارئة أيضاً على ابى بكر كما كانت طارئة على عمر وهى لا تخرج عن كونها رد فعل لموقف الأنصار ومبادرتهم السريعة المفاجئة لقريش..

(*) سورة آل عمران.

لكن الأمر يوحي وكأن هناك طرف ثالث هو أحق بهذا الأمر ويتسابق كل من الأنصار والمهاجرين لكي يفوت عليه الفرصة.

وليس هناك من تفسير لموقف عمر وتحالفه مع أبي بكر الطاعن في السن. ضد القطاعات الأخرى. سوى أن شخصية أبي بكر كانت تتيح له ذلك..

تتيح له أن يتسلقها لكي يحقق مآربه..

وتتيح له التحصن بها في مواجهة الآخرين..

وعمر لم يكن يجرؤ على ترشيح نفسه للخلافة بعد وفاة الرسول(ﷺ) لأن الظروف غير ملائمة لكنه ناولها لأبي بكر ثم تناولها منه..

ولو كان عمر بهذه المكانة التي تضعه فيها الأحاديث لكان من الأولى له أن يتصدى لأمر الخلافة وهو القوى الشديد بدلاً من رجل ضعيف كهل كأبي بكر..

ولو كان عمر بهذه المكانة ماناطحته الانصار وتطاولت عليه عندما خطب فيهم. واحتدمعه الحباب قائلاً: لاتسمعوا مقالة هذا. وعندما قال له عمر: يقتلك الله. رد عليه: بل إياك يقتل. . وما أمسك قيس بن سعد بلحيته وهدده..

إن القوم بين أن يكونوا قد طغت عليهم القبلية فنسوا أخلاق الاسلام وتجاوزوها. أو يكونوا أصحاب مقادير متساوية ووزن واحد ولايملك كل منها ما يرجح به كفته على الآخر من نصوص الشرع.

والراجح الأمرين معاً..

وإذا كان عمر قد أحتج على الأنصار بقوله: ولكن العرب لا تمتنع أن تولي أمورها من كانت النبوة فيهم. فإن هذا القول يوجب عليه التنحى مع صاحبه وإفساح الطريق أمام أهل بيت النبي(ﷺ) فإنهم أرقى بيوت قريش، فلا هو ولا صاحبه يمثلان بيتاً راقياً في قريش. وهذا هو ما استفز أبو سفيان ودفعه لتحريض الإمام بقوله: ما بال هذا الأمر في أذل قبيله من قريش وأقلها..

وتأمل تعليق ابن حجر على قول عمر لسعد بن عبادة: أقتلوه. قتله الله..

يقول ابن حجر: نعم لم يرد الأمر بقتله حقيقة. وأما قوله قتله الله فهو دعاء عليه وعلى الأول هو إخبار عن إهماله والأعراض عنه. وفي حديث مالك فقلت ـ عمر ـ وأنا مغضب: قتل الله سعداً فإنه صاحب شر وفتنة.[٣٤]

ان ابن حجر بتعليقه هذا يسير على نهج التبرير والتأويل الذي يعتمده أهل السنة في مواجهة الحوادث والنصوص التي توقعهم في حرج شرعي..

ويتمادى ابن حجر في تأويل كلام عمر وتبرير مواقفه هو وصاحبه قائلاً: وتركوا لأجل أقامتها(الخلافة) أعظم المهمات وهو التشاغل بدفن الرسول حتى فرغوا منها. والمدة المذكورة ـ أي مدة تركهم الرسول والأنشغال بالخلافة ـ زمن يسير في بعض يوم يغتفر مثله لإجتماع الكلمة.[٣٥]

ويروى البخاري رواية تبريرية أخرى لمواقف عمر وممارساته في السقيفة. تقول الرواية: لقد خوف عمر الناس وأن فيهم لنفاقاً فردهم الله بذلك.[٣٦]

وقد جاءت هذه الرواية على لسان عائشة ابنة ابي بكر ومعنى هذا الكلام ان أسلوب العنف والإرهاب الذي مارسه عمر على الرافضين بيعة ابي بكر كان عملاً حسناً حاز رضا الله ومعونته.

وعائشة بهذا تكون قد حكمت على كل الرافضين لخلافة أبي بكر من بني هاشم والأنصار وغيرهم بالنفاق. ألا يعني مثل هذا الكلام مساساً بعدالة جميع الصحابة التي يعتقدها أهل السنة ويفسرون على ضوئها الأحداث التي وقعت بعد وفاة الرسول(ﷺ) بداية من السقيفة وحتى صفين.؟[٣٧]

---

(٣٤) انظر فتح الباري شرح البخاري جـ ٧/ ٣٢.

(٣٥) المرجع السابق..

(٣٦) البخاري كتاب فضائل الصحابة. باب فضل ابي بكر..

(٣٧) أنظر كتاب العواصم من القواصم لأبي بكر بن العربي، وهو كتاب يضفي صفة العدالة على جميع الصحابة ويقوم بتأويل النصوص الواردة في ذمهم وتبرير الأحداث التي ارتبطوا بها بمالا يمسهم وبما يخدم الخط الاموي. انظر فتاوى ابن تيمية جـ ٣٥. وابن كثير البداية والنهاية. وانظر المحطات القادمة من الكتاب..

* الملاحظة الثالثة: لماذا جاءت قبيلة أسلم إلى المدينة ومن الذى استدعاها. ولماذا أيقن عمر بالنصر فور رؤيتها..؟

إن الإجابة على هذه التساؤلات يدفعنا إلى إلقاء الضوء على الجانب الأكثر أهمية فى أحداث السقيفة. جانب التحول من الجدال والنقاش إلى فرض الرأى بالقوة المسلحة..

لقد كان دخول قبيلة أسلم إلى المدينة أشبه بالإنقلاب العسكرى وهو دخول مرتب له من قبل بلا شك من قبل فريق عمر..

ويبدو أن الصراع بين فريق عمر وفريق الأنصار قد دخل طوراً حرجاً بحيث اهتزت كفة عمر وفريقه ورجحت كفة الأنصار أو من الممكن أن يكون الأنصار قد مالوا للإمام علي وحسموا الخلاف بينهم. وعمر وفريقه ليس بذاك الوزن الفاعل فى المدينة. فضلاً عن كونه من الوافدين عليها مع المهاجرين هو لا يمثل كل المهاجرين ولا جميع قريش. فهناك قطاع من المهاجرين مع الإمام. وهناك قطاع من قريش ينتظر النتيجة أو هو لا يعلم ما يجرى هناك.

ولعل هذا الوضع يفسر لنا قول عمر حين رأى قوات قبيلة أسلم تدخل المدينة الآن أيقنت بالنصر. وهذا بشير بصورة غير مباشرة ان عمر وفريقه هو الذى استدعى تلك القوات. ألا يدل مثل هذا التصرف ان جانب عمر قد فقد ميزانه الشرعي والأخلاقي. كما يشير من جانب آخر إلى ان النصوص التى واجه فريق عمر فريق الأنصار بها هى نصوص من اختراع تلك المرحلة. ولو كانت هذه النصوص صحيحة ومعترف بها ما نازعهم أحد ولكانت قد حسمت الصراع فى مهده..

ويبدو ان اللغط والجدال حول أحقية أبى بكر بالخلافة قد امتد إلى فترات لاحقة مما استدعى الأمر إلى ضرورة اختراع أحاديث على لسان الرسول(ﷺ) تحدد الخلافة لأبى بكر فى صراحة ووضوح وترفع من مكانته. لينتج عنها صنع هالة

مقدسة حول ابى بكر تمنع المساس به أو الخوض فى شخصه وتقطع الطريق أما أية محاولات لإعادة قراءة مرحلة السقيفة . .(٣٨)

ونفس هذا الأمر قد تم تطبيقه مع الخليفة الثانى حيث اخترعت له الكثير من المناقب التى رفعته حتى فوق الرسول نفسه أو ساوته به . .(٣٩)

وقاموا بنفس الأمر مع الخليفة الثالث غير ان ممارساته ومواقفه المخالفة للكتاب والسنة والمضرة بمصالح المسلمين قد فضحته وعرته . .(٤٠)

أما الإمام على فقد فعلوا معه العكس من ذلك وبدلا من أن يضفوا عليه المناقب كما فعلوا مع السابقين . قاموا بالطعن فى المناقب الواردة فيه والعمل على التقليل من شأنه بمساواته بمعاوية واعتبار الخارجين على حكمه بمثابة المجتهدين المأجورين . .(٤١)

* **الملاحظة الرابعة: أين الإمام علي . . ؟**

إن المتتبع لأحداث السقيفة يكتشف غياب كثير من الرموز البارزة من الصحابة وعلى رأسهم الإمام على فأين كان هؤلاء ولماذا انشغلوا عن هذا الحدث الضخم وهو اختيار خليفتهم؟ . . أين أبوذر . وأين المقداد . وأين الزبير . وأين جابر بن

---

(٣٨) انظر البخارى ومسلم باب فضل ابى بكر . ومن هذه الروايات : أتت امرأة إلى النبي (ﷺ) فأمرها ان ترجع إليه . فقالت أرأيت ان جئت ولم أجدك . . قال النبي : ان لم تجديني فأتي أبا بكر .

وعلى لسان الإمام على رواية تقول سئل الإمام من ولده ابن الحنفية أى الناس خير بعد رسول الله (ﷺ) قال : ابو بكر . قال ثم من؟ قال : عمر . وخشيت ان يقول عثمان قلت ثم انت . قال : ما أنا إلّا رجل من المسلمين . .

(٣٩) انظر البخارى ومسلم . ومن هذه الروايات قول الرسول (ﷺ) لعمر : . . مالقيك الشيطان قط سالكاً فجاً إلا سلك فجاً غير فجك . وقول الرسول فيه : لم أر عبقرياً يفرى فريه . وقوله كان قبلكم من بنى إسرائيل رجال يكلمون من غير ان يكونوا انبياء فإن يكن فى أمتى منهم أحد فعمر . انظر لنا كتاب الخدعة . وانظر المحطة القادمة . .

(٤٠) انظر مناقب عثمان فى البخارى ومسلم وشرحيهما لابن حجر والنووي . وانظر كتاب الخدعة والمحطة الرابعة

(٤١) انظر مناقب الإمام على فى المرجعين السابقين . وانظر الخدعة والمحطة الخامسة .

عبدالله . وأين أبى بن كعب وبلال بن رباح وحذيفة بن اليمان وخزيمة ذى الشهادتين وعمار بن ياسر وأبو ايوب الأنصارى وأبو سعيد الجذرى والبراء بن مالك وخباب بن الأرت ورفاعه بن مالك وأبى الطفيل عامر بن واثلة وغيرهم . .

لقد كان اختفاء كل هؤلاء من سقيفة بنى ساعدة عامل قلق لفريق عمر. حيث أن هذه الشخصيات الغائبة لها وزنها وفاعليتها ومن الممكن أن تشكل تحدياً لهذا الفريق مستقبلاً . .

تروى الروايات أن الإمام ومعه عصبة من الصحابة كان مشغولاً بتجهيز الرسول للدفن بينما كان القوم يتصارعون على الخلافة فى السقيفة . .(٤٢)

والسؤال الذى يطرح نفسه هنا: هل من أخلاق المسلمين أن يتركوا رسولهم فى مثل هذا الحال ويتصارعوا على الحكم . . ؟ .

أين ما تعلموه من الرسول اذن . . ؟ .

لقد ترك الرسول فى حياته فى مواقف كثيرة من قبل هولاء الناس.

ترك في أحد.

وترك فى مسجده وهو يخطب فيهم ونزل فيهم قوله تعالى(وتركوك قائما) وترك وهو يلفظ أنفاسه وطلب منهم إحضار قلم وقرطاس ليكتب لهم كتاباً لا يضلوا بعده أبداً.

وترك بعد وفاته . .(٤٣).

ومثل هذا السلوك إن دل على شىء فإنما يدل على مدى استحكام أمر الدنيا وطغيانها على كثير من هؤلاء . .

ولعل هذا هو ما يشير إليه قوله تعالى(منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة)

---

(٤٢) انظر كتب التاريخ.

(٤٣) انظر كتب السيرة والتاريخ وتفسير سورة الجمعة وراجع باب وفاة الرسول(ﷺ)

* الملاحظة الخامسة: بيعه ابى بكر كانت فلتة.. لماذا..؟

الحمد لله ان هذه المقالة جاءت على لسان عمر مدبر أحداث السقيفة وقاطف ثمرتها ولو كانت قد جاءت على لسان سواه لكانَ للقوم فيها كلام آخر..

لقد قال عمر ما نصه: ألا أن بيعة أبا بكر كانت فلتة وقى الله الأمة شرها. فمن عاد إلى مثلها فاقتلوه. فأيما رجل بايع من غير مشورة من المسلمين فإنهما تغرة أن يقتلا...(٤٤)

أليس هذا اعتراف صريح من عمر بأن ما حدث في السقيفة كان أمراً بعيداً عن الشورى بل كان بعيداً عن روح الإسلام بحيث يوجب على فاعله القتل تقديراً لخطورته وجسامته وآثاره الوخيمة على الأمة..

ان قول عمر هذا يؤكد ان حروب الردة ومانعي الزكاة التي خاضتها قوات ابوبكر بقيادة خالد بن الوليد لم تكن في حقيقتها سوى حركة تمرد على حكم ابى بكر: وقد تكون هناك حالة ردة من البعض إلا ان الظاهر ان هذا الصدام العسكرى كانت له اسبابه القبلية ولعل قمع خالد وتجاوزته في مواجهة هذه الانتفاضة ما يدعم هذا التصور..(٤٥)

وكان مناسبة هذا الكلام كما يروى البخارى ان عمر بلغه كلام إناس يقولون لو مات مات عمر لتولاها فلان. فقام عمر خطيباً وقال هذا الكلام..(٤٦)

فهل كان المقصود من كلام عمر هذا هو ردع اتجاه برز في المدينة ينادى بالشورى ويطعن في أحداث السقيفة وطريقة اختيار الخليفة الأول..؟

لا يعنينا هنا بقدر كبير الإجابة على هذا السؤال وان كانت إجابته واضحة. وإنما

(٤٤) انظر البخارى كتاب المحاربين ومسند أحمد جـ١ وفتح البارى جـ١٢.

(٤٥) انظر حوادث الردة في عصر ابى بكر في كتب التاريخ. وقصة خالد مع مالك بن نويره.

(٤٦) انظر البخارى وفتح البارى جـ٧ كتاب فضائل الصحابة.

يعنينا هو اعتراف عمر بأنه بيعة أبابكر كانت فلتة وكان من الممكن أن تكون لها آثاراً خطيرة على الأمة لولا لطف الله. فإن كلام عمر هذا لا يعنى إلا شيئاً واحداً هو أن بيعته هو أيضاً كانت فلتة..

فلماذا قال عمر عن بيعة ابى بكر أنها كانت فلتة ونسى أنه استخلف بوصية منه..؟

ويروى البخارى ان عمر قال: كنت أرجو ان يعيش رسول الله(ﷺ) حتى يدبرنا. فإن يك قد مات فإن الله قد جعل بين أظهركم نورا تهتدون به بما هدى الله محمدا. وان أبا بكر صاحب رسول الله ثانى اثنين. فإنه أولى الناس بأموركم فقوموا فبايعوه.

وقال عمر لأبى بكر إصعد المنبر. فلم يزل به حتى صعد المنبر فبايعه الناس عامة. [٤٧]

ورواية البخارى المذكورة تعطينا إشارات جديدة حول موقف عمر وكونه المحرك الأول لعملية اختيار ابى بكر. وهى تكشف لنا من وجه آخر أن ابا بكر قد أقحم في الأمر ولم تكن له رغبة فيه وهذا واضح من إلحاح عمر عليه بالصعود إلى المنبر ليبايعه الناس. وهذه إشارة إلى كونه غير منصوص عليه بشيء وأن الأمر لا يخرج عن كونه محاولة استثمار لظرف طارىء..

وهذا أبو بكر يقول: هذا عمر وابو عبيدة فأيهما شئتم فبايعوا..

فإذا كان أبو بكر قد تنازل عن ترشيح نفسه وقدم عمر وابو عبيده ألا يدل هذا على أن الأمر لا يخرج عن كونه مواقف فردية ارتجلت فى حينها لمواجهة الأنصار..؟

وإذا ما تأملنا قول عمر: وانا والله ما وجدنا أمرا هو أقوى من مبايعة أبى بكر.

---

(٤٧) المرجع السابق.

إنا خشينا إن فارقنا القوم - الأنصار - ولم تكــن بيعة أن يحدثوا بعدنا بيعة. فإما أن نبايعهم على ما نرضى أو نخالفهم فيكون الفشل..

وتأمل قوله وهو فى الطريق إلى السقيفة ومعه ابو بكر وابو عبيدة محدثاً نفسه: كنت أزور فى نفسى كلامــاً فى الطريق فلما وصلنا السقيــفة أردت أن اتكلم. فقال ابو بكر. مه ياعم.. وذكر ما كنت أقدره فى نفسى كأنه يخبر عن غيب. (٤٨)

من هذه الروايات نلخص إلى أن الأمر كان من ترتيب القوم بـزعامة عمر ولم يكن له وجهه الشــرعى ويتضح هذا الأمر من قول عمر حين وفــاته: لو كان سالم مولى حذيفة حياً لوليته وسالم هو عتيق حذيفة. وهو بهذا يخالف نص الإمامة فى قريش وينــاقض نفسه حين احــتج على الأنصار بـقوله: ولكن العــرب لا تمتنع أن تولى امورها من كانت النبوة فيهم.

المحطة الثالـثة
عمر بن الخطـاب

وبـدا معاويـة يطـل برأسـه..

ان الشورى لا تثمر إلا شورى والاستبداد لا يثمر إلا استبدادا . .

ولأن ما جرى في السقيفة لم يكن له صلة بالشورى كان من الطبيعى أن تكون ثمرته مناقضة للشورى . .

وهكذا جاء عمر . فلتة من فلتة . مهد لصاحبه ثم تلقفها منه بوصية من شيخ يحتضر دون حساب لرأى الأمة . .

تقول وصية أبى بكر : هذا ما عهد به ابو بكر بن ابى قحافة . آخر عهده فى الدنيا نازحاً وأول عهده داخلاً بالآخرة . إنى استخلفت عليكم عمر بن الخطاب فإن تروه عدل فيكم فذلك ظنى به . ورجائى فيه . وان بدل وغير فالخير أردت . ولا أعلم الغيب . (وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون) . .[1]

لقد كان على ابى بكر أن يقوم برد الجميل الذى أسداه إليه عمر بتوصيله للحكم فقام هو بدوره ليوصله إلى الحكم وسن لأول مرة فى تاريخ الإسلام نظام توريث الحكم . ذلك النظام الذى استند عليه فقهاء التبرير فيما بعد فى تبرير استيلاء بن أمية وبنى العباس على السلطة فى بلاد المسلمين . كما كانت هذه السنة هى الدفعة الأولى للخط الأموى الذى بدأت ملامحه تبرز فى عهد عمر . .

ولما كان موقف ابو بكر هذا لا سند له من شرع أو شورى فقد أثار المسلمين فى المدينة وتصدى له الكثير من الصحابة بين منكرين له ورافضين . .

وأول الرافضين كان الأنصار . .

وثانيهم آل البيت بزعامة الإمام على . .

وثالثهم طلحة ومن شايعه الذى هرول نحو ابى بكر منكراً قائلاً : ماذا تقول لربك وقد وليت علينا فظاً غليظاً تفرق منه النفوس وتنفض منه القلوب . .[2]

ومن هنا يتبين لنا ان عمر لم يكن مرغوباً فيه وان هذا الرفض لشخصه كانت له مبرراته الناتجة من سلوك عمر ومواقفه الاستفزازية طوال فترة حكم ابو بكر . .

(١) انظر تاريخ الطبرى جـ٣ وطبقات ابن سعد جـ٣ / ١٩٩ والامامة والسياسة وكتب التاريخ.

(٢) انظر طبقات ابن سعد جـ٣/١٩٩ والطبرى جـ٣ .

وإذا كان ما بنى على باطل فهو باطل. فإن خلافة عمر باطلة لكونها بنيت على خلافة باطلة. والأولى والثانية لم تقم بمشورة المسلمين..

وكما فرضت خلافة ابى بكر على المسلمين بقوة السيف فرضت أيضاً خلافة عمر على المسلمين بقوة السيف وبدأ عمر فى قمع الناهضين له وإجبارهم على بيعته وهو يكرر نفس الدور الذى كان يقوم به مع أبى بكر..

عمر والإمام علي

تعايش الإمام على مع عمر كما تعايش مع ابى بكر من قبل. تعايش المغلوب على أمره الإيجابى فى مواجهة الواقع والأحداث. المستعد على الدوام لتقديم المشورة ونصرة المظلوم والبذل والعطاء من أجل صالح الإسلام والمسلمين..

وإذا كانت هناك ضغوط على الإمام فى عصر ابى بكر فإن الضغوط عليه فى عصر عمر أشد لأن عمر كما بينا سابقاً هو رأس الأمر كله. وكان هو الرجل الثانى فى السلطة أيام ابى بكر ان لم يكن هو الحاكم الحقيقى ولم يكن ابو بكر سوى ظل له. فإذا ماتسلم عمر السلطة وهو ما كان يخطط له فلابد وان تكون له سياسة أكثر شدة فى مواجهة آل البيت والإمام على بحكم كونه يمثل جماعة ضغط فاعلة لها وزنها الشرعى والجماهيرى وهى جديرة بالحكم. فضلاً عن اعتقاده بأحقيتها بإمامة المسلمين..

وأمر آخر يبرر موقف عمر المتشدد والعدائى من آل البيت هو قناعته بضآلة قدراته العلمية والقيادية أمام قدرات الإمام على..

يقول عمر عن نفسه بعد أن كثرت أخطائه فى الفتيا وقراراته التى تصطدم بأحكام الإسلام: كل الناس أفقه من عمر..(٣)

ويقول مقراً بضآلته العلمية أمام الإمام على: ما من معضلة ليس لها ابو الحسن..(٤)

---

(٣) انظر قصة عمر مع المرأة حين صعد المنبر ينهي عن المغالاة في المهور حين قال أصابت امرأة وأخطأ عمر في الدر المنثور جـ١/ ١٣٣/ وتفسير قوله تعالى: ﴿وآتيتم احداهن قنطاراً﴾ في كتب التفسير.

(٤) انظر مستدرك الحاكم ويروى الحاكم لم يكن أحد من الصحابة يقول سلونى إلا على.

ويقول أيضاً مبرزاً حجم الموقف الإيجابي الذي التزم به الإمام تجاهه حفاظاً على مصالح المسلمين: لولا علي. لهلك عمر..[5]

وكتب الحديث والتاريخ مليئة بالمواقف والممارسات والأحكام التي أصدرها عمر وتبين اصطدامها مع النصوص ومخالفتها لأحكام الإسلام مما يدل على ضآلة علمه وقلة فقهه وحاجته الماسة لمن يدعمه فقهياً..[6]

فهو قد حرم متعة الحج ومتعة النساء..[7]

وجعل الثلاث طلقات في مكان واحد طلقة بائنة بينونة كبرى لا تحل بعدها الزوجة حتى تنكح زوجاً غيره..[8]

وشرع لصلاة التراويح جماعة ولا جماعة في نفل..[9]

وجعل التكبير في صلاة الجنائز أربعاً بعد ان كان خمساً..[10]

وافتى في المواريث فتاوى تناقض بعضها بعضا..[11]

وتجسس على الناس بمجرد الظن مخالفاً القرآن..[12]

---

(٥) انظر الاستيعاب هامش الاصابة جـ/٣٩. والرياض النضرة جـ٢/ ١٩٤.

(٦) انظر النص والاجتهاد للسيد شرف الدين. ومعالم المدرستين جـ٢ للسيد مرتضى العسكري. وانظر لنافقه الهزيمة فصل الرجل..

(٧) انظر صحيح مسلم والبخاري يتبين لك ان زواج المتعة كان معمولاً به على عهد رسول الله ﷺ وعهد ابى بكر وشطر من عهد عمر حتى حرمها بقوله: متعتان كانتا على عهد رسول الله وأنا أنهى عنهما وأعاقب عليهما: متعة الحج ومتعة النساء..) انظر سنن البيهقي وكتب التفسير. وانظر كتاب المتعة وأثرها في الاصلاح الاجتماعي بيروت. وانظر كتابنا زواج المتعة حلال.

(٨) انظر صحيح مسلم وسنن البيهقي ومسند أحمد وكتب التفسير ويذكر ان الازهر وأهل السنة عموما يطبقون رأى عمر هذا ويلتزمون به ويفتون على أساسه اليوم.

(٩) كانت صلاة التراويح تصلى مثنى مثنى في البيوت على عهد الرسول وعهد أبى بكر حتى جاء عمر فجمع الناس ليصلونها جماعة وكان يقول: انها بدعة ونعمت البدعة انظر البخاري ومسلم كتاب الصلاة.

(١٠) انظر تاريخ الخلفاء للسيوطي.

(١١) انظر البيهقي جـ٦/ ٢٤٥ حيث يروى عن عبيدة قوله: اني لاحفظ عن عمر في الجد مائة قضية كلها ينقض بعضها بعضاً.

(١٢) قصة تجسس عمر على البيوت مشهورة حين تسلق البيت على أصحابه. والله ينهى عن التجسس وانظر سيرة عمر في كتب التاريخ

وأوقف إقامة الحد على المغيرة بن شعبة. [١٣]

ورفض ان يورث أحداً من الاعاجم. [١٤]

ورجم الحبلى والمضطرة واقام الحد بغير وجه حق. [١٥]

وأسهم فى زرع الطبقية بين المسلمين وشاطر العمال أموالهم. [١٦]

وغير ذلك من التجاوزات والمخالفات التى لا يتسع المجال لذكرها هنا والتى تؤكد عدم جدارة عمر لأمر الخلافة وأنه أقحم نفسه فيها..

ولقد كان للإمام على دوراً بارزاً فى التصدى لانحرافات عمر وتجاوزاته للنصوص وأحكامه الجائرة على الرعية وسياسة البطش والإرهاب التى ألقت الرعب فى قلوب الناس حتى أن إمرأة حاملاً أسقطت جنينها خوفاً منه حين بعث فى طلبها وقد جمع كبار الصحابة ليشيروا عليه فى حكم هذا الأمر. [١٧]

وعندما منع زواج المتعة هدد الصحابة من المؤمنين بوجوبه والقائلين به وعلى رأسهم ابن عباس الذى لم يجهر برأيه فى هذا الزواج إلا بعد وفاته. [١٨]

ان التهديد والتخويف علامة بارزة في سياسة عمر وشخصيته من أيام

---

(١٣) شهد مجموعة من الصحابة على المغيرة بن شعبة انه زنى بإمرأة محصنة ذات بعل ولم يقم عمر الحد عليه بل إقامه على الشهود بتهمة القذف انظر ترجمة المغيرة في الاصابة في تمييز الصحابة لابن حجر واسد الغابة لابن الأثير..

(١٤) انظر موطأ مالك جـ٢ / ١٢.

(١٥) حاول عمر ان يقيم الحد على امرأة اضطرت للزنا ولا إثم على المضطر كما حاول ان يقيم الحد على امرأة حبلى من الزنا وإمرأة مجنونة وإمرأة حملت من ستة أشهر وقد تدخل الامام على ومنع إقامة هذه الحدود وأثبت جهل عمر. انظر كتب السنن. وانظر قصة أخذ الدية بغير حق فى الاستيعاب ترجمة ابى خراش الهزلى. وانظر جهله باحكام الصلاة فتح البارى جـ٣/٦٩.

(١٦) قدم عمر البدريين على من سواهم والمهاجرين على الانصار وامهات المؤمنين على غيرهن. وكان يقتسم اموال العمال مثل أبو هريرة عامل البحرين. انظر الاموال لأبى عبيدة وتاريخ عمر بن الخطاب لابن الجوزى وكتب الفقه.

(١٧) انظر تاريخ الخلفاء والبيهقى وكتب السنن وترجمة عمر فى الاصابة وأسد الغابة والاستيعاب.

(١٨) قال عمر لا أوتى برجل تزوج متعة الاغيبته تحت الحجارة. يعنى الرجم.. تأمل. انظر القرطبى تفسير سورة النساء قوله تعالى ﴿ فما استمتعتم به منهن فآتوهن اجورهن﴾ وانظر تفسير الخازن وروح المعانى للألوسي وتفسير ابن كثير وكتب الفقه.

الرسول(ﷺ) عندما كان يرفع شعار(دعنى أضرب عنق هذا المنافق يا رسول الله) وعندما هدد القائلين بوفاة الرسول.

وعندما هدد الأنصار والرافضين لبيعة ابى بكر فى السقيفة..

وإذا كان عمر يمارس الإرهاب فى حدود الأحكام الفقهية وفى حدود الرعية أفلا يمارسها ضد آل البيت الذين يشكلون خطراً على نفوذه وسلطانه..

ومما يشير إلى موقف عمر العدائى تجاه آل البيت إلتزامه بسياسة الحصار الإقتصادى التى وضعها مع ابى بكر تجاه فاطمة وعلى وابنائهما..

يروى ان عثمان والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن ابى وقاص وانس بن مالك دخلوا على عمر. ثم جاء العباس وعلى يختصمان. فقال عمر لهم: أنشدكم بالله الذى بإذنه تقوم السماء والأرض تعلمون ان رسول الله(ﷺ) قال: لا نورث ما تركنا صدقة. قالوا: نعم. قال عمر: فلما توفى رسول الله قال أبو بكر: أنا ولى رسول الله. فجئت انت وهذا إلى ابى بكر تطلب انت ميراثك من ابن أخيك. ويطلب هذا ميراث إمرأته من ابيها. فقال ابو بكر: ان رسول الله قال: لا نورث ما تركنا صدقة والله يعلم إنه صادق بار راشد تابع للحق..(١٩)

وفى رواية أخرى: جاء العباس وعلى إلى عمر يختصمان. فقال العباس: أقضى بينى وبين هذا. فقال الناس: افصل بينهما. افصل بينهما. قال: لن أفصل بينهما قد علما ان رسول الله(ﷺ) قال: لا نورث ما تركنا صدقة..(٢٠)

والواضح من هاتين الروايتين ان الهدف منهما تشويه صورة الإمام على والعباس وآل البيت بصورة عامة. فكل من على والعباس اختصما بسبب المال وتطور الصدام بينهما حتى وصل إلى عمر وشاع أمره بين الناس. وفى هذ طعن

---

(١٩) انظر تاريخ عمر لابن الجوزى والبخارى ومسلم. ويلاحظ هنا ان الخمسة المذكورين فى الرواية هم من أنصار الخط القبلى وخصوم الامام على والأربعة الأول عثمان والزبير وعبدالرحمن وسعد هم من اصحاب الشورى الذين أضيف إليهم طلحة بأمر عمر واختاروا عثمان بعد مصرعه. ترى هل وجودهم عند عمر كان محض صدفه..؟

(٢٠) انظر البخارى ومسلم والترمذى..

فى الإمام وإظهار بمظهر الحريص على الدنيا المتهافت على مطامعها حتى أنه تخاصم مع عم الرسول بسببها . .

إلاأن يعنينا هنا هو كشف موقف عمر العدائى تجاه آل البيت وبحضور عدد من خصومهم مثل انس وسعد وعثمان والزبير وعبد الرحمن والذين من الصعب ان نحمل تواجدهم فى هذا الوقت من قبيل الصدفة.

وحتى لا يتبادر إلى ذهن المسلم ما يشير إلى وجود موقف عدائي من قبل عمر للإمام على حرص انصار الخط الأموى على تبديد أى شك حول وجود أى خلاف بين الطرفين . .

تأمل رواية مسلم عن ابن عباس يقول : وضع عمر بن الخطاب على سريره فتكنفه الناس يدعون ويثنون ويصلون عليه قبل أن يرفع وانا فيهم. قال فلم يرعنى إلا برجل قد أخذ بمنكبى من ورائى فالتفت إليه فإذا هو على فترحم على عمر وقال : ما خلفت أحداً أحب إلى ان ألقى الله بمثل عمله منك وأيم الله ان كنت لأظن ان يجعلك الله مع صاحبيك وذاك انى كنت أكثر أسمع رسول الله(ﷺ) يقول جئت انا وابو بكر وعمر ودخلت انا وابو بكر وعمر. وخرجت أنا وابو بكر وعمر فإن كنت لأرجوا ولأظن ان يجعلك الله معهما . .(٢١)

ويروى البخارى على لسان الإمام جواباً على سؤال ولده محمد بن الحنفية قال : قلت لأبى : أى الناس خير بعد رسول الله(ﷺ) قال : ابو بكر . قلت ثم من؟ قال : ثم عمر . وخشيت ان يقول عثمان قلت ثم انت . قال : ما انا إلا رجل من المسلمين . .

ويلاحظ من هاتين الروايتين انهما لا تهدفان فقط إلى إثبات رضا الإمام عن عمر ومودته له واعترافه بأفضليته عليه . وانماتهدفان أيضاً إلى إثبات نفس الموقف على اتباع الإمام على وشيعته من الصحابة وحتى من آل البيت . ان هؤلاء الأشياع والأتباع يوالو ن عمر ويحبونه مما ينفى تبعاً وجود أى خلاف أوعداء بين عمر وعلى . .

(٢١) مسند أحمد ١/ ٤٩ . وانظر البخارى.

عمر ومعاويه

إن الراصد لسيرة عمر يكتشف عدم وجود أية مواقف عدائية تجاه بنى أمية وعلى رأسهم أبو سفيان ومعاوية ولده. بل من الممكن للراصد ان يجد العكس من ذلك. فقد قام عمر بوقف نصيب المؤلفة قلوبهم الذى كان يعطى من الزكاة على عهد الرسول(ﷺ) وعهد أبى بكر وأصبح بالتالى معاوية وأبوه كبقية المسلمين بعد ان كانا من المؤلفة قلوبهم..[٢٢]

ولم يقف الأمر عند حد تحرير معاوية وابوه من إطار المؤلفة قلوبهم ورفعه إلى درجة المسلمين. بل تمادى عمر فى موقفه المبارك لبنى أمية وقام بتولية معاوية على الشام مكان أخيه يزيد..[٢٣]

والسؤال الذى يطرح نفسه هنا: لماذا فعل عمر ذلك..؟

ألم يجد بين المسلمين من هو أجدر منه بهذه المهمة..؟

وهل نسى عمر تاريخ بنى امية وتاريخ أبو سفيان فى مواجهة الدعوة ومحاربة الرسول..؟

وما هى المقومات التى كان يملكها معاوية حتى يسلمه الشام..؟

هل كان من المهاجرين..؟

هل كان من المجاهدين..؟

هل كان من المقربين للرسول(ﷺ).

هل كان من أهل العلم..؟

بالطبع لم يكن من هؤلاء والثابت أنه كان من الطلقاء..[٢٤]

---

(٢٢) انظر الاستيعاب ترجمة معاوية..وكتب التاريخ..

(٢٣) انظر الاصابة فى تمييز الصحابة والاستيعاب ترجمة معاوية وانظر كتب التاريخ.

(٢٤) كان معاوية وابوه من الطلقاء. والطلقاء تعبير أطلقه الرسول ﷺ على أهل مكة حين فتحها بقوله: اذهبوا فانتم الطلقاء. والطلقاء كانوا من المؤلفة قلوبهم. والثابت عند أهل العلم انه لم تصح فى معاوية منقبة أى لم يذكر الرسول فيه شيئاً حسناً. انظر فتح البارى جـ٧/ كتاب فضائل أصحاب رسول الله باب ذكر معاوية. وانظر سنن النسائى وكتابه خصائص الامام على. ويذكر ان النسائى قتل على أيدي أهل الشام لرفضه =

فكيف بطليق ابن طليق أن يلى أمر المسلمين فى حضرة كبارالصحابة ووجود آل البيت . ؟

وكيف بعمر على شدته فى الحق وتقواه أن يقدم على مثل هذا الأمر . . ؟

يبدو لنا من خلال رصد علاقة عمر بمعاوية أن هناك شيئاً غامضا يبلور علاقته به وهذا الشيء غير واضح فى كتب التاريخ . .

ربما يكون عمر قد أحس بضعفه فى مواجهة خصومه فأراد أن يتحصن ببنى أمية . .

وربما أراد أن يضع حجر عثرة فى طريق حركة آل البيت من بعده . .

وربما يكون فى الأمر شيئاً آخر. إلا أن ما يعنينا قوله هو أن توليـة معاوية على الشام لا يمكن اعتباره مجرد خطأ . .

لقد أخذ الخط الأموى دفعـته الأولى من عمر بتمكين معـاوية على أرض الشام وبدأ يعد العدة لتحطيم العوائق التى تقف فى طريقه وعلى رأسها دولة الخلافة . .

ولابد لنا من استقصـاء الروايات التى تتعلق بموقف عمر من معـاوية حتى يتبين لنا الأمر بصورة أكثر وضوحاً . .

يروى ابن حجر: كان عمر إذا نظر إلى معاوية قال هذا كسرى العرب . .(٢٥)

أما منـاسبة هذا الكلام فيرويها ابن عبـد البر: قال عمر إذ دخـل الشام ورأى معاوية: هذا كسرى العرب. وكان قد تلقاه معـاوية فى موكب عظيم. فلما دنا منه قال له انت صاحب الموكب العظيم. قال نعم يا أمـير المؤمنين. قال ما يبلغنى عنك من وقوف ذوى الحاجات ببابك . . ؟ قال مع ما يبلغك من ذلك. قال: ولم تفعل هذا . . ؟

قال نحن بأرض جـواسيس العدو بها كثيـر فيجب ان نظهر من عز السـلطان ما نرهبهم به. فإن أمرتنى فعلت وان نهيتنـى انتهيت فقال عمر لمعاوية: ما أسألك عن شيء إلا تركتنى فى مثل رواجب الضـرس ان كان ما قلت حقاً إنه لرأى أريب وان

= كتابه كتـاب يثنى فيه على معاوية ويجمع فيه مناقبه كما فعل مع الامـام على. انظر ترجمة النسـائى فى وفيات الاعيان لابن خلكان وغيره من كتب التراجم . . .

(٢٥) انظر الاستيعاب ومقدمة ابن خلدون.

كـان باطـلاً انـه لخدعـة أديب. قـال فـمرنـي يـاأميـر المؤمـيـنن. قال لا آمـرك ولا أنهاك. . (٢٦)

والمتأمـل في هذه الرواية يـكتشف مدى تـواطؤ عمر مع مـعاوية وتغاضيه عن انحرافاتـه الخطيرة. فكيف نـوفق بين موقف عمر هـذا وبين موقفه من الـصحابة الآخريـن الذين ولا هـم على الأمـصار وكان يـوجعهـم بدرته ويـصادر أموالـهم ويعزلهم عن وظائفهم. . ؟

وإذا ما تأملنا حجة مـعاوية بإرهاب العدو بعز السلطان فإننا نـكتشف أنها حجة واهية وهي تضع عمر بين أمرين:

إما أنه ساذج استغفله معاوية. .

وإما أنه متواطىء معه. .

وقول عمر لمعاوية لا آمرك ولا أنهاك إنما يرجح الامر الثاني. .

ولقد كـان العرب يخـرجون للغزو حـفاة عراة رجالاً وركـباناً يواجـهون الروم والفرس وينتصرون عليهم بدون أبهة الملك وعز السلطان. .

وإذا كان عز السلطان يرهب العدو كما يدعي معاوية فمن الأولى أن يظهره عمر وهو الخليفة لا أن يظهره معاوية وهو الوالي من قبل عمر. .

ويروي أن معاوية صحب عـمر في رحلة الحج وكان في كامل هيئـته فقال عمر بخ بخ إذ نحن خير الناس ان جمع لنـا خير الدنيا والآخرة. حتى إذا جاء ذا طوى أخرج معاويـة حلة فلبسها فـوجد عمر منها ريحـاً كأنه ريح طيب. فهاجـمه عمر: فقال معاوية: إنما لبـستها لأدخل بها على عشيرتي ياعم والله لقـد بلغني أذاك ههنا وبالشام. . (٢٧)

ومن الواضح من خلال هـذه الرواية أن علاقة عمر بمعاوية تفـوق كونها علاقة

---

(٢٦) انظر الاستيعاب . ويذكر ان راتب معاوية السنوي بلغ عشرة الاف دينار. وفي رواية بلغ راتبه الشهري الف دينار.

(٢٧) انظر الاصابة ترجمة معاوية.

بين خليفة وواحد من عماله. فإن اللغة التي يخاطب بها معاوية عمر إنما تشير إلى أن معاوية يشكل نداً لعمر..

ويروى ان معاوية دخل على عمر وعليه حلة خضراء فنظر إليه الصحابه. فلما رأى ذلك عمر قام ومعه الدرة فجعل ضرباً بمعاوية ومعاوية يقول الله الله ياأمير المؤمنين فيم فيم. فلم يكلمه حتى رجع فجلس في مجلسه. فقالوا له لم ضربت الفتى وما في قومك مثله؟

فقال ما رأيت إلا خيراً وما بلغني إلا خير ولكني رأيته وأشار بيده يعني إلى فوق فأردت أن أضع منه..[28]

فتأمل قول عمر ما رأيت إلا خيراً وما بلغني إلا خير. أى أن سيرة معاوية ومواقفه محل رضا عمر التام والشيء الوحيد الذى استفز عمر في شخصية معاوية هو غروره فقام بضربه ليحط منه ويقضي على غروره.. فهل قضى عمر على غرور معاوية وحال بينه وبين تطلعاته..؟

وتلفت انتباهنا ملاحظة هامة من خلال هذه الرواية وهي قول جلساء عمر: لم ضربت الفتى وما في قومك مثله..؟

فمن الواضح أن أصحاب هذا القول هم من أنصار الخط الأموى. إذ كيف يجعلون معاوية لا يساويه أحد من الصحابة. وكيف يقبل عمر منهم هذا القول؟

اننا بعد عرض هذه الروايات لا نكون مبالغين إذا ما قلنا أن معاوية إنما هو من صناعة عمر. استظل به واحتمى بحمايته.

وان عمر كان يدرك تماماً مدى خطورة معاوية وأطماعه ولعله قد بلغه تحذير الرسول (ﷺ) من بنى أمية..[29]

---

(٢٨) المرجع السابق.

(٢٩) وردت عدة أحاديث تذم بنى أمية على لسان الرسول ﷺ مثل قوله: هلاك أمتي على يدى غلمة من قريش. قال أبو هريرة ان شئت ان اسميهم بنى فلان وبنى فلان. وقوله يهلك الناس هذا الحى من قريش. قالوا فما تأمرنا؟ قال: لو ان الناس اعتزلوهم. كما ورد عن الرسول قوله ان بنى أمية هم الشجرة الملعونة فى القرآن. انظر الدر المنثور ٤/ ١٩١ وانظر البخاري كتاب الفتن....

وان إدراك عمر لخطورة معاوية ليتجلى لنا بوضوح من خلال تصريحه لمجموعة الشورى حين طعن حيث قال: إياكم والفرقة بعدى فإن فعلتم فاعلموا ان معاوية بالشام فإذا وكلتم إلى رأيكم كيف يستبزها منكم.. [٣٠]

إذن معاوية يتأهب للاستيلاء على الحكم..

وعمر يدرك ذلك ويحذر الصحابة منه قبل وفاته وكان يضرب عرض الحائط بتحذيرات الصحابة من معاوية أثناء حياته..

تأمل قول عمر: دعونا من ذم فتى من قريش. من يضحك فى الغضب. ولا ينال ما عنده من الرضا. ولايؤخذ من فوق رأسه إلا من تحت قدميه.. [٣١]

وما كان عمر يقول مثل هذا الكلام لولا أن هناك اتجاه من بين الصحابة يذم معاوية ويحذر عمر منه. فهل أدرك عمر خطورة معاوية متأخراً..؟

ان الروايات التى بين أيدينا لا تقودنا إلى هذا الاستنتاج بالطبع..

عمر والاستخلاف

حين طعن عمر جعل الشورى فى ستة يختار من بينهم من يخلفه وهؤلاء الستة هم طلحة والزبير وعبدالرحمن بن عوف وسعد بن ابى وقاص وعثمان ثم الامام على..

وبالتأمل فى سيرة الخمسة غير الامام على نجدهم لايمكن بحال ان يتفقوا على الامام بل هم من خصومه وهم فى الاساس من أركان الخط القبلى الذى أوصل عمر للحكم.. فلماذا اختار عمر هؤلاء الستة وهو يعلم يقيناً أنهم لن يجمعوا على الامام على ولن يرضى على بأحد منهم..؟[٣٢].

ولقد سارت عملية الشورى بطريقة هزلية لتستقر فى النهاية بالخلافة فى أحضان الخط الاموي وكأنه أمر مدبر ومرسوم..

---

(٣٠) الاصابة ترجمة معاوية.

(٣١) انظر الاستيعاب بهامش الاصابة.

(٣٢) انظر سيرة الخمسة وتبين مواقفهم من الرسول ومواقف الرسول منهم ومدى سيطرة الروح القبلية على مواقفهم وممارساتهم. فى كتب التراجم.

فحين تشاور القوم مال الزبير لعلي ومال سعد لعثمان ومال طلحة لعبدالرحمن ثم انسحب عبدالرحمن ورفض ترشيح نفسه ومال لعثمان لتصبح النتيجة ثلاثة إلى واحد.

ثلاثة مع عثمان وواحد مع علي فعبدالرحمن عندما مال لعثمان مال طلحة معه.[٣٣]

وفي رواية أخرى انتهت النتيجة اثنين في مواجهة اثنين أي تعادلت الاصوات وهنا عرض عبدالرحمن على الامام علي ان يبايع على كتاب الله وسنة رسوله وسنة الشيخين فأبى إلزامه بسنة الشيخين. فطلب من عثمان ذلك فوافق فأعلن بيعته[٣٤].

والطريف في الأمر ان عثمان حين استخلف واستتب له الأمر خرج على الكتاب والسنة وسنة الشيخين وكفر به القوم حتى الذين رشحوه واختاروه..

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هو: هل عمل عمر هذا يطابق الشورى وروح الإسلام..؟

والجواب بالطبع لا. فقد كان اختيار عمر لمجموعة الشورى يقوم على اساس قبلي بحت ولم يكن وضع الامام علي في هذه المجموعة سوى محاولة للتغطية على الهدف الحقيقي من وراء اختيار هذه المجموعة التي أشار البعض على عمر أن يضع ولده عبدالله فيها.[٣٥].

لقد سن عمر للخط الاموي بهذا العمل سنة أتاحت له فرصة البروز والحصول على الشرعية من خلال عثمان.. واستثمار هذه السنة فيما بعد في ضرب فكرة الشورى في الإسلام ودعم نظام الوراثة..

وجعل الشورى في ستة أفراد متناقضين متنافرين فضلاً عن كونه أمر مغرض

(٣٣) انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري ج ٧/ ٥٩ ومابعدها، وانظر كتب التاريخ.

(٣٤) المرجع السابق.

(٣٥) انظر فتح الباري جـ٧/ ٦٧.

هو يصطدم بالقرآن الذى يقول: وأمرهم شورى بينهم. . ، أى بين المؤمنين جميعاً وليس بين فئة محددة. . ويصطدم بسنة الرسول الذى طبق النص القرآنى وعمل به بين الصحابة وفتح الباب لحرية الرأى الذى أغلقه أبو بكر وعمر ليفتح الباب على مصراعيه لدكتاتورية الخط الأموى. .

وإذا كان عمر وهو ينازع فى حيرة من أمره يستخلف أو لايستخلف مردداً ان لم استخلفت فلم يستخلف الذى هو خير منى - أى الرسول- وان استخلف فقد استخلف أبو بكر .(٣٦).

وقد انتهز فرصة حيرة عمر هذه رجل لم تكشف لنا الروايات من يكون. وقال له: استخلف عبدالله بن عمر. .

فقال عمر: قاتلك الله. والله ما أردت الله بهذا. استخلف من لم يحسن أن يطلق امرأته. . .(٣٧).

إلا أن عمر مال إلى الاستخلاف فى حدود مجموعة لن تحيد عن الخط القبلى الذى وضع أساسه مع أبى بكر وهى فى النهاية سوف تستقر على واحد من أنصار هذا الخط ولن تتجه بحال إلى الحيده عنه والاتجاه نحو على. .

وعلى الرغم من موقف عمر من ولده عبدالله وكونه صاحب شخصية ضعيفة تجعل منه عديم القدرة على اتخاذ القرار. على الرغم من ذلك جعله فى أهل المشاورة جبراً لخاطره.

وقال عمر: إذا اجتمع ثلاثة على رأى وثلاثة على رأى فحكموا عبدالله بن عمر فإن لم ترضوا بحكمه فقدموا من معه عبدالرحمن بن عوف وان ولى عثمان فرجل فيه لين وان ولى على فستختلف عليه الناس وان ولى سعدا والا فليستعن به الوالى (٣٨).

---

(٣٦) البخارى ومسلم.

(٣٧) انظر فتح البارى جـ٧ / ٦٧ وانظر تاريخ الخلفاء.

(٣٨) المرجع السابق. والسؤال هنا لماذا لم يرشح عمر ابو ذر أو عمار مثلاً بدلاً من ولده. .؟ ومايجب ذكره هنا هوان ابن عمر هذا رفض بيعة على بعد عثمان وبايع معاوية وولده يزيد وقد اطال الله فى عمره حتى لحق بالحجاج وكان يصلى خلفه ومعه أنس بن مالك. انظر تاريخ ابن عمر فى كتب التراجم. .

وهكذا يبدو لنا بوضوح ان الامور تتجه إلى غير صالح الامام على فعبدالله بن عمر لا وزن له وعبدالرحمن حليف عثمان..

يقول الامام على حول هذه الحادثة: لقد قرن بي عثمان.. وقال كونوا مع الأكثر. ثم قال كونوا مع عبدالرحمن بن عوف. وسعد لايخالف ابن عمه عبدالرحمن. وعبدالرحمن صهر لعثمان.. وهم لايختلفون. فإما أن يوليها عبدالرحمن عثمان أو يوليها عثمان عبدالرحمن(٣٩).

ويبدو أن الامام قد أقحم في أمر الشورى متضرراً مع علمه الكامل بخبايا هذه اللعبة وكونها سوف تستقر على خط عمر الذى استحى على مايبدو من تطبيق سنة صاحبه الذى استخلفه دون مشورة المسلمين فأراد أن يوسع دائرة الاستخلاف قليلا في حدود من يريد أن يستخلفه لتستقر في النهاية على واحد بعينه هو من يريده.

ان عمر كان يعلم مسبقاً أن الامر سوف يستقر في النهاية على اثنين. على وعثمان ولأن على لايمثل مصالح القوم بل سوف يضربها فإن الامر سوف يستقر لعثمان. وكأن عمر يريد أن يستخلف عثمان واخترع أمر الشورى ليموه على غايته(٤٠).

يقول عمر: ان تولاها الاجلح لسار بهم على الطريق. فقال له ولده: فلم لا توله. قال: لا أريد ان أحملها حياً وميتا(٤١).

ولعل هذا القول يؤكد صحة الاستنتاج الذى توصلنا إليه فالاجلح هنا المقصود به الامام على.

---

(٣٩) تاريخ الطبرى وانظر نهج البلاغة...

(٤٠) هناك تصريح لعمر يؤكد هذا انظر فتح البارى جـ٧/ ٦٧ ومابعدها.

(٤١) فتح البارى جـ٧ / ٦٨.

المحطة الرابعة
عثمان

وضع حجر الاساس للخط الأموى

لم يكن عثمان كسابقيه يحتاط لأمره ويحسب لخصومه ويدارى قبيلته. وانما وبمجرد ان أمسك زمام الحكم فى يده جهر بقبيلته وأظهر ميله لقومه معلنا إمويته فأسخط عليه الناس واستفز الجميع حتى أنصاره ومؤيديه من خارج بنى أميه..

لقد تجاوز عثمان حدود الخط القبلى الذى رسمه من قبله أبى بكر وعمر وحصر هذا الخط فى دائرة بنى أميه.

وهو قد خالف الكتاب والسنة.

وضرب عرض الحائط بنصح الآخرين ولم يعبأ بأحد.

فهل كان مركز عثمان من القوة بحيث جعله يتمادى فى موقفه هذا..؟.

أم انه وجد الخط القبلى قد ترسخ وتمكن على ساحة الواقع ولم تعد هناك حاجة للتمويه أو الموازبة..؟.

ان الضربات التى وجهت لخط آل البيت بقيادة الامام على بداية من عهد ابى بكر وحتى عهد عمر اضعفت من شوكة هذا الخط وقدراته. فقد كانت كل الضغوط مركزة عليه وكل العوائق تقف فى طريقه لكونه يمثل الاتجاه الفاعل والوحيد الذى يقف فى مواجهة الخط القبلى. فمن ثم فإن صدام الخط القبلى به أمر حتمى ومصيرى.

فالخط القبلى لن يعيش إلا على حساب خط آل البيت..

وخط آل البيت ليس أمامه إلا التعايش مع الخط القبلى والاعتراف به أو قبول الفناء التدريجى كجماعة لها وجودها ولها انصارها وليس كاتجاه له عقيدته وفكره المتميز.

ولقد عمل أبو بكر وعمر على تشتيت الصحابة الموالين للامام فى الامصار حتى لايشكلوا بتواجدهم حوله قوة ضغط على الخط القبلى.

وعندما جاء عثمان وجد الظروف والاوضاع مهيأة لإعلان نتيجة الخط القبلى ووضع أساس الخط الاموى. فالخط القبلى من شأنه أن يضعف مع مرور الزمن ولابد له من أن يتركز فى النهاية فى دائرة أقوى عائلة من عائلات هذا الخط.

ولاتوجد عائلة على مستوى قريش لديهـا القدرة على الحفاظ على الخط القبلى ومواجهـة خط آل البيـت كالعائـلة الاموية فـهى المرشح الـوحيد لهـذا الدور وقد حملت رايته فى مواجهة بنى هاشم من قبل الإسلام بزمان[1].

عثمان والصحابة

وقف عثمان من الصحابة موقفين متناقضين:

موقف مؤيد ومناصر..

وموقف معاد مجاهر..

أما الذين أيدهم وناصرهم فهم الذيـن أيدوه وبايعوه ومهدوا له طريق الوصول للحكم وعـلى رأسهم سعد بن أبى وقاص وطلـحة بن عبيدالله والزبـير بن العوام وعبدالرحمن بن عوف وهؤلاء قد أغدق عثمان عليهم العطاء وكافئهم أحسن مكافأة ليـجمعـوا ثروات طائـلة بعـد ان فتح البـاب أمامهـم على مـصراعيـه للشراء بلا حدود.[2].

ويبـدو أن هؤلاء قد رضوا أن يـكونوا مـن الرأسمالـيين عـلى ان يكونـوا من السياسيين. أى أنهم اختاروا الثراء على الحكم الذى تركوه لبنى أميه.

أما الذين عـاداهم فهم الذين صدعوا بـالحق فى وجهه وتحالفوا مـع على ضده وعلى رأسهم ابو ذر الغفارى وعمار بن ياسر وعبدالله بن مسعود.

وموقفه من أبى ذر إنما يعد من أشد المواقف حدة وعداءاً نظراً لشدة موقف أبى ذر من الخط الاموى بشكـل عام ومن عثمان ومعاوية بشـكل خاص. .ومن الخطأ

---

(١) انظر كتاب النزاع والتخاصم بين بنى أمية وبنى هاشم للمقريزى ط القاهرة. وانظر تفاصيل الصراع بين البيتين فى كتب التأريخ.

(٢) ماتـ الزبير وله الكثير من العقارات والاراضى منهـا إحدى عشر داراً بالمدينة. وداربن بالبصرة وداراً بالكوفة وداراً بمصر. وترك ارضًا تـسمى الغابة اشتراهـا بسبعين ومائة الـف. وكان الزبير متزوجاً اربـعة نسوة. كان نصيب الواحدة منهن فى ميراثه الف الف ومائتا الف. أما ثروة عبدالرحمن بن عوف فهي أضعاف ذلك..
ويروي ابن عساكر أن قيمـة ماترك طلحة من المال والعقار ثلاثين الف الـف درهم وترك من العين الف الف ومائتين الف دينار انظر جـ٧/ ٩٠.

تصور ان موقف أبو ذر من عثمان ومعاوية كان بسبب الترف وكنز الاموال وهضم حقوق الفقراء والمحتاجين. فلم يكن هذا السبب إلا ظاهر الموقف. أما باطنه فيكمن في بطلان الخط الاموي وعدم شرعيته.

ان الصدام بين أبي ذر وعثمان لم يكن وليد عصره وانما كانت له جذوره من عصر ابي بكر وعمر حين بدأت عملية الانحراف عن خط الرسول ﷺ. فإن أبا ذر الذي كان يصدع بالحق في مواجهة مشركي مكة ويلاقي مايلاقي. لم يكن ليتوقف عن الصدع بالحق في عهد أبي بكر وعهد عمر وقد روى فيه الرسول ماروى.[٣].

ومن هنا يتبين لنا ان الصدام بين ابي ذر وعثمان كان صداماً عقائدياً. بين عقيدة ملتزمة وعقيدة مخالفة..

بين صحابي موال لآل البيت ورمز بني أمية..

بين خط آل البيت وخط بني أمية..

وعلى هذا الاساس كان حكم عثمان على ابي ذر قاسياً فهو حكم على قدر الموقف الذي اتخذه ابو ذر. الا وهو الحكم بالنفي..

وربما يكون عثمان هو أول من طبق سنة نفي القادة والمصلحين في تاريخ الحكام الطغاة الذين هيمنوا على بلاد المسلمين.

وموقف عثمان من عمار هو نفس موقفه من أبي ذر. فكلا من ابي ذر وعمار من اتباع الامام وموقفهما من الخط الاموي واحد وثابت. فمن ثم فقد تصدى عثمان لعمار كما تصدى لابي ذر وقرر نفيه ليحل محل ابو ذر الذي كان قد توفي لولا تدخل الامام الذي نهر عثمان قائلاً:

اتق الله. فإنك سيرت رجلاً صالحاً من المسلمين فهلك في تسييرك. ثم انت الآن تريد ان تنفي نظيره[٤].

وكانت النتيجة ان هدد عثمان الامام علي بالنفي قائلاً له: أنت أحق بالنفي منه. وكان رد الامام: افعل ان شئت ذلك[٥].

---

(٣) قال الرسول ﷺ في قبيلة ابي ذر : غفار غفر الله لها. انظر سيرته في كتب التراجم..

(٤) انظر البداية والنهاية لابن كثير ج٧ / ١٧٣ ومابعدها وانظر الطبري وابن عساكر ومروج الذهب.

(٥) انظر المراجع السابقة وطبقات ابن سعد والكامل لابن الأثير.

ثم ان عثمان تراجع عن قراره بعد ضغوط لكـن عمار لم يغير موقفه من عثمان وتصدى له ثـانية حين وهب بعـض نسائه من مال المسلمين ما تتزيـن به. فأوعز عثمان إلى شرطته فأخذوه وضربوه حتى غشي عليه(٦).

ويروى أنه حين بويع عثمان خطب عمار في مسجد الرسول ﷺ فقال: يامعشر قريش أما إذا صرفتم هـذا الامر عن أهل بيت نبيكم ههنا مرة وهـهنا مرة. فما أنا بآمن من أن ينزعه الله مـنكم فيضعه في غيركم كما نزعتمـوه من أهله ووضعتموه في غير أهله(٧).

وقام المـقداد فقـال: ما رأيت مـثل ما أوذي به أهـل هذا البـيت بعـد نبيـهم. فتصدى له عبدالرحمن بن عوف قائلاً: وما انت وذاك يامقداد بن عمرو.؟.

فقال المقـداد: اني والله لأحبهـم لحب رسول الله ﷺ إياهم وان الحق مـعهم وفيهم. ياعـبدالرحمن. أعجب من قريـش- وإنما تطولهم على النـاس بفضل أهل هذا البيت- قد اجتـمعوا على نزع سلطان رسول الله بعده مـن أيديهم. وأيم الله ياعبـدالرحمن لو أجـد على قريش أنـصاراً لقاتلتـهم كقتالـي إياهم مع النـبي يوم بدر(٨).

ولقد تـصدى عبداللــه بن مسعــود لعثمان وحـرض عليه المسلمين وكـان على الكوفه يعظ الناس ويعـلمهم كتاب الله فعزله عثمان وأرسل مكـانه الوليد بن عقبه فاصطدم به ابن مسعود وأسمعه كلامًا شـديداً في حق عثمان. ثم رجل الى المدينة تاركاً الكوفة في وداع أهلها(٩).

وفي المديـنة وقع صدام بيـنه وبين عثـمان الذى أمر زبانـيته فضربـوه حتى دق ضلعه ثم أمر بقطع رزقه. مما دفع بالامام عـلى إلى التصدى له وحمل ابن مسعود إلى بيته ليكون تحت رعايته(١٠).

(٦) انظر المراجع السابقة.
(٧) انظر المراجع السابق.
(٨) انظر المراجع السابق.
(٩) انظر المراجع السابق.
(١٠) انظر المراجع السابق.

ولم يكتفى عثمان بهذا بل أصدر قراراً بمنع ابن مسعود من الخروج من المدينة فبقى فيها حتى مرض مرضه الذى توفى فيه[١١].

عثمان وعلى

كان تعايش الامام علـى مع ابى بكر وعمر تعايش المحافظ والمدافع. فقد كانت الضغوط الموجهة إليه تتركز على دوره كممثل شرعى للأمة وكقائد لتيار آل البيت الذى يضم الكثير من كبار الصحابة. وقد تنازل الامام عن هذا الدور حفاظاً على وحدة الامة. لكنه لم يتنازل عن المبدأ الذى ورثه عن الرسول ﷺ.

اى ان الامام تنازل عن السلطة ولم يتنازل عن الفكرة.

تنازل عن الحكم ولم يتنازل عن الدعوة. فهو قد أفسح الطريق لـلخط القبلى ليحكم لكنه لم يفسح له الطريق ليعبث بالإسلام.

ويبدو ان الخليفتين أبو بكر وعمر لم يكونا من المتحرشين بهذا الجانب. جانب الإسلام فقد احترم كل منهما قدرات الامام العلمية وأقرا بتفوقه عليهما.

وهذا لايعنى أن صورة الإسلام كانت سوية ومستقيمة بشكل كامل فى عهد الخليفتين وإنما كان هناك انحراف. لكنه لم يكن كبيراً بالقدر الذى يستفز الامام ويدفعه إلى الصدام به. وما كان يقلق الامام هو ماسوف يترتب على هذا الانحراف فى المستقبل.

وعندما جاء عثمان برز الانحراف بصورة تجاوزت الحدود التى وقف عندها الشيخان وتعدى حدود الحكم ليصل إلى الإسلام.

وهنا تغير موقف الامام وشيعته وانتقل بهم من المقاومة السلبية إلى المقاومة الايجابية. وتصدى لعثمان وبنى امية الذين رفعوا رايتهم لأول مرة بعد سقوطهم على أيدى الرسول حين فتح مكة.

لقد كان ظهور بنى أمية فى عهد عثمان بداية لتحول الامة إلى طريق الجاهلية وبداية لظهور إسلام آخر مناقض لإسلام آل البيت ومعادٍ له ومعلنا هذا العداء.

---

(١١) انظر المراجع السابق

لم يكن الامر إذا مجرد تغلغل عائلة فـي الحكم وإنما كان فى حقيقته محاولة لإظهار إسلام جديد بـديل عن إسلام الخلفاء السائد الذى كان فـاقد الاساس لكنه ليس منحرفاً بالقدر الذى يتيح لهم تحقيق مآربهم والعودة إلى جاهليتهم . .

لقد انتهز بنى أمية فرصة وصول عثمـان للحكم وأحاطوا به موحدين صفوفهم للثأر والانقضاض على بنى هاشم ممثلين فى آل البيت تحت زعامة الامام على .

وفى مواجهة وضع كهذا لابد عـلى الامام على أن يعلن المواجهة والتصدى لا أن يلتزم بالمهادنة والتعايش السلبى كما كان حالة مع ابى بكر وعمر .

ومما تقدم تتضح لنا طبيعة العلاقة بين الامام وعثمان وطبيعة الموقف الذى تبناه فى مواجهة سياساته وممارساته .

فقـد كان موقفـه من ابى بكـر وعمر موقـف الموجه الشرعى أمام تجاوزاتـهم للنصوص أمـا موقفه من عثمان فهـو موقف شرعى سياسى تجاوز الحـدود النظرية إلى الحدود العملية .

يقول الامام فـى عثمان : . . إلى ان قام ثـالث القوم نافجاً حضنيه بين نثيله ومعتلفـه . وقام معه بنو أبيه يخضمـون مال الله خضم الإبل نبتـة الربيع . إلى ان انتكث فتله وأجهز عليه عمله وكبت به بطنته[١٢] .

والامام هنا يهاجم عثمان ويتهمه بالغـرور والتكبر والتواطئ مع بنى أمية وتبديد مال المسلميـن على قومه الذين فتحت أمـامهم الابواب على مصراعيهـا ليحثو من هذا المال مـشبهاً إياهم بـالإبل التى ترعى فـى النبات وقت الـربيع وتأكله بـشراهة وملء الفم .

وليس بـعد هذا التشبيه الدقيق من تـشبيه يصور حـال عثمان مع بنـى أمية . وحالهم مع أموال المسلمين .

ولم يكن هذا حـال سابقيه . فقد كان علـى الرغم من موقفهمـا من النصوص ومن آل البيت يلتزمان بـسياسة التقشف على أنفسهما ويحـرصان على صيانة المال العام ولم تكن لهما ميول للتحصن والاحتماء بقومهما كما فعل عثمان .

---

(١٢) نهج البلاغة جـ١/ خطبة رقم ٣.

ولم يرد على لسان الامام أى نقد لهما فيما يتعلق بهذا الجانب وانما كان صدامة معهما فى حدود النصوص وتطبيقهـا. أما إذا تعلق الامر بأمور المسلمين فإن الامام لايسالم.

يقول الامام حين آل الامر لعثمان: لقد علمتم انى أحق الناس بها من غيرى ووالله لأسلمن ما سلمت أمور المسلمين ولم يكن فيها جور إلا على خاصة التماساً لأجر ذلك وفضله وزهداً فيما تنافستموه من زخرفة وزبرجه[١٣].

وفى هذا القول دلالة على موقف الامام الثابت من الخلفاء. ذلك الموقف المبنى على التضحية بشخصه من أجل صالح الإسلام والمسلمين. فإذا ماحدث مساس بمصالح المسلمين أو مساس بالإسلام فإن الامام لايقف ساكناً وهو مانراه بوضوح من خلال مواقفه من عثمان.

وحين اصدر عثمان قراره بنفى أبى ذر نادى فى الناس أن لايكلم احداً أبا ذر ولايشيعه ضرب الامام بقرار عثمان هذا عرض الحائط وخرج يشيعه إلى الربذة ومعه عقيل أخوه والحسن والحسين وعمار بن ياسر.

يقول الامام فى وداع ابى ذر: يا أبا ذر انك غضبت لله فارج من غضبت له. ان القوم خافوك على دنياهم وخفتهم على دينك. فاترك فى أيديهم ماخافوك عليه. واهرب منهم بما خفتهم عليه. فما أحوجهم إلى مامنعتهم. وما أغناك عما منعوك؟.

وستعلم من الرابح غداً والأكثر حسداً. ولو ان السموات والارض كانتا على عبد رتقاً ثم اتقى الله لجعل الله له منهما مخرجاً.

لايؤنسنك إلا الحق. ولا يوحشنك إلا الباطل. فلو قبلت دنياهم لأحبوك. ولو قرضت منها لأمنوك[١٤].

لقد تراكمت التجاوزات والمفاسد والانحرافات فى عهد عثمان حتى حاصرته ودفعت بالمسلمين الى الثورة عليه.

---

(١٣) المرجع السابق.
(١٤) المرجع السابق جـ٢/ خطبة رقم ١٢٦.

وتحاول كتب التاريخ والمؤرخون الدفاع عن عثمان وتبرئته من هذه المفاسد وإلقاء المسؤولية على قوم آخرين[١٥].

والسؤال الذى يطرح نفسه هنا هو: مادور الامام على فى الصدام الذى وقع بين المسلمين وعثمان..؟.

هل تحالف الامام مع الثوار ضد عثمان. أم صد عن الثورة..؟.

إن المؤرخين يحاولون جاهدين تبييض وجه عثمان باظهار الامام على بمظهر المؤيد له والمتعاطف معه. حتى انه تصدى للثوار الذين يحاصرون بيت عثمان ووضع الحسن والحسين على بابه شاهرين سيوفهما فى وجه الثوار وقد وبخهم توبيخاً شديداً على تهاونهما فى الدفاع عنه بعد مصرعه[١٦].

إلا أن المتتبع لأحداث تلك الفترة يكتشف ان الامام قد بذل جهداً كبيراً فى نصح عثمان ومحاولة تحريره من سيطرة بن أميه. لكن جهوده هذه قد ضاعت هباءاً منثوراً أمام إصرار عثمان وموقفه المتصلب والمتعصب لقومه[١٧].

وامام موقف عثمان هذا اضطر الامام إلى التنحى جانباً مفسحاً الطريق أمام الثوار الذين يدافعون عن حقوق المسلمين لينالوا من عثمان..

وإذا كان معظم الذين شاركوا فى الثورة والذين تزعموها هم من اتباع الامام ومن تلامذته. فبهذا يتأكد لنا ان الامام هو المحرك الأول لهذه الثورة التى كانت ترفع لواء الإسلام الحق فى مواجهة بني أمية. أو بصورة أخرى ترفع لواء آل البيت فى مواجهة الخط القبلى الذى كشف عن وجهه القبيح على يد عثمان.

ان الصراع لم يكن صراع بين ظالم ومظلوم كما يحلو للبعض تصويره بذلك وإنما كان صراعا بين الحق والباطل.

الحق المتمثل فى الثوار..

والباطل المتمثل فى عثمان وبني أمية.

(١٥) انظر كتب التاريخ. وكتاب العواصم من القواصم. والمغني للقاضى عبدالجبار جـ٢٠.

(١٦) انظر الطبرى والبداية والنهاية والكامل لابن الأثير.

(١٧) انظر مروج الذهب والامامة والسياسة والطبرى والبداية والنهاية لابن كثير.

والامام ليس مخيراً في الانحياز لأى من الطرفين . وإنما هو مقيد بالحق ويدور معه حيث دار. والحق واضح وضوح الشمس والباطل كذلك.

ولعل موقف الامام هذا هو الذى استثمره معاوية فيما بعد فى تزكية نار الصراع بينه وبين الامام من اجل تحقيق مآربه فى التسلط على المسلمين. وقد كان بإمكانه نصرة عثمان وانقاذه لكنه رأى ان التضحية به انفع له فى صراعه مع الامام[18].

عثمان وبنى أمية

قال أبو سفيان حين تولى عثمان مخاطباً بنى أمية: يابنى أمية. تلقفوها تلقف الكرة فو الذى يحلف به أبو سفيان مازلت أرجوها لكم ولتصيرن إلى صبيانكم وراثة[19].

ويحاول الكثير من المؤرخين انكار نسبة هذا الكلام لابى سفيان وانكار عثمان له. إلا ان سياسة عثمان ومواقفه تكشفان صحة هذا القول وصدق نبوءة أبو سفيان.

يقول المودودى: غير ان عثمان حين خلفه- أى عمر- أخذ يحيد عن هذه السياسة رويداً رويداً فطفق يعهد إلى أقاربه بالمناصب الكبرى ويخصهم بامتيازات أخرى اعترض الناس عليها عامة.. ولم يكن رد فعل هذه الامور سيئاً على العامة وحدهم بل على أكابر الصحابة أيضاً. مثال ذلك حينما أخذ الوليد بن عقبه مرسوم حكومة الكوفة وجاء الى سعد بن أبى وقاص قال له سعد: والله ما أدرى أكست بعدنا ام حمقنا بعدك. فأجابه. لاتجزعن ابا اسحق فإنما هو الملك يتغداه قوم ويتعشاه آخرون. فقال سعد: أراكم والله ستجعلونها ملكاً[20].

ان افراد العائلة الاموية الذين تغلغلوا فى الحكم بمعونة عثمان ودعمه لم تكن تتوافر بهم المؤهلات الشرعية والسياسية فضلا عن ان مكانتهم الشرعية كانت حرجه فقد ذمهم الرسول ﷺ فى أحاديث صريحة وحذر منهم لكن عثمان ضرب

---

(١٨) انظر المراجع السابق. وانظر كتاب عثمان الى معاوية يستنصره فى الطبرى جـ١/ ١٨٥ يقول الكتاب: بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فإن أهل المدينة قد كفروا واخلفوا الطاعة ونكثوا البيعة فابعث إلى من قبلك من مقاتلة أهل الشام على كل صعب وذلول.. وانظر ابن كثير جـ٧ / ١٨٥.

(١٩) انظر تاريخ الطبري..

(٢٠) انظر الخلافة والملك وانظر الاستيعاب فى معرفة الاصحاب لابن عبدالبر جـ٢ / ٦٠٤ هامش الإصابة.

بتحذيرات الرسول عرض الحائط وكشف عن وجهه الاموى المعادى لخط آل البيت[٢١].

يقول المودودى: ان افراد العائلة الذين ارتقوا فى عهد عثمان كانوا جميعا من الطلقاء. والمراد بالطلقاء تلك البيوت المكية التى ظلت لآخر وقت معادية للنبى ﷺ وللدعوة الاسلامية فعفا الرسول ﷺ عنهم بعد فتح مكة ودخلوا فى الإسلام. ومعاوية والوليد بن عقبة ومروان بن الحكم كانوا من تلك البيوتات التى أعطيت الامان وعفا الرسول عنهم. اما عبدالله بن ابى سرح فقد ارتد بعد اسلامه وكان واحدا من الذين أمر الرسول فى فتح مكة بقتلهم حتى ولو وجدوا تحت أستار الكعبة[٢٢].

ولقد وسع عثمان من نفوذ معاوية على الشام وضم إليه حمص وقنسرين وفلسطين والاردن حتى بسط نفوذه على كل الشام وأصبح من أقوى الولاة وأغناهم مما أتاح له الفرصة على منازعة الامام علناً. فالشام كانت على هوى بنى أمية فلم تكن موطناً للعرب والصحابة كما هو حال العراق. فمن ثم لم يجد معاوية وبنى أمية من بعده من ينازعهم فيها وهم استطاعوا التعايش مع اهلها وأهلها تعايشوا معهم ولم يجدوا اختلافا كبيراً بين حياتهم قبل الإسلام وحياتهم بعده بعد أن فتح لهم معاوية الدنيا على مصراعها. ومثل هؤلاء يكونون سيفاً واحداً على كل من يحاول المساس بدنياهم ولأجل هذا وقفوا صفاً واحداً من خلف معاوية فى مواجهة الامام.

لقد اختار أهل الشام إسلام بنى أمية ورفضوا إسلام ال البيت فإسلام بنى أمية سوف يحفظ لهم دنياهم ومصالحهم.

وإسلام آل البيت سوف يحرمهم من هذه الدنيا وسوف يضرب هذه المصالح اختار أهل الشام معاوية لكونه يمثل استمراراً لخط هرقل والروم والدنيا..

ورفضوا الامام لكونه استمراراً لخط النبوة والإسلام والآخرة.

يقول عثمان: لو أن بيدى مفاتيح الجنة لأعطيتها بنى أمية حتى يدخلوا من عند آخرهم[٢٣].

---

(٢١) انظر نماذج من هذه الاحاديث فى البخارى كتاب الفتن.

(٢٢) انظر كتب التاريخ وكتب السيرة.

(٢٣) رواه أحمد. نقلا عن البداية والنهاية لابن كثير جـ١٧٨/٧.

وعلى الرغم من هذا الحب من قبل عثمان لعشيرته . وماحققه لبنى قومه من المجازات ونفوذ وثراء على حساب المسلمين . رغم هذا كله كان قومه هم الذين سعوا الى القضاء عليه والتآمر على قتله فهم قوم سوء استعان بهم عثمان فكان ضحيتهم .

ولقد كانت سياسة عثمان وممارساته المعوجه وتحالفه مع قومه ونبذه لكبار الصحابة وفساد ولاته على الامصار كل ذلك قد أفقده تعاطف المسلمين وأهل المدينة على الخصوص الذين لم يتحرك أحد منهم لنصرته والدفاع عنه حين حوصر وتركوه ليلقى مصيره ويجنى ماكسبت يداه وإذا كان قومه الذين والاهم وارتبطت مصالحهم به لم يتحركوا لنصرته فكيف يتحرك الغرباء للدفاع عنه .

يبرر ابن كثير الموقف السلبي للصحابه وأهل المدينة تجاه عثمان بقوله : ان كثيراً منهم بل أكثرهم أوكلهم لم يكن يظن أنه يبلغ الأمر إلى قتله .

ثانيا: ان الصحابة مانعوا دونه أشد الممانعة ولكن لما وقع التضييق الشديد عزم عثمان على الناس أن يكفوا أيديهم ويغمدوا أسلحتهم ففعلوا فتمكن أولئك مما أرادوا . . ومع هذا ماظن أحداً من الناس أن يقتل بالكلية .

الثالث: أن هؤلاء (الخوارج) لما اغتنموا غيبة كثير من أهل المدينة فى أيام الحج ولم تقدم الجيوش من الآفاق للنصرة بل لما اقترب مجيئهم انتهزوا فرصتهم وصنعوا ماصنعوا من الامر العظيم .

الرابع : ان هؤلاء (الخوارج) كانوا قريباً من ألفى مقاتل من الابطال وربما لم يكن فى أهل المدينة هذه العدة من المقاتلة لأن الناس كانوا فى الثغور وفى الاقاليم وفى كل جهة .

ومع هذا فإن كثير من الصحابة اعتزل هذه الفتنة ولزموا بيوتهم . ومن كان يحضر منهم المسجدلا يجيء إلا ومعه السيف . . وربما لو أرادوا صرفهم عن المدينة لما امكنهم ذلك

وأما ما يذكره بعض الناس من أن بعض الصحابة أسلمه ورضى بقتله فهذا

لايصح عند أحد من الصحابة أنه رضى بقتل عثمان. بل كلهم كرهه ومقته وسب من فعله. ولكن بعضهم يود لو خلع نفسه من الأمر كعمار بن ياسر ومحمد بن أبى بكر وعمرو بن الحمق وغيرهم(٢٤).

وكلام ابن كثير هذا- وهو فقيه أموى النزعة - يحمل الكثير من المتناقضات إذ كيف للصحابة وأهل المدينة وهم يرون هذه الثورة العارمة ضد عثمان ولايتوقعون مقتله؟ وكيف لهم ان يتركوا الدفاع عنه وهم يرونه ضائع لامحالة فى مواجهة ألفى مقاتل: .؟

وكيف يستقيم هذا التفسير مع قوله أن كثير من الصحابة اعتزلوا الفتنة؟.

وعلى أى أساس نفى ابن كثير وجود موقف من عثمان ورضى بقتله فى الوقت الذى تؤكد الروايات أن هناك عدد من الصحابة كان يتزعم هذه الثورة ويحرض المسلمين على عثمان؟

وكيف له أن يؤكد ان عمار او ابن ابى بكر وابن الحمق تراجعوا عن موقفهم العدائى..؟

ثم أين معاوية وجيشه..؟

وابن كثير يدافع عن عثمان دفاعاً مستميتاً مبرراً منكراته مضيقًا عليها الشرعية وهو بهذا إنما يدافع عن خطه وفقهه الذى ورثه من القوم والذى هو نابع من الخط الاموى. فمن ثم ليس مستغربًا منه هذا الموقف ولامن أى من فقهاء الشام مثل الذهبى والنووى وابن تيمية وابن عساكر وغيرهم ممن ناصبوا خط آل البيت العداء(٢٥).

يقول ابن كثير: أنه قيل لعثمان حين أنكر أمر البريد- أى الكتاب الذى زوره مروان وعاد على أساسه الثوار لحصار عثمان بعد أن تركوا حصاره لرضوخه لمطالبهم-: إن لم تكن قد كتبته بل كتب على لسانك وأنت لاتعلم فقد عجزت ومثلك لايصلح للخلافة. إما لخيانتك وإما لعجزك.

ويعلق ابن كثير على هذا الكلام بقوله: وهذا الذى قالوه باطل على كل تقدير

(٢٤) المرجع السابق ص١٨٦، ١٨٧.

(٢٥) انظر تاريخ الإسلام للذهبى. وفتاوى ابن تيمية جـ٣. والنووى شرح مسلم باب مناقب عثمان.

فإنه لو فرض أنه كتب الكتاب وهو لم يكتبه في نفس الأمر لايضره ذلك لأنه قد يكون رأى في ذلك مصلحة للأمة في أزالة شوكة هؤلاء البغاة الخارجين على الامام. وأما إذا لم يكن قد علم فأى عجز ينسب إليه إذا لم يكن قد أطلع عليه وزور على لسانه وليس هو بمعصوم بل الخطأ والغفلة جائزان عليه. وانما هؤلاء الجهلة البغاة متعنتون خونة ظلمة مفترون[٢٦].

لقد تمادى ابن كثير في تبريره لانحرافات عثمان إلى الحد الذى دفعه إلى تغليف هذه الانحرافات بالنصوص النبوية التي تضفى المشروعية عليها. فهو قد اعتبر ان الحاكم من حقه ان يفعل ما يشاء بالأمة تحت شعار المصلحة وعلى الأمة أن تلتزم بالسمع والطاعة لأن الرسول أمر بذلك. ومعنى ذلك أن عثمان بعد ماوافق الثوار على مطالبهم ثم عاد وانقلب عليهم وأرسل كتابه المذكور الذى يأمر فيه ولاة الامصار التى سوف يصلون إليها بقتلهم- معنى ذلك أن هذا الغدر مبرر في عرف ابن كثير.

ثم تأمل الالفاظ العصبية التى تنم عن عدم معالجته الحدث برؤية حيادية منصفة والتى وصف بها الثوار فهو قد نصب نفسه قاضياً وجلاداً في آن واحد[٢٧].

ونفس هذا النهج في تفسير أحداث التاريخ المتعلقة بالخط القبلى وخط بني أمية التزم به ابن تيمية والذهبى والنووى وابن خلدون وابن حزم وغيرهم[٢٨].

ومثلما دافع هؤلاء عن عثمان دافعوا أيضًا عن معاوية ومروان وسائر بنى أمية وزكوهم وأضفوا المشروعية على مواقفهم وممارساتهم في الوقت الذى وقفوا فيه من الامام على موقفًا مشبوهًا ومعاديًا في أحيان كثيرة[٢٩].

ولقد كان مصرع عثمان هو بداية الصراع العسكرى بين الخط الاموى وخط آل البيت. ذلك الصراع الذى انتهى بسيادة الخط الاموى.

---

(٢٦) ابن كثير جـ٧/ ١٨٠.

(٢٧) ابن كثير من فقهاء الشام وهو يسير على نهجهم وخاصة نهج استاذه ابن تيمية..

(٢٨) انظر تاريخ الإسلام للذهبى وفتاوى ابن تيمية وشرح مسلم للنووى وتاريخ ابن خلدون والفصل في الملل والنحل لابن حزم.

(٢٩) انظر المراجع السابقة. وانظر العواصم من القواصم. وقد شكك ابن تيمية في كثير من الروايات الواردة في حق الامام على. انظر منهاج السنة وكذلك الفتاوى. وقد نقل ابن حزم في كتابه المحلى جـ١٠/ ٤٨٤ اجماع الأمة على ان ابن ملجم لم يقتل الامام على إلا متأولاً.

يروى ابن الأثير: وحمل عبدالله بن سعد بن أبى سرح خمس أفريقية إلى المدينة فاشتراه مروان بن الحكم بخمسمائة ألف دينار فوضعها عنه عثمان وكان هذا مما أخذ عليه. وهذا أحسن ماقيل فى خمس أفريقيا فإن بعض الناس يقول أعطى عثمان خمس أفريقيا عبدالله بن سعد وبعضهم يقول أعطاه مروان بن الحكم وظهر بهذا أنه أعطى عبدالله خمس الغزوة الأولى وأعطى مروان خمس الغزوة الثانية التى افتتحت فيها جميع أفريقيا(٣٠).

ويروى ابن سعد أن عثمان كتب لمروان خمس مصر(٣١).

ويروى ابن كثير والطبرى ان نائلة زوجة عثمان قالت له ناصحة انك متى أطعت مروان قتلك ومروان ليس له عند الله قدر ولاهيبة ولامحبة(٣٢).

إلا ان عثمان ضرب بنصح زوجته عرض الحائط وقام بتعيين مروان (سكرتيراً) له فكان ان استغل ثقة عثمان به فخطط وتآمر على الإسلام والمسلمين(٣٣).

ويدافع أبو بكر بن العربى عن موقف عثمان من معاوية بقوله: وأما معاوية فعمر ولاه وجمع له الشامات وأقره عثمان بل إنما ولاه أبو بكر لأنه ولى أخاه يزيد واستخلفه يزيد فأقره عمر لتعلقه بولاية أبى بكر لأجل استخلافه والياً له فتعلق عثمان بعمر وأقره. فانظروا إلى هذه السلسلة ما أوثق عراها وأقدر سردها ولن يأتى مثلها بعدها أبداً(٣٤).

ويدافع عن موقفه من الوليد بن عقبة بقوله: وأما تولية الوليد بن عقبة فلأن الناس على فساد النيات أسرعوا إلى السيئات قبل الحسنات.

وأما قول القائل فى مروان والوليد فشديد عليهما وحكمهم عليهما بالفسق فسق منهم. مروان رجل عدل من كبار الأمة عند الصحابة والتابعين وفقهاء المسلمين(٣٥).

---

(٣٠) انظر الكامل فى التاريخ لابن الاثير جـ٣/٤٦.
(٣١) طبقات ابن سعد جـ٢.
(٣٢) انظر الطبرى جـ٣/٣٩٦ وابن كثير جـ ٧/١٧٢.
(٣٣) انظر المراجع السابقة.
(٣٤) انظر العواصم من القواصم.
(٣٥) المرجع السابق.

المحطة الخامسة
علــى

نهاية الصراع الفكــرى
وبداية الصراع العسكرى

بعد مصرع عثمان هرع الناس نحو الامام على ليولوه أمرهم (انه لايصلح الناس إلا بأمرة ولابد للناس من إمام ولانجد اليوم أحدًا أحق بهذا الأمر منك لا أقدم سابقة ولا أقرب من رسول الله ﷺ.

وأمام إصرار الجماهير وافق الامام مشترطًا أن تكون بيعته علنًا ولاتكون إلا عن رضى المسلمين. وتمت البيعة فى مسجد رسول الله ﷺ [1].

ولقد كانت بيعة الامام أول حركة انتخاب جماهيرى حق فى تاريخ الاسلام فمن ثم فإن دولة الامام قامت على اكتاف الجماهير لتعبر عن مصالح الجماهير رافعة راية الإسلام النبوى.

من هنا فقد اصطدم بها أنصار الخط القبلى والمنتفعين والمنافقين ثم بنى أمية وعملوا على هدمها والحيلولة دون ان تأخذ امتدادها الطبيعى على ساحة الواقع ويتحقق لها الاستقرار والتمكن.

ان جميع القوى التى واجهت الامام كان يتزعمها صحابة كان لهم موقفهم الثابت من الاسلام النبوى ومن آل البيت من قبل وفاة الرسول وقد برز هذا الموقف بوضوح بعد وفاته وأخذ فى التطور حتى وصل الى صورته التى واجهها الامام وتصدى لها.

لقد كانت القوى المناوئة للإسلام النبوى تعمل جاهدة منذ وفاة الرسول ﷺ لتقضى على معالم هذا الإسلام وحصار آل البيت وعزل الامام على عن جماهير

(١) انظر الطبرى جـ٣. والبداية والنهاية جـ٧. والاستيعاب فى معرفة الأصحاب لابن عبدالبر.

ويذكر ان عدد من الصحابة فروا من المدينة الى الشام فور تسلم الامام على الحكم.. يروى ابن كثير عن الطبرى قوله: هرب قوم من المدينة إلى الشام ولم يبايعوا عليا ولم يبايعه قدامة بن مظعون وعبدالله بن سلام والمغيرة بن شعبه..

وقال ابن كثير: وهرب مروان بن الحكم والوليد بن عقبة وآخرون إلى الشام.. وبايع الانصار إلا سبعة: عبدالله بن عمر وسعد بن ابى وقاص. وصهيب وزيد بن ثابت ومحمد بن ابى سلمة ومسلمة بن سلامة واسامة بن زيد. انظر البداية جـ٧ / ٢٢٧.

المسلمين. وكان وصول على الى الحكم بمثابة ضربة قاصمة لهم ولمخططاتهم. فمن ثم فإن المواجهة العسكرية فرضت نفسها كوسيلة وحيدة لإجهاض دولة الامام.

وهكذا دخل الامام على فى مواجهات عسكرية مع هذه القوى بقيادة كبار الصحابة وزوجة النبى ﷺ ثم بقيادة بنى أمية وأخيراً بقيادة الخوارج.

وهذه القوى الثلاث إنما تمثل خطوطاً استمرت باقية فى واقع الأمة وتفرخت منها الاتجاهات المعادية للإسلام النبوى وخط آل البيت تلك الاتجاهات التى صبت فى النهاية فى دائرة الإسلام الاموى.

ولم تكن مواجهة الامام على لهذه القوى من باب الحفاظ على كيان الدولة واستقرارها فهذا السبب لايعكس حقيقة الصراع وهو سبب ظاهرى يستنتجه من لايفقه حقيقة الإسلام النبوى وحقيقة الإسلام الاموى.

إن فقه الإسلام النبوى سوف تقود إلى فقه حقيقة الإسلام الاموى وبالتالى سوف تقود إلى فقه حركة الصراع الذى دار بين الامام وبين هذه القوى وان فهم حقيقة الإسلام النبوى لن يتم إلا بفهم شخصية الامام على ودوره ومكانته..

شخصية الامام

هناك عدة ملامح رئيسية لشخصية الامام على:

الملمح الأول: الربانية فهذه الشخصية قد تربت على يد الرسول ﷺ وارتوت من معينه وهذا أمر له دلالته وانعكاساته على شخصية الامام فتربية الرسول له ثم مصاهرته إنما يعنى الاصطفاء فكما ان الرسول تم اصطفاؤه فإن عليّا أيضاً تم اصطفاؤه.

وهذا الاصطفاء لايمكن ان يكون عبثًا وانما له أبعاده المستقبلية وهذا ما تشير إليه كثير من النصوص الواردة عن الرسول:

ومن هذه النصوص: أنت منى بمنزلة هارون من موسى[٢].

(٢) انظر البخاري ومسلم كتاب فضائل الصحابة. باب فضائل علي.. وأنظر الترمذي..

علي مني وأنا منه (٣).

من كنت مولاه فعلي مولاه.(٤).

لايحبه إلا مؤمن ولايبغضه إلا منافق(٥).

سدوا أبواب المسجد إلا باب علي (٦).

ومثل هـذه النصوص كـثير لايتسـع المجال لذكرهـا هنا وماذكرنـاه فيه الكـفاية للاستدلال على مانقول.

ويكفي في حق علي شمولة قوله تعـالي: ﴿إنما يريد الله ليذهـب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرًا﴾ فهذا النـص هو الدليل الساطع والبرهان القاطع على ربانيته(٧).

الملمح الثاني: العلم فـإن من يتربى علـى يد الرسول ﷺ لابد وأن ينـهل من علمـه. فمادام الرسـول قد أعـطاه هذه الخصوصـية فلابد أن يسـلحه بالعلـم حتى يتمكن من القيام بدوره.

وقد تفوق الامام عـلى بفقهه على جمـيع الصحابة ولـم يضاهـيه في ذلك أحد حتى أن عـمر الذي يشهـدون له بالفـقه والعلم شـهد لصالح عـلي وأقر بتـفوقه عليه(٨).

هناك الكثير من النصوص النبوية التي تؤكد هذه الحقيقة:

أنا مدينة العلم وعلي بابها(٩).

---

(٣) انظر البخاري. باب فضائل علي..

(٤) انظر مسند احمد جـ١..

(٥) انظر مسلم كتاب الايمان..

(٦) انظر الترمذي كتاب المناقب. ومسند احمد جـ١. وفتح الباري جـ٧/.

(٧) انظر مسلم كتاب فضائل الصحابة. مناقب علي وآل البيت..

(٨) انظر طبقات ابن سعد جـ٢. ومسند ابو داود الطيالسي..

(٩) ورد هذا الحديث في الترمذي كتاب المناقب بلفظ: انا دار الحكمة وعلي بابها. وورد لفظ انا مدينة العلم في

أعلمهم بما أنزل الله على[10].

من أراد أن ينظر إلى آدم فى علمه فلينظر إلى على[11].

أعلم أمتى بعدى على[12].

أقضاكم على [13].

وهناك شهادات للإمام على على لسان كثير من الصحابة وعلى رأسهم عمر الذى كان يستعين بعلى فى كل معضلة وكان يتعوذ بالله من معضلة ليس فيها أبو الحسن[14].

ويقول الامام على عن نفسه: سلونى عن كتاب الله فإنه ليس من آية إلا وقد عرفت بليل نزلت أم بنهار فى سهل أم فى جبل.. والله مانزلت آية إلا وقد علمت فيما نزلت وأين نزلت وعلى من نزلت. إن ربى وهب لى قلباً عقولاً ولساناً طلقا [15].

ومثل هذه النصوص إنما تشير إلى أن الامام لديه علم خاص ورثه عن الرسولﷺ وعلى أساس هذا العلم كان يواجه الواقع والاحداث. فلم يكن الامام مجرد قائد وجد فى ظرف قاس فواجه هذا الظرف بما لديه من خبرة وكفى.

ولم يكن الامام مجرد حاكم واجه تمرد من الرعية فتحرك لمواجهته وحسمه.

لم يكن الامام مجرد صحابى كبقية الصحابة كما يحاول أهل السنة أن يصوروه.

* مستدرك الحاكم جـ٣/ ١٢٦. وانظر مناقب الخوارزمي وأسد الغابة وتاريخ. بغداد / والبداية والنهاية لابن كثير جـ٧/ ٣٥٨..

(١٠) انظر مسند الطيالسى ومسند احمد...

(١١) انظر سنن البيهقى .. ومسلم.

(١٢) انظر مناقب الخوارزمي. .ومسلم

(١٣) انظر مجمع الزوائد للهيثمي جـ٩/ ١١٤. وحلية الاولياء ١/ ٦٥. والاستيعاب..

(١٤) انظر طبقات ابن سعد ومستدرك الحاكم..والاصابة في تمييز للصحابة لابن حجر . وسير أعلام النبلاء للذهبى

(١٥) المرجع السابق..

لقد كان الامام نموذجاً خاصاً تربى تربية خاصة ومنح علماً خاصاً ووضع على كاهله القيام بدور خاص . .

ولعل قول الرسول ﷺ فى الامام: إن منكم من يقاتل على تأويل هذا القرآن كما قاتلت على تنزيله[١٦]. وهو على خاصف النعل كما أشارت الرواية. قول الرسول هذا يؤكد وجود هذا العلم الخاص لدى الامام. فالرسول كان يقاتل المشركين على علم. والامام يقاتل المسلمين على علم أيضاً. بل الحاجة للعلم فى مقاتلة أهل القبلة من المسلمين أشد من الحاجة إليه فى مواجهة المشركين.

فكون الامام يواجه عائشة زوجة النبى ويقاتلها لابد وأن يكون لديه علم خاص.

وكون الامام يواجه معاوية وابن العاص والمغيرة وغيرهم ويقاتلهم لابد وان يكون لديه علم خاص.

وكون الامام يواجه الخوارج وقد كانوا من أتباعه ويقاتلهم لابد وأن يكون لديه علم خاص . .

إن الإمام على لم يشهر سيفًا فى مواجهة المشركين بعد الرسول ﷺ بل شهر سيفه فى مواجهةأهل القبلة وهذا أمر له دلالاته الهامة والتى تشير إلى اختصاصه بهذا العلم.

ولقد بشر الرسول ﷺ بخروج عائشة وقتالها لعلى[١٧].

وبشر بظهور بنى أمية وقتالهم على [١٨].

---

(١٦) مسند احمد جـ٣.

(١٧) تنبأ رسول الله (ص) ان علياً سيقاتل قريشاً في سبيل الله. انظر الترمذي. كتاب المناقب ومسند احمد جـ٢. ويروي ان الرسول(ص) حذر عائشة من الخروج وتنبأ بقتالها علي. انظر الصواعق المحرقة لابن حجر الهيثمي. وانظر طبقات ابن سعد. وتنبأ بقتل عمار على يد الفئة الباغية فئة معاوية. انظر مسلم كتاب الفتن باب/ ١٨. وانظر طبقات ابن سعد جـ٣ والحاكم.

(١٨) انظر البخاري كتاب الفتن. .

وبشر بظهور الخوارج وقتالهم على[19].

ومثل هـذه النبوءات التى ارتبطت بعلى من دون بقية الصحابة إنما تؤكد أن للامام على خاصية يتفرد بها على الآخرين وهى خاصية العلم.

أما الملمح الثالث فهو القيادة. وهى صفة خاصة جعلت من الامام قائدًا نبوياً وليس مجرد قائد كبقية القادة الذين برزوا على ساحة التاريخ. والقيادة النبوية شئ متفرد واختص به الامام ليلعب دوراً من بعد الرسول ويسد الفراغ الذى حدث بغيابه.

وبتأمل سلوك الرسول ﷺ مع الامام وعلاقته بـه تتحدد لنا بوضوح هذه الخاصية.

يروى ابن عباس: دفع رسول الله ﷺ الراية إلى على وهو ابن عشرين سنة[20].

وقال الرسول ﷺ يوم خيبر: لأعطين الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه يحب الله ورسوله. ويحبه الله ورسوله: فلما كان الغد دعا عليًا فدفعها إليه[21].

وكان الصحابة يرددون لاسيف إلا ذو الفقار ولافتى إلا على. وقد قتل أشهر فرسان العرب يوم الخندق وأصاب المشركين بنكسة معنوية كبيرة[22].

وشجاعة الامام على ليست بحاجة إلى برهان وسيرته مع الرسول تشهد بذلك.

---

(١٩) انظر مسلم كتاب الزكاة. باب ذكر الخوارج وصفاتهم والتحريض على قتلهم.
ويروي علي عن الرسول (ص) قوله: يخرج في آخر الزمان قوم أحداث الاسنان سفهاء الأحلام يقولون من قول خير البرية. لا يجاوز إيمانهم حناجرهم فأينما لقيتموهم فاقتلوهم فإن قتلهم أجر لمن قتلهم يوم القيامة.. انظر مسند احمد والبخاري كتاب الفتن ومسلم.، وانظر أحاديث حذيفة فى كتاب الفتن بالبخارى وهى تبين ان هناك ردة وكفر بعد رسول الله. وحديث كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت اساله عن الشر. وحذيفة من خط الامام على. ويمكن للباحث ان يقارن بين رويات انصار الخط القبلى وروايات انصار الامام ليدرك مدى الهوة السحيقة بين الطرفين ومدى الفارق العلمى بينهما.

(٢٠) رواه الطبراني..

(٢١) انظر البخاري ومسلم. باب فضائل على. ومسند احمد جـ٢.

(٢٢) الفارس الذي قتله على هو عمرو بن الود.

وقد كان الرسول يوطن فيه من صغره الشجاعة والمواجهة والخشونة. وكان اختياره له ليبيت فى مضجعه ليلة الهجرة صورة من صور التربية النبوية له والتى تعده ليكون قائدًا فذًا يحمل راية الإسلام النبوى من بعده. وتروى كتب التاريخ. ان عليًا كان صاحب لواء الرسول ﷺ يوم بدر وفى كل المشاهد(٢٣).

وشهادة الرسول ﷺ لعلى فى حجة الوداع أمام أكبر حشد من الصحابة والمسلمين فى تاريخ الدعوة إنما تؤكد هذه الخاصية وهذا الدور الذى وكل إليه. وهى تؤكد من جانب آخر شرعية هذا الدور وارتباط خطوات الامام ومواقفه المستقبلية بحدود الشرع وبالإسلام النبوى..

يروى ان عليا نشد الناس قائلاً: من سمع رسول الله ﷺ يقول يوم غديرخم إلا قام. فقام اثنا عشر بدريًا فشهدوا أنهم سمعوا رسول الله ﷺ يقول لعلى يوم غديرخم: أليس الله أولى بالمؤمنين قالوا: بلى قال: اللهم من كنت مولاه فعلى مولاه. اللهم وال من والاه وعاد من عاداه(٢٤).

ويوم غديرخم أيضاً قال الرسول ﷺ : أذكركم الله فى أهل بيتى. أذكركم الله فى أهل بيتى. أذكركم الله فى أهل بيتى(٢٥).

وقال ﷺ : أما بعد ألا أيها الناس فإنما انا بشر يوشك أن يأتى رسول ربى فأجيب وأنا تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال وأهل بيتى(٢٦).

وغديرخم موضع ماء يقع فى واد بين مكة والمدينة توقف فيه الرسول ﷺ حين عودته من حجة الوداع وخطب فيه خطبة طويلة جزء منها كان خاصًا بالامام على وبأهل البيت وهم على وفاطمة والحسن والحسين.

---

(٢٣) انظر طبقات ابن سعد جـ٣.

(٢٤) انظر مسند احمد ١.

(٢٥) انظر مسلم كتاب فضائل الصحابة. باب مناقب علي..

(٢٦) المرجع السابق..

وكون الرسول يوصى بعلى وأهل البيت فى خطبة الوداع فكأنه يؤكد للأمة ضرورة الالتزام بالإسلام النبوى الذى سوف يمثله على من بعده. ويحذرها من الانحراف عن هذا الإسلام بترك موالاة الامام على وأهل البيت.

لقد ترك الرسولﷺ للأمة الكتاب وربط هذا الكتاب بآل البيت بزعامة الامام على فمن التزم بالكتاب التزم بآل البيت. ومن حاد عن الكتاب حاد عن آل البيت.

ان ربط الكتاب بالامام يضفى المشروعية على كل خطوات الامام ومواقفه. فهو قد اختير من قبل الرسول ليكون مفسر هذا الكتاب والمعبر عنه والناطق بلسانه.

ومن هنا يتبين لنا أن شخصية الامام ومكانته ودوره لايقاس به أحد. وان محاولة فهم حركة الامام على بمعزل عن هذه الرؤية سوف يموه على حقيقة الصراع الذى دار بينه وبين أنصار الخط القبلى بقيادة ابى بكر وعمر وعثمان والذى تطور إلى الصدام العسكرى مع عائشة وطلحة والزبير ومع الخوارج ثم فى النهاية مع بنى أمية بقيادة معاوية.

وأن محاولة رفع بنى أمية أو التقليل من شأن الامام على أو مساواته بمعاوية كما هى عقيدة أهل السنة ليست فقط سوف تؤدى إلى التمويه على حقيقة الصراع الذى دار بين الامام وخصومه كما هو الهدف الظاهر منها. وانما سوف تؤدى إلى التمويه على حقيقة الإسلام النبوى الذى يمثله الامام نيابة عن الرسول ﷺ وبالتالى سوف تكون النتيجة هى ارتفاع الاسلام القبلى اسلام بنى أمية وعلو مكانته على حساب الإسلام النبوي(٢٧).

وتلك هى النتيجة التى استقرت عليها الأمة بعد وقعة صفين وبعد اختفاء الاسلام النبوى وسيادة الإسلام القبلى على يد بنى أمية ذلك الإسلام الذى تعبر عنه عقيدة أهل السنة والذى تحول إلى دين الاغلبية بدعم الحكومات المتعاقبة من عصر بنى أمية وحتى اليوم.

---

(٢٧) يروى عن عبد الله بن حنبل قال: سالت أبى ماتقول في على ومعاوية؟ فأطرق. ثم قال: إعلم أن علياً كان كثير الأعداء ففتش اعداؤه له عيباً فلم يجدوه، فعمدوا إلى رجل قد حاربه فأطروه كياداً منهم لعلى.. وقال ابن حجر معلقاً على هذا الكلام: فأشار بهذا - أى ابن حنبل - إلى ما اختلقوه لمعاوية من الفضائل مما لا أصل له.. انظر فتح البارى جـ٧/ ١٠٤.

رجال الامام

ان المتتبع لسيرة الرسول ﷺ يكتشف أن هناك عدد من الصحابة كان يناصر الامام علي ويلتف حوله وكما زكي الرسول الامام علي وجعل له خصوصية زكي أيضًا هؤلاء الصحابة وباركهم.

ولكثرة ماورد في علي على لسان الرسول ﷺ أوجب هذا على المؤمنين المخلصين أن يشايعوه ويتبعوه لكون مشايعته واتباعه هو امتداد للالتزام بنهج الرسول. فما دام حب عليًا من الايمان وبغضه من النفاق ولكون القرآن مع علي وعلي مع القرآن أصبح موالاة الإمام علي مسألة شرعية وواجب إيماني(٢٨).

ومن الصحابة الذين شايعوا الامام علي في حياة الرسول وبعد وفاته : ابو ذر الغفاري وعمار بن ياسر وبلال بن ابي رباح والمقداد وحذيفة بن اليمان. وجابر بن عبدالله وخباب بن الأرت وسلمان الفارسي وحجر بن عدى . وحسان بن ثابت. وابو سعيد الخدري وعبدالله بن عباس والعباس بن عبدالمطلب وابو ايوب الانصاري وخزيمة ذي الشهادتين وأبي بن كعب وسهل بن حنيف وقيس بن سعد بن عباده والبراء بن مالك وعثمان بن الاحنف وخالد بن سعيد بن العاص وهند بن ابي هالة وأبي الطفيل عامر بن وائله وانس بن الحرث بن نبيه وجعدة بن هبيرة المخزومي وابي التيهان ورفاعة بن مالك الانصاري(٢٩).

ومن الواضح أن هذه النماذج من الصحابة ذات مكانة ودور خاص في واقع الدعوة وبمقارنتها بالنماذج الأخرى التي التفت حول معاوية يتضح لنا مدى الهوة السحيقة بينهما.

إن النماذج التي تحالفت مع الامام علي وناصرته هي من خلص الصحابة الذين توفي الرسول وهو عنهم راض.

هذه النماذج لم يقتصر دورها في حدود مناصرة الامام علي أثناء صراعة مع معاوية. بل ان دور هذه العناصر بدأ بعد وفاة الرسول ﷺ وقد وقفت هذه

(٢٨) حديث علي مع القرآن رواه الحاكم جـ٣/ ١٢٤. وانظر مناقب الخوارزمي وتاريخ الخلفاء للسيوطي..
(٢٩) انظر ترجمة هؤلاء في كتاب الاصابة في تمييز الصحابة لابن حجر. وأسد الغابة لابن الاثير..

العناصر مع الامام فى مواجهة الخط القبلى كما وقفت معه فى موجهة عثمان وعائشة والخوارج.

أما النماذج الأخرى التى تحالفت مع معاوية فقد حامت من حولها الشكوك وليس فى تاريخها مايوجب الثقة فيها.

ويقول الرسول ﷺ إن الله أمرنى بحب أربعة وأخبرنى أنه يحبهم. قيل يارسول الله سمهم لنا؟ قال: على منهم. يقول ذلك ثلاثًا. وابو ذر والمقداد وسلمان(٣٠).

وجميع هذه العناصر المذكورة من خواص الرسول ﷺ واصفياؤه ولهم تاريخ مشرف ومكانة فذه . .

فبلال مؤذن الرسول . .

وحذيفة صاحب سره . .

وابى بن كعب من قراء القرآن . .

وعبدالله بن عباس حبر الأمة . .

وعمار بن ياسر ابن الشهيدين . .

وخذيمة ذى الشهادتين . .

وحسان بن ثابت شاعر الرسول . .

ولاتجد فى صفوف أنصار الخط القبلى أو الخط الاموى من يضاهى هؤلاء .

شخصية معاوية

كان معاوية من الطلقاء الذين أطلقهم الرسول بعد فتح مكة. وظل هو وابوه فى عداد المؤلفة قلوبهم حتى عهد عمر الذى قام بإلغاء نصيب المؤلفة قلوبهم وتم بالتالى رفع معاوية إلى مرتبة المسلمين هو وأبوه.

---

(٣٠) انظر الترمذي كتاب المناقب. وانظر سنن ابن ماجه المقدمة. ومسند احمد جـ٥ . .

إلا أن النصوص التاريخية والنبوية لاتؤكد دخوله هو وأبوه في دائرة الإسلام فلم يظهر من كلاهما مايبدد شبهة الكفر عنهما.

لكن فقهاء القوم بدلاً من أن يبحثوا هذه المسألة قاموا بدعم بني أمية وعلى رأسهم معاوية وإضفاء المشروعية عليهم ولم يحاول أحد منهم التشكيك في الروايات المخترعة من أجل رفع مكانته ودفع المسلمين إلى الثقة فيه..

وإذا أردنا تتبع تاريخ معاوية فلن نكتشف له شيئاً يذكر في المحيط الإسلامي.

فلا هو بصاحب شجاعة ولاهو رجل سيف..

ولا هو صاحب علم ولاهو صاحب فضل..

ولاهو احتك بالرسول ولا هو احتك بالصحابة.

فمن أين جاءته تلك المكانة التي وضعوه فيها؟.

وكيف للقوم إن يساووا مثل هذا بالإمام علي..؟إن أهم ملامح شخصية معاوية هي المكر والخديعة والغدر وهي ملامح عباد الدنيا وأهل الفجور ولولا تحالف ابن العاص وأبو هريرة معه ما استقام له الأمر ولاظل له ذكر..

فابن العاص دعمه بخططه ودهائه.

وأبو هريرة دعمه برواياته التي نسبها إلى الرسول (ص)..

ثم ان الأحداث خدمته في النهاية ويسرت له الطريق نحو التمكن والسيادة على المسلمين ولم يكن له دور أو فضل في ذلك..

فالذين وقفوا على الحياد خدموه..

والذين حاربوا الامام علي خدموه..

والذين اغتالوا الامام علي خدموه..

والذين خذلوا الامام الحسن خدموه..

والتي اغتالت الامام الحسن خدمته.

يروي ابن حجر: كان معاوية يمني وهو غلام مع أمه إذ عثر. فقالت قم

لارفعك الله فقال لهـا اعرابى لم تقولين هذا والله انى لأراه يسـود قومه. فقالت: لارفعه الله ان لم يسد إلا قومه[٣١].

ويروى عن ابن عباس قوله: ما رأيت أحداً أحلى للملك من معاوية.[٣٢]

ويروى على لسان الرسول (ص) قوله لمعاوية: يا معاوية ان وليت أمراً فاتق الله وأعدل.

يقول معاوية معلقاً: فما زلت أظن أنى مبتلى بعمل سويد فيه مقال..[٣٣]

رجال معاوية

لم تكن لمعاوية مكانة ولا قدراً فسى الاسلام. ولم يكن بصاحب علم أو دين. إنما كان صاحب جاه ونفوذ لذا فإن الذين التـفوا من حوله كانوا من أصحاب الدنيا والمغنم ولم يكونوا من أصحاب الدين..

وكانت وسائل معاوية فى جذب الرجال إلـيه تتركز. فى المال والاغراء بالمناصب كما تتركز فى الدعاية المضللة التى تهدف إلى التمويه على الباطل الذى يمثله ويرفع رايته..

المال والمناصب كانت وسيلة جذب من يعرفه وعاصره..

والدعاية كانت وسيلة جذب من لا يعرفه من التابعين..

وكلا من الطرفين كان يرتبط بمعاوية ارتباطـاً مصيرياً إذ أن تركه معاوية يعنى أنه لن يجد مكاناً لدى الطرف الآخر طرف الامام علي..

ومن أبرز العنـاصر التى التفت حول مـعاوية وتحالفت معه: عـمرو بن العاص والمغيرة بن شعبه وأبو هريرة وابو موسى الأشعرى ومروان بن الحكم.

(٣١) انظر الإصابة جـ ٣/ ٤٣٣/ ٤٣٤. ترجمة معاوية حرف الميم. القسم الاول.. ومثل هذه الروايات لا يحكم أهل السنة بثبوتها فلم تصح فى مـعاوية منقبة كما صرح بـذلك اسحاق بن راهويه شيخ البخارى لكن القوم اخترعوها لدعم معاوية وتبرير مواقفه واخفاء المشروعية على حكمه

(٣٢) المرجع السابق..

(٣٣) المرجع السابق..

ومثل هذه العناصر صاحبة تاريخ مشبوه وليست بذا ثقل في واقع الدعوة ولم تكن صاحبة مكانة[٣٤] في حياة الرسول(ص) بل كانت منبوذة مذمومة . .

من هنا فقد عملت هذه العناصر على القيام بحملة دعاية واسعة الهدف منها إضفاء المشروعية على مواقفهم وممارساتهم ورفع مكانتهم أمام المسلمين: فكان أن قاموا باختراع الروايات ونسبتها للرسول تلك الروايات التي تزكيهم وتضع الحق إلى جانبهم وتموه على الجانب الآخر وتسهم في جذب المسلمين من التابعين إلى صفوفهم . . [٣٥]

من هنا فقد استطاع معاوية بمعونة أبي هريرة وابن العاص أن يشكلوا جبهة دعاية واسعة استطاعوا بواسطتها أن يغرروا بالمسلمين ويعزلوهم من خط آل البيت . .

وكان وقوف عدد من الصحابة على الحياد في الصراع الدائر بين الامام ومعاوية قد شكل وسيلة دعم لمعاوية وضربة للامام علي . إذ دفع بكثير من المسلمين إلى التشكك في جدوى الصراع وهذا أمر في صالح معاوية بلا شك . .

وعلى رأس الذين وقفوا على الحياد عبدالله بن عمر وسعد بن أبي وقاص ومحمد بن مسلمة .

وليس من المعقول تصور ان ابن عمر وهؤلاء المحايدين كانوا يجهلون حقيقة الموقف . وان سلمنا [٣٦] لهم بذلك . فكيف نسلم بجهلهم بحقيقة ابي هريرة وابن العاص ومعاوية . . ؟ .

---

(٣٤) انظر لنا فقه الهزيمة باب الرجال . وكتاب الخدعة . .

(٣٥) نهج البلاغة جـ١/ خطبة رقم ١٩٨ . .

(٣٦) انظر تراجم هؤلاء في أسد الغابة والاصابة والاستيعاب . . وابن عمر أحد ركائز الخط الاموى وعقيدة وفقه أهل السنة

المواجهة

سيف الإيمان يقارع سيف الشيطان..

لم تكن المواجهة العسكرية التى حدثت بين الامام على وبين عائشة ومعاوية والخوارج يعود سببها إلى الصراع على الحكم كما قد يتصور البعض ممن يقرأون أحداث التاريخ على أسس سياسية بحتة بمعزل عن الدين. فالامام لم يواجه هؤلاء كخارجين على الجماعة فلم تكن هناك جماعة إنما كانت هناك شيع وأحزاب..

كانت سيوف القوم على الامام وقلوبهم مع سواه مما دفع بالامام إلى نقل عاصمته من المدينة إلى الكوفة حيث توجد القاعدة الجماهيرية العريضة المناصرة له..

لقد كان الصراع بين الامام وبين هذه الجبهات الثلاث صراعاً عقائدياً ولم يكن صراعاً سياسياً.. فهذه الجبهات كانت تواجه الامام بعقيدة ومنهج وراية..

كانت عائشة ترفع راية الخط القَبَلي..

وكان معاوية يرفع راية بني أُمية..

وكان الخوارج يرفعون راية التكفير..

وكان الامام فى مواجهتهم يرفع راية الاسلام النبوي..

ان عائشة أو معاوية أو الخوارج لم يظهروا من فراغ إنما هم يمثلون خطوطاً تهدف إلى فتنة المسلمين. وان المتأمل فى الروايات الواردة حول هؤلاء فى كتب السنن يتبين له هذا الأمر بوضوح..

ولقد بدأت المواجهة بين الامام وبين هؤلاء فور وفاة الرسول (ص) وطوال عهد الخلفاء الثلاثة لم تكن تخرج هذه المواجهة عن حدود الصدام الفكري. أما حين برز دور الامام بعد مصرع عثمان خرجت المواجهة عن حدود الصدام الفكرى إلى الصدام العسكرى بعد أن أحست الجبهات الثلاث بخطورة الأمر وتهديده لوجودها ومستقبلها..

فلم يكن يضر عائشة وجود عثمان على دفة الحكم أو سواه..

ولم يكن يضر معاوية وجوده أو وجود سواه..

اما وجود الامام فهو يمثل تهديدا صارخا لانه يرفع راية إسلام اخر يكشف زيف إسلامهم وفى حالة وجود عثمان أو سواه على دفة الحكم كان معاوية سيخرج رافعاً رايته. فقد كانت المسألة بالنسبة له مسألة وقت كان وصول الامام إلى الحكم قد اختصره . . .

وأما مواجهة الامام للخوارج فهى تعكس خصوصيته بمواجهتهم والتصدى لنمطية الفكر والطرح الذى يطرحونه والذى يمثل تهديداً للاسلام النبوي. ويمثل نمطية ثابتة ومستمرة فى مواجهة هذا الاسلام على مر الزمان. وكما تم القضاء على الخوارج على يد الامام على فلن يتم مواجهتهم والقضاء عليهم بعد الامام إلا بواسطة خط الامام . .

ان الامام على لم يكن يهدف من وراء هذه المواجهة الى القضاء على عائشة او معاوية او الخوارج بقدر ما كان يهدف الى إقامة الحجة وإظهار الحق وتعرية الباطل ورفع راية الإسلام النبوي.

وهذه هي حقيقة دور الامام . .

إظهار الحق وان لم يتحقق تمكينه وسيادته . .

وتعرية الباطل وإن لم يتم القضاء عليه . .

الجمل

يروى أن أبا بكر استأذن على النبي (ص) فسمع صوت عائشة عالياً وهى تقول: والله لقد علمت أن علياً أحب إليك من أبي . . [1]

وسئلت عائشة من كان رسول الله (ص) مستخلفاً؟ قالت: أبو بكر. قيل ثم من؟ قالت: عمر. قيل ثم من؟ قالت: أبو عبيدة بن الجراح . . [2]

إن الرواية الأولى تكشف لنا ان هناك موقفاً معادياً من على تتبناه عائشة. وأن هذا الموقف يعود سببه إلى تفضيل الرسول (ص) لعلى على أبيها . .

---

(١) انظر احمد وأبو داود والنسائي. وفتح البارى جـ٧/ ٢٧ . .

(٢) انظر فتح البارى جـ٧/ ٣٢. والحديث رواه مسلم . .

والرواية الثانية تكشف لنا أن عائشة لم تكن تعترف بخلافة عثمان ولا بخلافة على ووضعت مكان عثمان ابن الجراح وهو مالم يقل به أحد من الرواة ولم يذكر على لسان أحد من الصحابة. ويخالف عقيدة اهل السنة فى الإقرار بخلافة على بعد عثمان.

ومن خلال الروايتين معاً يتبين لنا أن موقف عائشة من الإمام على ليس موقفاً هامشياً أو سطحياً عارضاً كما يحاول مؤرخو القوم وفقها وهم أن يصوروه رابطينه بحادثة الإفك.. (٣)

وباستعراض الروايات السابقة الخاصة بعائشة خاصة تلك التى تتعلق بوفاة الرسول (ص) يتبين لنا عمق هذا الموقف وجذريته.. (٤)

ولقد تبلور هذا الموقف فى حياة الرسول(ص) حين كانت لعلى مكانته المرموقة والعالية التى فاقت جميع الصحابة وعلى رأسهم أبيها. (٥)

ثم أخذ هذا الموقف امتداده وتطوره بعد وفاة الرسول (ص) فى حماية أبيها وقد تحقق لها ما كانت تطمح من مكانة ومقام لأبيها وعزل الامام على عن واقع المسلمين..

وطوال عهد أبيها وعهد عمر لم تكن لتهتز مكانة عائشة وسلطانها ولم تكن لترتفع مكانة على عن الحدود المرسومة من قبل الخليفتين..

إلا أنه بعد مصرع عمر ووصول عثمان إلى الحكم تغير الوضع إذ برز بنو أمية وناطحوا عائشة وعلى والجميع مما دفع بعائشة إلى التصدى لعثمان ومنابذته..

وعندما ثار المسلمون على عثمان وقتلوه وبايع الناس الامام على الخلافة وجدت

---

(٣) يحاول مؤرخو السنة ربط الموقف العدائى الذى اتخذته عائشة من الامام على بحادثة الافك حين قال الامام للرسول ﷺ: تزوج يارسول الله فإن النساء كثيرات. فحملت عليه عائشة منذ ذلك الحين. والحق أن هناك شك فى أن عائشة هى المقصودة بحادثة الافك. انظر تفاصيل هذه الحادثة فى كتب التفسير وكتب التاريخ..

(٤) انظر الباب الأول من الكتاب. وانظر تفسير سورة التحريم وموقف القرآن من عائشة وحفصة

(٥) كانت عائشة من الحزب المناهض للامام على فى حياة الرسول ﷺ..

عائشة نفسها بين أمرين ، إما أن تذعن لعلى وتدين له بالطاعة وذلك يعنى انتهاء دورها وضياع مكانتها . .

وإما أن تخرج على على وتقاتله من أجل الخلاص منه.

وقد اختارت عائشة الموقف الثانى فكانت وقعة الجمل الشهيرة التى راح ضحيتها اكثر من عشرة آلاف نفس وانتهت بهزيمة عائشة.

يروى البخارى لما بعث علي عماراً والحسن إلى الكوفة ليستنفرهم ـ اثناء وقعة الجمل ـ خطب عمار فقال: إنى لأعلم أنها- أى عائشة- زوجته فى الدنيا والآخرة ولكن الله ابتلاكم لتتبعوه أو إياها. .[6] .

ويقول ابن حجر معلقاً على هذه الرواية: وقوله فى الحديث لتتبعوه أواياها قيل الضمير لعلى لأنه كان الذى يدعو إليه عمار. والذى يظهر أنه لله والمراد باتباع الله اتباع حكمه الشرعى فى طاعة الأمام وعدم الخروج عليه. ولعله أشار إلى قوله تعالى: (وقرن فى بيوتكن) فإنه أمر حقيقى خوطب به أزواج النبى ﷺ ولهذا كانت أم سلمة تقول: لا يحركن ظهر بعير حتى ألقى النبي.

والعذر فى ذلك عن عائشة أنها كانت متأولة هى وطلحة والزبير وكان مرادهم إيقاع الاصلاح بين الناس وأخذ القصاص من قتلة عثمان وكان رأى على الاجتماع وطلب أولياء المقتول للقصاص ممن يثبت عليه القتل. .[7]

وابن حجر كما هو واضح من كلامه يعترف بأن عائشة خالفت القرآن بخروجها من بيتها بينما التزمت أم سلمة بنص القرآن. إلا أن مالم يعترف به ابن حجر هو أن هذا الخروج قد كلف الأمة الكثير من الرجال والاموال ونتجت عنه مفسدة عظيمة حاول التغطية عليها وسترها بدعوى التأويل كما هو حال فقهاء القوم فى مواجهة النصوص والاحداث التى ترتبط بكبار الصحابة وتشكل حرجًا لهم. .[8]

(٦) انظر البخاري. باب فضل عائشة. وفتح البارى جـ٧/ ١٠٨. .
(٧) المرجع السابق. .
(٨) انظر كتاب العواصم من القواصم. وانظر لنا كتاب الخدعة. .

ولم يكن أمام عائشة من مبرر تؤلب عليه الناس ضد الامام وتدفعهم إلى قتاله سوى المطالبة بدم عثمان. وهو نفس الشعار الذى رفعه معاوية فى مواجهة الامام علي..

وكان انضمام طلحة والزبير إلى عائشة ونقضهما لبيعة الامام قد دعم موقفها وزاد من حميتها للقتال وأسهم في تنظيم صفوفها. وهو نفس ماحدث مع معاوية حين انتمى إلى صفه عمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة..

إن تبنى كلا من عائشة ومعاوية قضية عثمان فى مواجهة الامام يدل دلالة واضحة على افتقادهما للمبررات الشرعية فى مواجهته.

ومن جهة أخرى هو يدل على ضعف موقفهما ويضفى عليه الانتهازية.

يقول الامام على ذامًا أهل البصرة أنصار عائشة: كنتم جند المرأة واتباع البهيمة رغافأجبتم وعقر فهربتم. أخلاقكم دقاق. وعهدكم شقاق. ودينكم نفاق. وماؤكم زعاق والمقيم بين أظهركم مرتهن بذنبه والشاخص عنكم متدارك برحمة من ربه.. كأنى بمسجدكم كجؤجؤ سفينة قد بعث الله عليها العذاب من فوقها ومن تحتها وغرق من فى ضمنها.. بلادكم أنتن بلاد الله تربة. أقربها من الماء وأبعدها من السماء وبها تسعة أعشار الشر. المحتبس فيها بذنبه والخارج بعفو الله..[9]

ويقول الامام فى ذم عائشة بعد حرب الجمل: معاشر الناس إن النساء نواقص الإيمان. نواقص الحظوظ. نواقص العقول.. فاتقو اشرار النساء وكونوا من خيارهن على حذر ولا تطيعوهن فى المعروف حتى لا يطمعن فى المنكر..[10]

وقعة صفين

أصدر الامام على قراره بعزل معاوية عن الشام بمجرد أن تولى أمر الخلافة. إلا أن معاوية رفض الانصياع لقرار الامام وأعلن العصيان رافعًا قميص عثمان على منبر دمشق داعيًا الناس إلى الثأر من قتلته مشيرًا بإصبع الاتهام إلى الامام على وشيعته..

---

(٩) نهج البلاغة حـ١/ خطبة رقم ١٣..

(١٠) المرجع السابق حـ١/ خطبة رقم ٧٨..

ويحاول المؤرخون توجيه اللوم للامام علي وتخطئته لإصداره قرار عزل معاوية فور توليه الحكم وكان الواجب عليه أن يتركه على الشام حتى تنجلى الأمور..

ومثل هذا التصور إنما ينبع من رؤية سطحية لطبيعة الصراع. رؤية تنبنى على أساس أن المسألة لاتخرج عن كونها مجرد صراع داخلى بين حاكم وواحد من ولاته. وتنبنى أيضًا على أساس أن معاوية يتحرك وفق دائرة المصلحة..

ولو كان هؤلاء المؤرخون يفقهون شخصية الامام على ويقدرون دوره ويعطونه مكانته لكان من الممكن أن يفهموا أن موقف الامام من معاوية إنما هو موقف يفرضه المبدأ الإسلامي..

لوفقه هؤلاء شخصية معاوية وتاريخه ومكانته الوضيعة ماتبنوا هذه الرؤية..

إن هؤلاء المؤرخين كغيرهم من الفقهاء سقطوا ضحية السياسة وسلموا بما بين يديهم من أطروحات وروايات دون أن يعقلوها ويراجعوها على أساس أن هذا الاطروحات والروايات إنما وصلتهم من رجال عدول ثقات.[١١]

لقد حكم معاوية الشام سبعة عشر عامًا مكن لنفسه فيها وارتبط مصيره بها وكانت بالنسبة له بمثابة دولة وليست ولاية..

ولأن الامام كان يفقه حقيقة معاوية والاتجاه الذى يمثله والدور الذى سوف يلعبه كان لابد من أن يتبنى هذا الموقف تجاهه..

حقيقة معاوية أنه شيطان هذه الأمة..

والاتجاه الذى يمثله هو الباطل..

والدور الذى سوف يلعبه هو ضرب الإسلام النبوي..

وأمام شخص كهذا لاتصح المساومات والمداهنات وأنصاف الحلول لأنها سوف تكون على حساب الحق وسوف ينتج عنها دعم الباطل..

من هنا كان السيف هو الحل الذى فرض نفسه. فلم يكن أمام معاوية سواه ليواجه به الامام فهو لايملك أية مقومات أخرى ليواجهه بها..

---

(١١) انظر لنا كتاب فقه الهزيمة فصل الحديث وانظر باب انعكاسات الخط الاموي..

لايملك الشرعية..

ولايملك العلم..

ولايملك الرصيد التاريخي..

وعندما بدأ الصدام كان في صف الامام ثمانون بدريًا ومائة وخمسون ممن بايع تحت الشجرة أما في صف معاوية فكان عمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة أما أبو هريرة فلم يكن من المقاتلين وإنما كان يتزعم جهاز الدعاية لمعاوية..

أعلن الامام في عسكره: لاتقاتلوهم حتى يقاتلوكم وانتم بحمد الله على حجة وترككم قتالهم حجة أخرى فإذا هزمتموهم فلا تقتلوا مدبراً ولاتجهزوا على جريح ولا تكشفوا عورة ولاتمثلوا بقتيل وإذا وصلتم إلى رجال القوم فلا تهتكوا ستراً ولا تدخلوا داراً ولا تأخذوا شيئًا من أموالهم ولا تهيجوا امرأة وأن شتمن أعراضكم وسببن أمراءكم وصلحاءكم..(١٢)

وهذا الخلق النبوي الذي التزم بـه الأمام في المعركة واجهه معاوية بالغدر والخديعة حين رأى الهزيمة به لاحقة خاصة بعد مصرع رجل الامام عمار بن ياسر الذي أخبر الرسول بمصرعه على يد الفئة الباغية..(١٣)

ولقد شكل مصرع عمار هزة كبيرة لمعاوية وابن العاص خاصة بعد أن شاع بين جيش الشام خبر نبوءة الرسول في عمار..

يقول أبو بكر الجصاص: قاتل على الفئة الباغية بالسيف ومعه من كبراء الصحابة وأهل بدر من قد علم مكانهم وكان محقًا في قتاله لهم لم يخالف فيه أحد إلا الفئة الباغية التي قابلته واتباعها. وقال النبي ﷺ لعمار تقتلك الفئة الباغية وهذا خبر مقبول من طريق التواتر حتى أن معاوية لم يقدر على جحده لما قال له عبدالله بن عمر. فقال: إنما قتله من جاء به فطرحه بين أسنتنا. رواه أهل الكوفة وأهل البصرة وأهل الحجاز وأهل الشام..(١٤)

---

(١٢) انظر الطبري حـ٤/٦. والكامل لابن الأثير حـ٣/ ١٤٩..

(١٣) انظر مسلم كتاب الفتن وابن كثير حـ٧/ ٢٦٧. والاستيعاب وسيرة ابن هشام..

(١٤) انظر أحكام القرآن للجصاص. وانظر ابن كثير والطبري وكتب التأريخ..

ويروى ابن عبد البر: وتواترت الآثار عن النبى ﷺ أنه قال تقتل عمار الفئة الباغية وهذا من إخباره بالغيب واعلام نبوته ﷺ وهو من أصح الاحاديث. .[15]

ويروى ابن حجر: وظهر بقتل عمار أن الصواب كان مع على واتفق على ذلك أهل السنة بعد اختلاف كان فى القديم. .[16]

ويروى مسلم ان رسول الله ﷺ قال لعمار تقتلك الباغية. .[17]

وعلى الرغم من اعتراف الفقهاء بأن الحق كان فى جانب على إلا أن اعترافهم هذا لايعنى الحكم بأن معاوية كان على باطل عندهم. فهم يعتبرون معاوية مجتهداً مأجوراً على مافعل لكونه قاتل عليًا بقصد الخير لابقصد الشر. .[18]

يقول النووى: هذا الحديث حجة ظاهرة فى ان علياً كان محقًا مصيباً والطائفة الأخرى بغاة لكنهم مجتهدون فلا اثم عليهم لذلك. .[19]

ومثل هذا النهج التبريرى يتبنّاه القوم على الدوام فى مواجهة النصوص التى تدعم الامام على وخط آل البيت وشيعتهم وتشكك فى الجانب الآخر جانب الخصوم والمخالفين والمنحرفين عن هذا الخط. خاصة عثمان وعائشة ومعاوية. .[20]

ويروى المؤرخون أن عليًا بارز فى أيام صفين وقتل خلقًا كثيراً. وكان أحد فرسان معاوية قد قتل أربعة من رجال الامام ثم صاح هل من مبارز؟

فبرز إليه الامام فتجاولا ساعة ثم ضربه على فقتله ثم قتل ثلاثة بعده ثم تلا قوله تعالى: ﴿والحرمات قصاص﴾. . ثم نادى الامام: ويحك معاوية أبرز إلى ولا تفنى العرب بينى وبينك.

---

(١٥) انظر الاستيعاب ترجمة عمار بن ياسر. .
(١٦) انظر الاصابة جـ٢/ ٥٠٢
(١٧) انظر مسلم وابن كثير والاستيعاب والحاكم. .
(١٨) انظر العواصم من القواصم. والبداية والنهاية وفتاوى ابن تيمية. والفصل فى الملل والنحل لابن حزم. .
(١٩) مسلم هامش ترجمة عمار. كتاب فضائل الصحابة. .
(٢٠) انظر منهاج السنة لابن تيمية. والعواصم. والفصل فى الملل والنحل

فقال عمرو بن العـاص لمعاوية: اغتنمه فإنه قد أثخن بقـتل هؤلاء الأربعة فقال معاوية: والله لقـد علمت ان علياً لم يقـهر قط. وإنما أردت قتلي لتـصيب الخلافة من بعدى. اذهب إليك. فليس مثلى يخدع. .(٢١).

واغار الإمام علـى جيش معاوية وحمل عـلى عمرو بن العاص وضربـه بالرمح فألقاه على الأرض فبدت سوءته فرجع عنه ولم يقتله. .

فقال له أصحابه: مالك يا أمير المؤمنين رجعتـه . . ؟

فقال الإمام: أتدرون ما هو؟

قالوا: لا . .

قال: هذا عمروبن العاص تلقانى بسوءته فذكرنى بالرحمن فرجعت عنه(٢٢).

وامام الضربات القاتلة التى كان يوجهها الامام وجنده لقوات معاوية التى أخذت فى التقهقر والانهـزام أشار ابن العاص على معاوية بحيلة خبيثة لاتنم عن دين أو تقـوى وإنما تنـم عن ضلال وكـفر وخديـعة. وقـد تمثلـت هذه الحيـلة فى تمـزيق المصحف ورفع أوراقـه على أسنة الرماح أمام جنـود الإمام والمطالبة بتحـكيمه فى الصراع الدائر بينهما. .

يقول ابن العاص: فإن أبى بـعضهم أن يقبلها وجدت فيهم من يـقول ينبغى لنا أن نقبل فتكون فرقة بينهم. وإن قبلوا ما فيها رفعنا القتال عنا إلى أجل. .(٢٣).

أن مثل هذا العمل إنما يدل على مدى استخفاف معاوية وابن العاص بكتاب الله فهما لم يفعلا ذلك بهدف تحكيم كتاب الله وإنما بهدف التقاط الانفاس والوقيعة بين جند الإمام. .

ولقد تصدى الإمام بقوة لهذه الخدعة وأصر على استمرار القتال إلا أن أصحاب الهوى وضعاف العقـول من جنده طالبوه بالتحكيم ووقف الـقتال وقبل الإمام هذا الأمر على كراهية وغضب. وقام معاوية بتنصـيب ابن العاص حكماً من جهته بينما أوفد جند على أبو موسى الأشعرى بدلاً من عبدالله بن عباس الذى كان قد اختاره الإمام(٢٤).

---

(٢١) انظر البخارى ومسلم. باب فضائل على. ومسند أحمد جـ٢

(٢٢) الفارس الذى قتله على هو عمرو بن الود.

(٢٣) انظر طبقات ابن سعد جـ٣.

(٢٤) انظر مسند أحمد ١.

ودار بين ابن العاص وابى موسى الاشعرى الحوار التالي:

قال عمرو: كيف ترى الأصوب فى هذا الأمر..؟

قال الأشعري: أن نخلع هذين الرجلين ونجعل الأمر شورى فيختار المسلمون لأنفسهم من أحبوا.

قال عمرو: والرأى ما رأيت..

ثم خرجا على الناس وهم خليط من طرف على ومن طرف معاوية..

فقال عمرو: يا أبا موسى أعلمهم أن رأينا قد اتفق..

قال الاشعري: انا قد نظرنا فى أمر هذه الأمة فلم نر أصلح لأمرها من أمر قد أجمع عليه وهو أن نخلع عليّا ومعاوية ويولى الناس أمرهم من أحبوا وانى قد خلعت عليا ومعاوية فاستقبلوا أمركم وولوا عليكم من رأيتموه أهلاً..

قال ابن العاص: أن هذا قد قال ما سمعتموه وأنا أخلع صاحبه (يعنى عليا) كما خلعه وأثبت صاحبى (معاوية) فإنه ولى ابن عفان والطالب بدمه وأحق الناس بمقامه..

فصاح الأشعرى فى غضب: ملك لاوفقك الله غدرت وفجرت..(٢٥)

وقد وجد هذا الفعل المنكر من قبل ابن العاص تبريرًا فى فقه القوم إذ يقول ابن كثير: وكان عمرو بن العاص رأى أن ترك الناس بلا إمام والحالة هذه يؤدى إلى مفسدة طويلة عريضة أربى مما الناس فيه من الاختلاف فأقر معاوية لما رأى ذلك من المصلحة والاجتهاد يخطئ ويصيب(٢٦)

وهذا التبرير الساذج إنما يكشف لنا مدى تفاعل فقهاء القوم مع خط بنى أمية واستسلامهم لأطروحتهم والعمل على ترقيعها والدفاع عنها..

---

(٢٥) البداية والنهاية جـ٧/ ٢٨٣.

(٢٦) انظر الطبرى جـ٤/ ٥٧..

وفي مواجهة هذه الخدعة قال الامام: ألا ان هذين الرجلين اللذين اخترتموهما حكمين قد نبذا حكم القرآن وراء ظهورهما وأحييا ما أمات القرآن واتبع واحد منهما هواه بغير هدى من الله فحكما بغير حجة بينة ولاسنه ماضية واختلفا فى حكمها وكلاهما لم يرشدا. (٢٧)

جرائم معاوية

لم يكن معاوية يتحلى بشئ من خلق الإسلام أو يتأدب بأدبه كما لم ينهل شيئًا من العلم كذلك كان حال من تحالف معه وكان من جنده..

وكانت رايته راية دنيا وهوى ولم يكن للدين فيها أدنى نصيب..

من هنا فإنه يمكن القول أن معاوية ربما يكون أول من ابتدع قاعدة الغاية تبرر الوسيلة وعلى أساسها حطم القيم والمبادىء وانتهك الحرمات وأراق الدماء ونقض العهود وغدر بالمسلمين وبدل أحكام الدين..

ولقد استعان معاوية بشرار الخلق من أجل تصفية المعارضين والقضاء على شيعة الامام على ومحو ذكره..

وعلى رأس الذين استعان بهم معاوية فى تصفية المسلمين الملتزمين بالإسلام النبوى من أنصار الامام بسر بن أرطأه. تلك الشخصية الدموية التى لم ترحم شيخًا ولا امرأه ولا طفلاً وإرتكبت من الفظائع والمنكرات ماتقشعر له الابدان..

تروى كتب التاريخ ان معاوية أرسل بسر بن أبى أرطأة ليستخلص الحجاز واليمن من الامام علي. ولما دخل المدينة صعد منبرها وقال: أين شيخى الذى عهدته هنا بالأمس (يعنى عثمان) ثم قال يا أهل المدينة عليكم ببيعة معاوية وأرسل إلى بنى سلمة فقال ما لكم عندى أمان ولا مبايعة حتى تأتونى بجابر بن عبدالله وكان من شيعة الامام ثم قام بهدم دوراً بالمدينة. وانطلق إلى مكة ففر منه أبو موسى الأشعرى فقيل ذلك لبسر. فقال ماكنت لأقتله وقد خلع عليًا.

وأتى إلى اليمن فقتل عاملها وابنه ثم قتل إبنان صغيران لعبيد الله بن عباس

(٢٧) انظر البداية والنهاية لابن كثير جـ٧..

الذى كان قد فـر من وجهه إلى الكوفـة. وقد صاحت فى وجه بسـر امرأة من بنى كنانة قائلة فى غضب: يا هذا قتلت الرجـال فعلام تقتل هذين والله ماكانوا يقتلون فى الجاهلية والإسـلام. والله يا ابن ابى أرطأة إن سلطانًا لايقوم إلا بـقتل الصبى الصغير والشيخ. الكبير ونزع الرحمة وعقوق الأرحام لسلطان سوء. .(٢٨)

ولـم تقف جرائم بـسر عند هذا الحد بل تجاوزه. . إلى ارتكاب جريمـة لم يسبقه إليها أحد فى تأريخ الإسلام وهى سبى نساء المسلمين. .

يروى ابن عـبد البر: أغار بـسر بن أرطأة على همدان. وكانت فى يـد على ـ وسبـى نساءهم فـكن أول مسـلمات سبين فى الإسلام. وقـتـل أحياء من بنى سعد. . (٢٩)

ويروى أن بسر بن أرطأة كان من الابطال الطغـاة وبارز عليًا يوم صفين فـطعنه على فصرعه فانكشف له ـ أى كشف عورتـه له ـ فكف عنه كما عرض له مع عمرو بـن العاص. .(٣٠)

ويروى بخصوص بـسر وعمرو: إنما كان انصراف عـلى عنهما وعن أمثـالها من مصروع أو منهزم لأنه كـان لايرى فى قتلا الباغين عليه من المسلـمين أن يتبع مدبر ولا يجـهز عـلى جـريح ولا يـقتـل أسيـر وتلـك كانـت سيـرته فـى حروبـه فى الإسلام. .(٣١)

وبسر هذا الذى ارتكب هـذه الفظائع من أجل معاوية يعده الـقوم من الصحابة لأنه ولد فـى حياة الرسـول ورآه وعلى هذا يـدخل بسر فـى دائرة العدالـه حسب قاعدة عدالة الصـحابة وبالتالى تتحول جـرائمه إلى اجتهادات فعلهـا متأولاً ويثاب عليها. وجميع من تحالف مع معاوية هو من نموذج ابن ارطأة من الصحابة المختلقين الذين تحصن بهم معاوية وجاء أهل السنة فاضفوا عليهم المشروعية. .

(٢٨) انظر الاستيعاب ترجمة بسر بن أرطأة وكذلك الاصابة وأسد الغابة. والمراجع السابقة. .
(٢٩) انظر الاستيعاب. .
(٣٠) المرجع السابق. .
(٣١) المرجع السابق

ومن هنا فقد روى بسر عدة أحاديث في كتب السنن على لسان رسول الله ﷺ ففى سنن ابى داود روى قول الرسول ﷺ: لاتقطع الأيدى - للسارق - فى السفر.

وعند ابن حبان روى عن الرسول قوله اللهم أحسن عاقبتنا فى الأمور كلها.

وقال فيه ابن حبان: كان يلى لمعاوية الاعمال وكان إذا دعا ربما استجيب له وله أخبار شهيرة فى الفتن لاينبغى التشاغل بها. .(٣٢)

وكان معاوية أول من ابتدأ بقطع الرؤوس فى الإسلام. وكان قد قطع رأس عمار بن ياسر ورأس عمرو بن الحمق وهو أحد الذين قادوا الثورة ضد عثمان. كذلك فعل مع محمد بن أبى بكر فى مصر حين دخلها عمرو بن العاص ووضعوا جثته فى حمار ميت وأحرقوها.

وقد أصبحت سنة قطع الرؤوس التى سنها معاوية من السنن التى التزم بها الحكام من بعده. .(٣٣)

ومن جرائم معاوية أمره بسب الامام على ولعنه على المنابر ومثل هذه الجريمة لاتعد موقفًا شخصيًا عدائيًا من الامام إنما هى تعبر عن عدائية معاوية للإسلام النبوى الذى يمثله وخوفه من أن تتسرب مفاهيم هذا الإسلام للمسلمين فيكتشفوا زيفه وضلاله.

ولقد تصدى شيعة الامام لهذه الحملة الاعلامية الشيطانية التى قادها معاوية ضد الامام على بعد مصرعه ومصرع الحسن وسيطرته على الحكم. .

وعلى رأس الذين تصدوا لحملة معاوية هذه الصحابى الجليل حجر بن عدى وعدد من أنصار الامام فى ولاية زياد بن ابيه بالعراق. فكان أن قبض عليه زياد وعدد من رفاقه وأرسلهم إلى معاوية فى الشام بكتاب يحرضه فيه عليهم متهمًا حجرًا وأصحابه بالدفاع عن على والبراءة من عدوه وأهل حربه. وقد طلب من حجر وأصحابه البراءة من على ولعنه فأبوا.

---

(٣٢) انظر الاصابة جـ١. ترجمة بسر بن ارطاة. .وتأمل تعريف الصحابى فى مقدمة الاصابة. .

(٣٣) انظر كتب التأريخ والتراجم.

وقال حجر: لا أقول ما يسخط الرب. فأمر معـاوية بقتله وعدد من أصحابه في مرج عذراء عام ٥١ هـ. (٣٤)

ومن جرائم معاوية تآمره على قتل الامام الحسن بالسم وتوليه ولده يزيد خليفة له فكان أن شرع للملكية في الإسلام لتذوق الأمة على يد ولده وملوك بني مروان من بعده ألوان العذاب والظلم والاستبداد..

يقول الحسـن البصري: أربع خصال كن فـي معاوية لولم تكـن فيه إلا واحدة لكانت مسوبقة. انتزاؤه علـى هذه الأمة بالسيـف حتى أخذ الأمر من غـير مشورة وفيهم بقـايا الصحابة وذوو الفضـيلة. واستخلافه بعده ابنه سكيرًا خميسرًا يلبس الحرير ويضـرب الطنابير. وادعـاؤه زيادًا وقد قال رسول الله ﷺ: الولـد للفراش وللعاهر الحجر. وقتله حجرًا وأصحاب حـجر فيا ويلا له من حجر ويا ويلا له من حجر وأصحاب حجر.. (٣٥)

وعلى يد يزيد بن معاوية وقعت جريمتان بشعتان: الاولى قتل الحسين وأهل بيته في كربلاء.

والثانية استحلاله مدينة رسول الله وذبح أهلها وهتك أعراض نساءها..

تروي كتب التاريخ أن أهـل المدينة عصوا يزيد وشقوا عصا الـطاعة بعد مصرع الحسين فكان أن سير إلـيهم جيشًا استباح المدينة ثلاثـة أيام وقتل آلاف الأنفس من الاشراف وغيرهـم وهتك أعراض النساء حتـى قيل أنه حبلت ألف امـرأة في تلك الأيام من غير زواج.. (٣٦)

وعلى الرغم من هاتـين الجريمتين بالإضافة إلى منكرات يزيـد الأخرى فإن فقهاء

---

(٣٤) انظر الطبـري جـ٤/ ١٩٠ وما بعدها. وانظر الاصـابة جـ١/ ٣٢٣ حرف الحاء القسم الأول والاسـتيعاب بهامشه جـ١/ ٣٨١/ ٣٨٢..

(٣٥) انظر الكامل جـ٣/ ٢٤٢. والبداية والنهاية جـ٨/ ١٣٠..

(٣٦) انظر الطبرى جـ٤/ ٣٧٢ وما بعدها. والكامل جـ٣/ ٣١٠ وما بعدها. والبداية والنهاية جـ٨/ ٣٧٢ وما بعدها

القوم قد انقسموا على أنفسهم تجاهه. فمنهم من أجاز لعنه وهم قلة. بينما توقف اكثرهم فيه بحجة أن ذلك سوف يفتح الباب للعن والده أو غيره من الصحابة.. (٣٧)

يقول الحسن البصرى عن أهل الشام: قبحهم الله وبرحهم أليس هم الذين أحلوا حرم رسول الله ﷺ يقتلون أهله ثلاثًا قد أباحوها لانباطهم وأقباطهم يحملون الحرائر ذوات الدين لاينتهون عن انتهاك حرمة ثم خرجوا إلى بيت الله الحرام فهدموا الكعبة وأوقدوا النيران بين حجارها وأستارها عليهم لعنة الله وسوء الدار.. (٣٨)

ويلاحظ أن الحسن البصرى يلعن أهل الشام بالعموم دون تحديد وهو بهذا يسير على نهج القوم من عدم جواز لعن المعين. كما ان هذا الموقف كان فى العصر العباسى.

أما ابن تيمية فقد دافع من يزيد ونفى عنه كل الشبهات بقوله: كان من شبان المسلمين ولا كان كافرًا ولازنديقًا وتولى بعد أبيه على كراهة من بعض المسلمين ورضا من بعضهم. وكان فيه شجاعة وكرم ولم يكن مظهرًا للفواحش كما يحكى عنه خصومه وهو لم يأمر بقتل الحسين ولا أظهر الفرح بقتله.. لكن أمر بمنع الحسين ويدفعه عن الأمر ولو كان بقتاله.. (٣٩)

---

(٣٧) انظر البداية والنهاية حـ٨/ ٢٢٣. واستدل أحمد على جواز لعن يزيد بقوله تعالي: فهل عسيتم أن توليتم أن تفسدوا فى الارض وتقطعوا أرحامكم أولئك الذين لعنهم الله سورة محمد.. ثم قال: وأى فساد وقطع رحم اكبر مما ارتكب يزيد..

(٣٨) انظر الكامل حـ٤/ ١٧٠..

(٣٩) فتاوى ابن تيمية حـ٣/ ٤١٠. ومابعدها.. وابن تيمية معذور فى موقفه هذا اذ أن كبير فقهاء الصحابة فى نظر أهل السنة عبدالله بن عمر قد بايع يزيد وهدد أهل المدينة الذين خلعوا يزيد بقوله انى لا أعلم عذرًا اعظم من ان يبايع رجل- يزيد- على بيع الله ورسوله ثم ينصب له القتال وانى لاأعلم احدًا منكم خلعه- أى يزيد- إلا كان الفيصل بينى وبينه. ولما جاء جيش يزيد واقتحم المدينة وفعل بها مافعل بعد مصرع الحسين أمن ابن عمر وحزبه ولم يمسهم بسوء. وماحدث لأهل المدينة على يد جنود يزيد لايعد جريمة ولافاحشة فى نظر ابن تيمية. انظر البخارى كتاب الفتن. وانظر تبريرات فقهاء السنة لهذا الحدث الأليم فى البداية والنهاية لابن كثير وغيره من كتب التأريخ..

إن مثل هذه الجرائم من معاوية وولده إنما تؤكد أن الصراع بينهما وبين آل البيت هو صراع مصيرى بين عقيدتين متناقضتين ومتباعدتين ليس بينهما لقاء بأى صورة من الصور. مثل هذه الجرائم لايمكن أن تنسب إلى أناس ينتمون إلى الإسلام..

والذين يصفون هذا الصراع بأنه صراع فى دائرة الإسلام ويضفون على معاوية صفة المجتهد ويحاولون تبرئة ولده إنما يرتكبون جريمة كبرى فى حق الإسلام والمسلمين من أخطر نتائجها تلميع الإسلام الزائف الذى فرضه معاوية على الأمة..

الخــوارج

عاد الامام إلى الكوفة بعد التحكيم وأخذ يعد العدة لقتال معاوية إلا أن الخوارج الذين خرجوا عليه بعد التحكيم أصبحوا يعيقون مسيرته ويهددون شيعته بعد أن فشلت الجهود السلمية فى إعادتهم إلى الصف واقناعهم بالتنازل عن أفكارهم..

ولما كثرت اعتداءاتهم على المسلمين دخل الامام معهم فى مواجهة عسكرية فاصلة انتهت لصالح الامام وقتل فيها عدد كبير منهم فيما سمى بواقعة النهروان..(٤٠)

والامام على فى قتاله هؤلاء الخوارج إنما كان على علم وبصيرة بهم وبأحوالهم وجرائمهم كما قاتل عائشة ومعاوية من قبل على علم وبصيرة..

لقد تنبأ الرسول ﷺ بالخوارج كما تنبأ بدور الامام على فى مواجهتهم..

يروي مسلم أن الامام على بعث من اليمن بذهب إلى الرسول فى المدينة فقسمه الرسول ﷺ بين أربعة. فغضبت قريش.. فقال الرسول: انما فعلت ذلك لأتألفهم. فجاء رجل كث اللحية مشرف الوجنتين غائر العينين نائى الجبين محلوق الرأس فقال اتق الله يامحمد. فقال الرسول فمن يطع الله إن عصيته أيا منني على أهل الارض ولاتأمنوني.. ثم أدبر الرجل.. فقال الرسول إن من ضئضى هذا

---

(٤٠) كانت وقعة النهروان فى التاسع عشر من صفر عام ٣٨هـ بعد صفين. انظر كتب التأريخ..

قومًا يقرأون القرآن لايجاوز حناجرهم يقتلون أهل الاسلام ويدعون أهل الاوثان يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد. .(٤١) .

ويقول الامام على سمعت رسول الله ﷺ يقول: سيخرج فى آخر الزمان قوم أحداث الاسنان سفهاء الاحلام يقولون من خير قول البرية يقرأون القرآن لايجاوز حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية فإذا لقيتموهم فاقتلوهم فإن فى قتلهم أجرا لمن قتلهم عند الله يوم القيامة. .(٤٢) ويقول: أيها الناس انى سمعت رسول الله ﷺ يقول يخرج قوم من أمتى يقرأون القرآن ليس قراءتكم إلى قراءتهم بشئ. ولا صلاتكم إلى صلاتهم بشئ ولا صيامكم إلى صيامهم بشئ. يقرأون القرآن يحسبون أنه لهم وهو عليهم لاتجاوز صلاتهم تراقيهم يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية لو يعلم الجيش الذين يصيبونهم ما قضى لهم على لسان نبيهم ﷺ لاتكلوا عن العمل وآية ذلك أن فيهم رجلاً له عضد وليس له ذراع على رأس عضده مثل حلمة الثدى عليه شعيرات بيض فتذهبون إلى معاوية وأهل الشام وتتركون هؤلاء يخلفونكم فى ذراريكم وأموالكم والله انى لأرجو أن يكونوا هؤلاء القوم فانهم قد سفكوا الدم الحرام وأغاروا فى سرح الناس فسيروا على اسم الله . .(٤٣)

ويروى أن الخوارج لما خرجوا على الامام قالوا: لاحكم إلا لله. فقال الامام: كلمة حق أريد بها باطل. أن رسول الله وصف: ناسًا أنى لأعرف صفتهم فى هؤلاء. .(٤٤)

إن مثل هذه الروايات إنما تكشف لنا مدى خطورة خط الخوارج على الإسلام والمسلمين وهي خطورة لا تقل عن خطورة الخط الأموي. وارتباط الامام بمواجهة

(٤١) انظر مسلم كتاب الزكاة. باب ذكر الخوارج وصفاتهم والتحريض على قتلهم. .

(٤٢) انظر مسند أحمد جـ١ . وأبو داود الطيالسي. وانظر مسلم والبخاري. .

(٤٣) انظر مسلم كتاب الزكاة. باب ذكر الخوارج والتحريض على قتلهم. .

(٤٤) المرجع السابق. .

هذين الخطين يعني ان هذين الخطين إنما يمثلان توجهًا واحدًا ويحققان نتيجة واحدة.

ارتباط الامام بمواجهة هذين الخطين يعني استمرارهما في مواجهة الاسلام النبوي على مر الزمان. فالامام على هو ممثل الإسلام النبوي ورمز الحق على مر الزمان..

والخط الاموي وخط الخوارج يمثلان الإسلام الزائف ويرمزان للباطل على مر الزمان.. ومنهج الخوارج سوف يظل باقيًا وان كان قد ضرب عسكريًا وتقوقع فكريًا - في مواجهة الإسلام النبوي خط آل البيت. ولن يتمكن المسلمون من تجنبه واعتزاله إلا بفقه حركة الامام على وخط آل البيت. فمن حاد عن هذا الخط وقع فريسة للخوارج. ومن استبصر هذا الخط أمكن له أن يحصن نفسه في مواجهته..

ولقد كان الامام على يواجه كل هذه الاحداث وهو مستبصر بها عالم بنتائجها ودلالاتها حتى أنه كان يعلم طريقة موته كما أخبره بها الرسول ﷺ. (٤٥)

من هنا فإن نتائج صراع الامام مع هذه الجبهات الثلاث يمكن أن يمنحنا المعالم التي ترشدنا إلى فقه حقيقة الإسلام. وفقه حقيقة الرجال الذين موهوا على هذا الإسلام وزيفوا نصوصه ومفاهيمه بما اخترعوه من روايات واجتهادات أضلت الناس عن سبيل الله..

إن ارتباط الامام بمواجهة عائشة ومعاوية والخوارج ليس محض صدفة إنما هو عمل تشريعي للأمة تهتدي به على الدوام..

اختيار الامام لهذا الدور اختيار إلهي فلم يكن من بين الصحابة من هو مؤهل للقيام به. وقد دفعت الأمة ثمنًا باهظًا لتقاعسها عن نصرة الامام والالتزام بخطه..

دفعته فرقة وشتاتًا..

---

(٤٥) انظر مسند احمد وتاريخ بغداد والبداية والنهاية حـ٧/ ٣٢٥. وقد أشار الرسول ﷺ ان قاتل الامام هو أشقى الاخرين. وروى الامام: عهد إلى الرسول أن لاأموت حتى أؤمر ثم تخضب هذه - يعني لحيته - من دم هذه يعني هامته..

ودفعته دمًا ورجالاً . .

ودفعته فقهًا وعلمًا . .

معاوية والحسن

بعد أن قضى الامام على على شوكة الخوارج تجهز لقتال أهل الشأم إلا أن أهل العراق افترقوا و تنازعوا أمرهم بينهم مما أدى إلى تعطيل الحملة العسكرية المتجهة لقتال معاوية . .

ولقد عانى الامام من أهل العراق كثيراً فقد تسببوا بتقاعسهم وتخاذلهم فى عرقلة مسيرته وإضعاف شوكته أمام معاوية وأمام الخوارج . .

يقول الامام فى أهل العراق: أما بعد يا أهل العراق فإنما انتم كالمرأة الحامل . حملت فلما اتمت أملصت قيمها وطال تأيمها وورثها أبعدها . أما والله ما أتيتكم اختياراً و لكن جئت إليكم سوقًا .

ولقد بلغني انكم تقولون: علي يكذب . قاتلكم الله فعلى من الكذب؟ أعلي؟ فأنا أول من أمن به . أم على نبيه؟ فأنا أول من صدقه . كلا والله . ولكنها لهجة غبتم عنها ولم تكونوا من أهلها . ويل أمه كيلاً بغير ثمن . لو كان له وعاء . (ولتعلمن نبأه بعد حين) . .(٤٦)

ومثلما خذل أهل العراق الامام على خذلوا أيضًا الامام الحسن من بعده ودفعوه دفعًا إلى معاوية ثم نقموا عليه واستباحوه . .(٤٧)

يروى ابن حجر نقلاً عن الطبري: جعل على على مقدمة أهل العراق قيس بن سعد بن عباده وكانوا أربعين ألفًا بايعوه على الموت . فقتل على فبايعوا الحسن بن على بالخلافة . وكان لايحب القتال ولكن كان يريد ان يشترط على معاوية لنفسه فعرف أن قيس بن سعد لايطاوعه على الصلح فنزعه وأمر عبدالله بن عباس فاشترط لنفسه كما اشترط الحسن . .(٤٨)

---

(٤٦) انظر نهج البلاغة جـ١/ خطبة رقم ٦٩ . .
(٤٧) انظر كتب التاريخ . . والاصابة جـ١ حرف الحاء . القسم الأول . .
(٤٨) انظر فتح البارى جـ١٣/ ٦٣ .

ويروى ابن حجر: سلم الحسن لمعاوية الأمـر وبايعه على إقامة كتاب الله وسنة نبيـه. ودخل معاوية الكـوفة وبايعه النـاس فسميت سنـة الجماعة لاجتمـاع الناس وانقطاع الحرب.

وبايع معاوية كل من كان معتزلاً للقتال كابن عمر وسعد بن ابى وقاص ومحمد بن مسلمة. وأجاز معاوية الحسن بثلاثـمائة الف ثوب وثلاثين عبدا ومائة جمل.. وانصرف إلى المدينة وولى معاوية الكوفة المغـيرة بن شعبة والبصرة عبدالله بن عامر ورجع إلى دمشق.. (٤٩)

ويروى البخارى قول النبى ﷺ للحسن: إن ابنى هذا لسيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين.. (٥٠)

ويحاول المؤرخـون أن يؤكدوا على أن معـاوية هو الذى رغب فى الصلح مع الحسن وسعى إليه وأنـه عرض عليه المال ورغبه فيه وحثه عـلى رفع السيف وذكره ما وعده بـه جده ﷺ من سيادتـه فى الاصلاح به فقـبل الحسن العـرض وصالح معاوية.. (٥١)

ويؤكد الكثير من المؤرخين أن الحسن اشترط على معاوية أن يجعل له الأمر من بعده وقبل معاوية هذا الشرط.. (٥٢)

ومن الواضـح أن هذه الروايات تـفوح منها رائـحة السياسـة والهدف منـها هو التمويه على حركة الامام الحسن وطمس معالمها وتشويه اهدافها..

---

(٤٩) المرجع السابق..

(٥٠) البخارى كتاب الفتن. ومنـاسبة هذه الرواية كما جاءت فيه أن الحسن لما سار بالكـتائب إلى معاوية. قال ابن العاص لمعـاوية: أرى كتيبة لاتولى حـتى تدبر أخراها. فقال مـعاوية: من لذرارى المسلمين؟ فقال أى ابن العاص ـ أنا. فقال عبدالله بن عامر وعبد الرحمن بن سمرة نـلقاه فنقول له الصلح. فقبل الحسن الصلح متذرعًا بـهذه الرواية. انظر مـسند أحمد حـ٥. والبخارى كـتاب الاصلاح بين الناس. والترمذى كتاب المناقب.

(٥١) انظر فتح البارى حـ١٣/ ٦١. والاصابة حـ١ حرف الحاء. والاستيعاب باب الافراد فى الحاء

(٥٢) يروى ابن حجر: لما قتل على سار الحسن بن عـلى فى أهل العراق ومعاوية فى أهـل الشـام فالتقوا فكره الحسن القتال وبايع معاوية على ان يجعل العهد للحسن من بعده. وانظر فتح البارى والاصـابة. =

ويبدو من رواية الطبرى أن الامام الحسن لم يكن يرغب فى السير على نهج الامام على ومواصلة القتال ضد معاوية وهو بمجرد أن بويع بالخلافة قرر الاستلام لمعاوية وتصفية المعارضين لنهج الصلح معه. وكيف لإمام يقود أربعين الف مقاتل بايعوا على الموت أن يميل إلى السلم بهذه البساطة؟ كيف له أن يضحى بمبادئه وعقيدته وجنده فى مقابل أن يشترط لنفسه؟ إن مثل هذه الرواية تعد طعنًا فى الإمام على ونهجه كما تعد طعنًا فى الإمام الحسن. فكأنها تشير إلى أن الامام فشل فى القيام بدوره وخلف من بعده شخصًا ضعيفًا لم يتعلم منه شيئًا وهواه مع الدنيا ونفسه وليس مع الآخرة والإسلام..

وتأتى رواية ابن حجر لتؤكد رواية الطبرى وتسير على منوالها فى تشويه الامام الحسن والتمويه على حقيقة الصراع الذى داربينه وبين معاوية. فهى تشير إلى أن الامام الحسن بايع معاوية وأدخله الكوفة وقبض منه ثمن ذلك ثلاثمائة الف والف ثوب وثلاثين عبدا ومائة جمل وفى هذا تشويه مابعده تشويه للإمام الحسن وتعتيم ما بعده تعتيم على حقيقة الصراع..

أما رواية البخارى فهى رواية واهية لايستقيم معناها وطبيعة الحدث وقد غاب عن مخترعيها الحقائق التالية:

---

* ويروى ابن عبد البر فى الاستيعاب: ولاخلاف بين العلماء أن الحسن إنما سلم الخلافة لمعاوية حياته لاغير ثم تكون له من بعده وعلى ذلك انعقد بينهما ما انعقد فى ذلك ورأى الحسن ذلك خيراً من إراقة الدماء فى طلبها وإن كان عند نفسه أحق بها..

ويروى أيضًا: سم الحسن بن علي. سمته امرأته بنت الاشعث بن قيس الكندي. وقال طائفة: كان ذلك منها بتدسيس معاوية إليها وما بذل لها فى ذلك..

ويروى أن الحسن لما حضرته الوفاة قال للحسين اخيه يا اخى إن أباك لما قبض رسول الله ﷺ استشرف لهذا الأمرورجا أن يكون صاحبه. فصرفه الله عنها ووليها أبو بكر. فلما حضرت أبا بكر الوفاة تشوف لها أيضًا فصرفت عنه إلى عمر. فلما احتضر عمر جعلها شورى بين ستة هو أحدهم فلم يشك أنها لا تعدوه فصرفت عنه إلى عثمان. فلما هلك عثمان بويع ثم نوزع حتى جرد السيف وطلبها فما صفاله شئ منها. وانى والله ما ارى أن يجمع الله فينا أهل البيت النبوة والخلافة فلا اعرفن ما استخفك سفهاء الكوفة فأخرجوك..

ومن الواضح ان هذه الرواية تهدف إلى التشكيك فى الامام على والامام الحسن والحسين ثلاثتهم فهى تصورهم طلاب للملك وهذا من شأنه ان يطمس أطروحتهم وخطهم ويبرر من جهة أخرى سلوك ومواقف الطرف الآخر..

- أن الروايات الأخرى تشير إلى أن الامام الحسن تنازل لمعاوية لا اصطلح معه..
- أن المصلح إنما يكون عادة من خارج دائرة الصراع لا أن يكون أحد طرفى الصراع..
- أن الرواية لا تفيد الجزم بوقوع الاصلاح..
- أن قوله بين فئتين من المسلمين يعنى أن دعواهما واحدة بينما فئة الامام الحسن وفئة معاوية ليست دعواهما واحده..
- أن الامام الحسن مات مقتولاً بالسم بينما جعل معاوية ولده يزيد خليفة له وفى هذا إشارة إلى أن الصراع لم ينته بين الحسن ومعاوية حتى مقتله..

أن تولية معاوية ولده يزيد هو غدر بالأمة بأكملها لابالإمام الحسن وحده وهو برهان ساطع على عدم وجود صلح من الاصل. إذ لو كان هناك صلحًا ما كان هناك غدراً من قبل معاوية.

فالغدر لايكون إلا إذا كان معاوية مغبونًا بهذا الصلح إن كان واقعًا..

وما حدث بين الحسن ومعاوية إنما هو أمر أشبه بأمر التحكيم لم يرضخ له الامام الحسن كما لم يرضخ الامام على لنتيجته مما اضطر معاوية إلى التآمر والغدر للخلاص من الحسن..

. وتركيز الفقهاء والمؤرخون على رواية صلح الحسن هذه إنما يهدف إلى تبرير سلوك معاوية بنص منسوب للرسول ﷺ لايتطرق إليه الشك من قبل المسلمين. وهم بهذا قد وقعوا فى الفخ الذى نصبه مخترعو الرواية..

يقول ابن حجر: وفيه - أى فى حديث الصلح - فضيلة الاصلاح بين الناس ولاسيما فى حقن دماء المسلمين. ودلالة على رأفة معاوية بالرعية وشفقته على المسلمين وقوة نظره فى تدبير الملك ونظره فى العواقب. وفيه ولاية المفضول الخلافة مع وجود الافضل لأن الحسن ومعاوية ولى كل منهما الخلافة وسعد بن أبى وقاص وسعيد بن زيد فى الحياة وهما بدريان. وفيه جواز خلع الخليفة نفسه إذا رأى فى ذلك صلاحًا للمسلمين والنزول عن الوظائف الدينية والدينوية بالمال

وجواز أخذ المال على ذلك. واستدل به على تصويب رأى من قعد عن القتال مع معاوية وعلي.. (٥٣)

لقد بنى الفقهاء أحكامًا على رواية الصلح هذه كما هو واضح من كلام ابن حجر الذى بالغ فى الاستنباط إلى درجة جواز النزول عن الوظائف الدينية مقابل المال. وهذا الأمر ان دل على شئ فإنما يدل على أن فقه القوم ينظر إلى الوظائف الدينية نظرة استخفاف. وهذه النظرة هى التى بررت سلوك الفقهاء مع الحكام وتعايشهم معًا..

فمادام الحسن قد تقاضا مالاً على الصلح مع معاوية..

ومادام الرسول ﷺ قد حكم أن الطائفتين من المسلمين..

ومادام سعد أو سعيد كلاهما أفضل من الحسن..

فإذا ذلك كله يبرر التنازل عن العقائد والمبادئ من أجل المال..

ويبرر القعود عن نصرة الحق مادامت الطائفتين من المسلمين..

ويبرر أن يحكم المسلمين المفضول مع وجود الافضل..

وعلى أساس هذه التبريرات قامت عقائد وتأسست مفاهيم فى فقه القوم انعكست على فكرة الدولة والحكم وعلاقة الحاكم بالرعية. وعلاقة الفقيه بالحاكم..

كربلاء..

كانت وقعة كربلاء آخر صورة من صور الصدام المسلح بين الإسلام النبوى والإسلام الاموى استتر بعدها الإسلام النبوى بينما أخذ الإسلام الاموى امتداده وانتشاره وسيادته..

منذ ذلك الحين حلت لغة البيان والقلم مكان لغة السيف فى خط المواجهة بين الإسلام النبوى والإسلام الاموي..

---

(٥٣) انظر فتح البارى جـ١٣/ ٦٦/ ٦٧..

حمل أئمة ال البيت وشيعتهم لواء البيان والقلم لتبصير الأمة بحقيقة الإسلام النبوى ودعوتها للالتزام به..

وتبنى حكام بنى أمية خطة الدفاع عن الإسلام الاموى وتشويه الإسلام النبوي..

لقد سطر الامام الحسين بدمائه نهج الثورة والمواجهة للإسلام الاموى وكل صور الإسلام الزائفة التى نبعت منه. ووضع الخطوط العريضة للأمة لتبنى على أساسها التصدى ومواجهة الصور الزائفة للإسلام..

إن ثورة الامام الحسين هزت واقع الأمة وشهادته زلزلتها. ووجهت ضربة قوية إلى معاوية ونهجه أيقظت الأمة من ثباتها وبعثت فيها روح التحدى والمواجهة..

إن هذه الثورة هى نتاج طبيعى لمرحلة الامام الحسن ورد مباشر على غدر بنى أمية ومؤامراتهم وهى تؤكد للأمة أن الصراع لازال مستمر ولن ينتهى بين الإسلام النبوى والإسلام الاموى وتبطل من جهة أخرى كل محاولات التشكيك والتعتيم التى أحاطت بحركة الامام الحسن..

وكما حاول الفقهاء والمؤرخون تشويه هوية الصراع بين الامام على ومعاوية وبين الامام الحسن ومعاوية حاولوا أيضًا تشويه الصراع الذى دار بين الامام الحسين وبين يزيد بن معاوية والتعتيم عليه وطمس معالمه وتبييض وجه يزيد أو وجه الإسلام الاموى الذى يمثلونه.

يروى ابن عبد البر: لما مات معاوية وأفضت الخلافة إلى يزيد وذلك فى سنة ستين وردت بيعته على الوليد بن عتبة بالمدينة ليأخذ البيعة على أهلها أرسل إلى الحسين بن على وإلى عبدالله بن الزبير ليلاً. فأتى بهما فقال: با يعا. فقالا: مثلنا لايبايع سراً. ولكننا نبايع على رؤس الناس إذا أصبحنا فرجعا إلى بيوتهما وخرجا من ليلتهما إلى مكة.

وأقام الحسين بمكة شعبان ورمضان وشوالاً وذا القعدة وخرج يريد الكوفة فكان

سبب هلاكه يوم الأحد لعشر مضين من المحرم يوم عاشوراء سنة إحدى وستين بموضع من أرض الكوفة يدعى كربلاء قرب الطف. .(٥٤)

ويتضح من خلال هذه الرواية مايلي:

- أن الامام الحسين كذب على الوليد بن عتبة وخشي أن يواجهه بالحقيقة. .

- أن الامام الحسين فر من المدينة ليلاً خوفًا من بطش الوليد. .

- أن ثورة الحسين كانت حركة عشوائية كان نتيجتها هلاكه. .

ويروى ابن حجر عن ابن عمر أنه قال عندما رأى الحسين مقبلاً: هذا أحب اهل الارض إلى أهل السماء اليوم وكانت إقامةالحسين بالمدينة إلى أن خرج مع أبيه إلى الكوفة فشهد معه الجمل ثم صفين ثم قتال الخوارج وبقى معه إلى أن قتل ثم مع أخيه إلى أن سلم الأمر إلى معاوية فتحول مع أخيه إلى المدينة واستمر بها إلى أن مات معاوية فخرج إلى مكة ثم أتته كتب أهل العراق بأنهم بايعوه بعد موت معاوية فأرسل إليهم ابن عمه مسلم بن عقيل بن أبى طالب فأخذ بيعتهم وأرسل إليه فتوجه وكان من قصة قتله ما كان. . (٥٥)

وهذه الرواية إنما تعضد سابقتها إلا أنها تحاول إثبات أن الامام الحسين أسهم فى تسليم الأمر إلى معاوية مع الامام الحسن. وهذا الموقف من شأنه أن يثير الشكوك حول حركته. فما دام قد شارك فى تسليم الأمر إلى معاوية وتقاضى الاموال مقابل ذلك فإن حركته ضد يزيد من الممكن أن تشوبها أغراض دنيوية .

ويروى أن الحسين لما بلغه خبر مقتل مسلم بن عقيل هم بالرجوع. فقال البعض: والله لا نرجع حتى نصيب بثأرنا أو نقتل فساروا. وكان عبيدالله بن زياد قد جهز الجيش لملاقاته فوافوه بكربلاء منزلها ومعه خمسة واربعون نفسًا من الفرسان ونحومائة راجل فلقيه الحسين واميرهم عمر بن سعد بن ابى وقاص وكان عبيد الله ولاه بعهده عليها إذا رجع من حرب الحسين. فلما التقيا قال له الحسين: اختر منى إحدى ثلاث: إما أن الحق بثغر من الثغور. وإما أن ارجع إلى المدينة.

---

(٥٤) انظر الاستيعاب باب الإفراد فى الحاء. .

(٥٥) انظر الاصابة جـ١/ حرف الحاء القسم الأول.

وإما أن اضع يدى في يد يزيد بن معاوية. فقبل بذلك عمر منه وكتب إلى عبيدالله فكتب إليه لاأقبل منه حتى يضع يده في يدي. فامتنع الحسين فقاتلوه فقتل معه اصحابه وفيهم سبعة عشر شابًا من أهل بيته ثم كان آخر ذلك أن قتل وأتى برأسه إلى عبيدالله بن زياد فأرسله ومن بقى من أهل بيته إلى يزيد ومنهم على بن الحسين وكان مريضًا ومنهم عمته زينب فلما قدموا على يزيد أدخلهم على عياله ثم جهزهم إلى المدينة..(٥٦)

وهذه الرواية تعد من أسوأ الروايات التى رويت حول الصراع بين الامام الحسين ويزيد فهى تضع الامام الحسين فى موضع غاية فى المهانة بينما تبيض وجه يزيد..

وأول ما تحاول إثباته هذه الرواية هو أن الامام الحسين أصيب بالإحباط فور علمه بنبأ مقتل مسلم بن عقيل وقرر العودة وفى هذا إشارة إلى أن خروجه لم يكن بهدف الثورة كما لم يكن يقوم على أساس خطة منظمة..

وما تحاول الرواية إثباته ثانيًا هو أن اصحاب الحسين قد خالفوه وأصروا على مواصلة المسير طلبًا للثأر. أى أن موقفهم هذا كان مجرد رد فعل لمقتل مسلم ولم يكن نابعًا من إيمانهم بالإسلام النبوى الذى يقاتلون تحت لواءه وبالامام الحسين قائدهم..

ولقد وجهت هذه الرواية طعنة شديدة للامام الحسين ولأبيه وأخيه وخط آل البيت والإسلام النبوى الذى يمثله حين طرحت على لسانه هذا الطرح الانهزامى الخانع الذى يعكس شخصية منهارة قدمت التنازلات فور حدوث المواجهة ومن قبل وقوع الصدام. وبدا وكأن الامام الحسين لم يكن يحسب حدوث مواجهة ولم يكن يتوقع أى صدام مع بنى أمية..

فحين يطلب منحه الفرصة للذهاب للقتال فى ثغر من الثغور فكأنه بهذا يطلب تجنيده فى جيوش بنى أمية ليقاتل تحت رايتهم. وما دام هو يحمل هذا التصور الذى لا يعكس أية صورة من صور العداء لبني أمية فلماذا خرج من الأساس..؟

(٥٦) المرجع السابق..

وحين يطلب الرجوع إلى المدينة كأنه بهذا يضحى بكل القيم والمبادىء التى آمن بها وتبعة الناس على أساسها من أجل النجاة بنفسه . .

وحين يطلب أن يضع يده فى يد يزيد فكأنه بهذا يضحى بالاسلام النبوى وجهاد أبيه وأخيه وينفى وجود أية بوادر عداء وصراع بين الحق الذى يمثله والباطل الذى يمثله يزيد وبنى أمية . .

وكيف للامام الحسين يطلب وضع يده فى يد يزيد ويقدم مثل هذه التنازلات ثم فى النهاية يرفض أن يضع يده فى يد عبيدالله بن زياد ويقاتل على ذلك . . ؟

أن الذى يقدم مثل هذه التنازلات لاتعجزه مثل هذه الخطوه ولا تشكل له حرجًا . وهو قد قدم هذه التنازلات حتى يتقى شر القتال فكيف يوقع نفسه فيه بهذا السبب . . ؟

أن مثل هذه الروايات وغيرها إنما هى من صنع السياسة واخترعت خصيصًا لخدمة الخط الاموى ونصرته وضرب خط آل البيت وتشويهه . .

تروى كتب التأريخ أن عبيدالله بن زياد صعد منبر المسجد الجامع فى الكوفة وخطب فى الناس بعد مجزرة كربلاء قائلاً : الحمدلله الذى أظهر الحق وأهله ونصر أمير المؤمنين يزيد وحزبه وقتل الكذاب ابن الكذاب الحسين بن على وشيعته . [٥٧]

ويحاول مؤرخو وفقهاء البلاط الأموى أن يدافعوا عن يزيد وتبرأته من تهمه سفك دم الحسين مستغفلين عقل الأمة بروايات واهية لايستريح لها عقل ولاتطمئن لها نفس . .

يروى أن يزيد حين رأى رؤوس الحسين ورفاقه بكى وقال : كنت أرضى من طاعتكم بدون قتل الحسين لعن الله ابن سمية أما والله لو أنى صاحبه لعفوت عنه . [٥٨]

---

(٥٧) انظر الطبرى والكامل والبداية والنهاية . .

(٥٨) انظر الطبرى جـ٤/ ٣٥٢ . والكامل جـ٢/ ٢٩٨ .

ورغم ذلك لم تثبت لنا الروايات التى جاءت عن طريق مؤرخى البلاط أن يزيد أنزل أية صورة من صور العقاب بابن سمية (ابن زياد) بل لم يعاتبه على هذا الفعل من الاصل..

وهذا الأمر ان دل على شئ فإنما يدل على تواطئ يزيد وموافقته بل وتحريضه على قتل الحسين وأهل بيته. وهذا هو السلوك الذى يتلائم معه ومع شخصيته.

وهذا هو الموقف الذى يتبناه حكام بنى أمية فى مواجهة آل البيت..

ولقد قالها عبد الملك بن مروان حين ارتقى منبر الرسول ﷺ فى المدينة عام ٧٥هـ: أنى لن اداوى امراض هذه الأمة بغير السيف. والله لايأمرنى أحد بعد مقامى هذا بتقوى الله إلا ضربت عنقه..(٥٩)

(٥٩) انظر الكامل حـ٤. والمراجع التاريخية الأخرى..

ركائز الاسلام النبوي

- القرآن ..
- آل البيت ..

أوضح الرسول ﷺ مرتكزات الإسلام النبوى فى كثير من وصاياه وتوجيهاته للأمة غير أن سيادة الاسلام القبلى بعد وفاته ثم الاسلام الاموى بعد ذلك قد أديا الى التعتم على هذه المرتكزات وتضليل المسلمين عنها كوسيلة لضرب الاسلام النبوى ومحوه من واقعهم..

فهذه الروايات التى جاءت على لسان الرسول ﷺ فى الامام على إنما تؤكد للأمة ان الامام على هو مرتكز الاسلام من بعده..

وهذه الروايات التي ذكرها الرسول ﷺ في شيعة على من صحابته إنما تؤكد أن هؤلاء الصحابة هم ركيزة الامام وركيزة هذا الاسلام وأنصاره..

كذلك الروايات الواردة فى القرآن الذى ورثه الرسول للأمة إنما تؤكد أن هذا القران هو الركيزة الاساسية لهذا الاسلام..

ولقد عمد أنصار الخط الأموى الى تشويه القرآن والامام على وآل البيت وشيعتهم من الصحابة والتابعين واختراع بدائل تحل محلهم..

فبدلاً من القرآن الذى ورثه الرسول ﷺ اعتمدوا مصحف عثمان..

وبدلاً من الامام وآل البيت اعتمدوا عائشة ومعاوية وابن عمر وأبو هريرة وابن العاص وغيرهم.

وفى مواجهة الروايات الواردة فى الامام وآل البيت وشيعتهم اخترعوا روايات مناقضة لها تبارك خطهم وتضفى المناقب عليهم..

إن الاسلام النبوى يرتكز على ركيزتين أساسيتين هما:

-القرآن..

-آل البيت..

- القرآن

لقد أوصى الرسول ﷺ الامة بالقرآن وحثّ عليه فى روايات ومواضع كثيرة كانت آخرها حجة الوداع حيث أوصى الامة بضرورة التمسك بالكتاب والعترة آل البيت..

يروى البخارى عن طـلحة قال سألت عبدالله بن أبى أوفـى آوصى النبيﷺ ؟ فقال: لا. فـقال: كيف كـتب على الـناس الوصيـة. أمروا بها ولـم يوص؟ قال: أوصى بكتاب الله. .(1)

ويروى: عن الرسول اللهﷺ قوله: خيركم من تعلم القرآن وعلمه. .(2)

ويروى : إن أفضلكم من تعلم القرآن وعلمه. .(3)

ويروى: تعاهـدوا القرآن. فو الذى نفسى بـيده لهو أشد تفصيًـا من الإبل فى عقلها. . (4)

ويروى : اقرءوا القرآن ما أتلفت عليه قلوبكم. .(5)

ويروى مســلم عن الرســول قوله فى خـطبة الوداع: . . كـتاب الله فيه الـهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به فحث على كتاب الله ورغب فيه. .(6)

ومثل هذه الروايات إنما تشير الى أن الـقرآن كان موجوداً على عهد الرسولﷺ وكان الصحابة يتناولونه من الرسول. وقد برز مـن بينهم من هو ماهر فيه ملتزم به يحفظه عن ظهر قلب. وعلى رأس هـؤلاء كان الامام على وابن مسعود وابى ابن كعب ومعاذ بن جبل. .

روى البـخارى عن الـرسول ﷺ: خـذوا القرآن مـن أربعة: مـن عبـدالله بن مسعود وسالم ومعاذ وابى بن كعب. .

---

(1) انظر البخاري. كتاب فضائل القرآن. باب ١٨.

(2) المرجع السابق باب ٢١. .

(3) المرجع السبق. .

(4) المرجع السابق باب ٢٣. .

(5) المرجع السابق باب ٣٧. .

(6) انظر مسلم. كتاب فضائل الصحابة. باب من فضائل على. .

ويبدو أن انـصار الخط الأموى لم تـعجبهم هذه الـرواية على الرغـم من عدم وجود على فـيها لكون الأربعـة من أنصار الامام ومن المناهضين لهم فـاختراعوا رواية أخرى تناقضها فيها ثلاثة آخرين . .

يروى البخارى عن أنـس قال: مات الرسول ولم يجمع القـرآن غير أربعة: ابو الدرداء ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وابو زيد.(٨).

ويروى عن ابن مسعود قوله: والله الذى لا إلـه غيره ما انزلت سورة من كتاب الله إلا أنا أعـلم أيـن نزلـت ولا انزلـت آية مـن كتـاب الله إلا أنا أعـلم فـيمـن أنزلت.(٩).

إلا أن أبا بـكر حين قام بـجمع الـقرآن لم يسـتعن إلا بـزيد بن ثابـت وحده. وعثمان حين ألزم الأمة بمصحف واحد اختار مـصحف حفصة الذى كان قد جمعه ابو بكـر ولم يختـر مصحف الامام عـلى او ابن مسـعود أو ابى بن كـعب او ابن عباس ولم يستعن بأى من هؤلاء لا فى عهـد ابى بكر ولا فى عهد عثمان حتى أنه كان هناك مصحف لدى عائشة أيضاً لم يستعن به.(١٠).

ان هذا القرآن الذى تركه الرسول ﷺ وتلقاه منه الامام على وابن مسعود وابن عباس وابى وغيرهـم هو ركيزة الاسلام النبوى التى حض عـليها ووصى بها. وان ماورثه الامام عن الـنبي من تفسيرات حوله وورثـها عنه شيعته هى الدافـع الفعلى الذى دفع انصـار الاسلام القبلى ومـن بعدهم انصار الاسـلام الاموى الى ضرب هذا القرآن واستبداله بقرآن آخر لايحوى هذه التـفسيرات وليس مرتباً على الترتيب النبوى.(١١).

---

(٧) انظر البخارى. كتاب فضائل القرآن. باب٨. .

(٨) المرجع السابق. وأنس الراوى من أنصار معاوية والخط الأموى. .

(٩) المرجع السابق. ويلاحظ ان هذه الرواية جاءت على لسان الامـام على بنفس النص. انظر طبقات ابن سعد جـ٢/٣٣٨. .

(١٠) انظر البخارى. وكتب تأريخ القرآن. وفصل القرآن فى: كتابنا الخدعة. .

(١١) انظر المراجع السابقة. والاتقان في علوم القرآن للسيوطي . .

وقوله تعالى للرسول ﷺ: (إن علينا جمعه وقرآنه فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم إن علينا بيانه)[١٢] يحوى الدليل القاطع على أن القرآن كان مجموعًا فى عهد الرسول وان الرسول تسلقى بيسانه من جبريل والسؤال الذى يطرح نفسه هنا: أين بيان القرآن. ولماذا لم يظهر فى عملية الجمع..؟

ان الإجابة على هذا السؤال تكشف لنا حقيقة المؤامرة التى نسجت خيوطها بعد وفاة الرسول فالقرآن النبوى ببيانه لايتماشى مع الخط القبلى والاموى من بعده. فمن ثم كانت الحاجة الى تجريد القرآن من هذا البيان حتى يمكن أن يتماشى مع الاتجاه السائد..

-آل البيت

أوصى الرسول ﷺ بآل البيت فى روايات كثيرة وفى حجة الوداع حين قال: أذكركم الله فى أهل بيتى. أذكركم الله فى أهل بيتى. اذكركم الله فى أهل بيتى.[١٣].

وقال: انى تارك فيكم ثقلين كتاب الله وأهل بيتى.[١٤].

ويروى مسلم أنه لما نزلت هذه الآية: ﴿فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم﴾ دعا رسول الله ﷺ علياً وفاطمة وحسنًا وحسيناً فقال: اللهم هؤلاء أهلى.[١٥].

ويروى: خرج النبي ﷺ غداة وعليه مرط مرحل من شعر أسود فجاء الحسن بن على فأدخله ثم جاء الحسين فأدخله ثم جاءت فاطمة فأدخلها ثم جاء على فأدخله. ثم قال إنما يريد الله أن يذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطيهراً.[١٦].

---

(١٢) سورة القيامة وانظر الخدعة فصل القرآن...

(١٣) مسلم. كتاب فضائل الصحابة. باب من فضائل على..

(١٤) المرجع السابق..

(١٥) المرجع السابق. وهى تسمى آية المباهلة ، انظر كتب التفسير سورة آل عمران آية رقم ٦١ الترمذى جـ٢ ومسند احمد جـ١ والحاكم جـ٣والبيهقي جـ٧ وانظر المراجع السابقة..

(١٦) المرجع السابق. باب فضائل اهل بيت النبى..

إن ربط الرسولﷺ القرآن بأهل البيت يعنى تلازمهما. كما يعنى أن فهم القرآن والالتزام به لن يتم إلا عن طريقهم. وفى هذا إشارة الى أن الرسول ورثهم بيان القرآن وتفسيره الذى أخذه عن جبريل.

من هنا كانت الحرب الضروس من قبل الامويين على آل البيت بداية بالامام على ونهاية بالامام الحسين تلك الحرب التى انتهت بقتل الأئمة الثلاثة وتصفية أنصارهم وشيعتهم..

ثم اكمل العباسيون الحرب من بعدهم فقتلوا بقية أئمة آل البيت وبطشوا ونكلوا بأتباعهم.[(١٧)]

هذه الحرب كانت فى حقيقتها بين إسلامين متناقضين بقاء أى منهما لابد وأن يكون على حساب الآخر. فمن ثم لا مجال للقاء بينهما. ومادامت السلطة والسيادة قد تملكها أعداء آل البيت فلابد لهم أن يبطشوا بهم لكونهم ممثلو الاسلام النبوى والناطقون بلسانه ذلك الاسلام الذى يشكل الخطر الاكبر على الاسلام الذى يرفعون رايته والذى يرتبط به وجودهم ومستقبلهم..

ولقد ارتبطت الجماهير المسلمة على الدوام بآل البيت على الرغم من إرهاب الحكام وتعتيمهم عليهم وذلك لمكانة آل البيت فى قلوب المسلمين تلك المكانة المستمدة من النصوص الشرعية التى وردت فيهم والتى لم يستطع الحكام بإعلامهم وبطشهم أن يطمسوها.[(١٨)].

---

(١٧) عاصر العباسيون كل من الامام جعفر الصادق والامام موسى الكاظم والامام على الرضا وحتى الامام الحادى عشر ثم ظهر المهدى فى عصرهم واختفى.. **وجميع هؤلاء الأئمة قد قتلوا على يد حكام بني العباس**. ويذكر ان العباسيين استثمروا دعوة آل البيت والاسلام النبوى فى ثورتهم ضد الامويين ولولا تسترهم بالاسلام النبوى وخط ال البيت ماامكن لهم النجاح..

(١٨) انظر سيرة آل البيت فى الكتب التالية: حياة أئمة آل البيت وهى سلسله فى الأئمة الاثنى عشر لهاشم معروف الحسنى ط بيروت. وقادتنا كيف نعرفهم للميلانى ط بيروت. وأعيان الشيعة لمحسن الامين ط بيروت. وانظر خصائص الامام على للنسائى ونور الابصار فى مناقب آل البيت المختار للشبلنجي ط بيروت والقاهرة. وانظر لنا حركة آل البيت ط بيروت. وهذه الكتب على كثرتها انما تدل على مكانة آل البيت الخاصة والمتميزة التى وضعهم فيها الشرع..

واستمرار وجود خط آل البيت على مر الزمان على الرغم من كيد ومؤامرات وبطش الحكام إنما يدل على أن هذا الخط هو التعبير الحق عن الاسلام . كما أن استمرار ارتباط الجماهير المسلمة به هو البرهان الساطع على ذلك. فلو كان هذا الخط مجرد طرح عادى لكان قد قدر له أن يندثر كما اندثرت مذاهب وفرق وأصبحت فى ذمة التاريخ. لكن بقاء هذا الخط هو تأكيد على أن الاسلام النبوى باق حتى تقوم الساعة ليكون حجة على المارقين والمخالفين. .

وآل البيت هم الأئمة الاثنى عشر الذين بشر بهم الرسولﷺ فى أحاديثه المنتشرة فى كتب القوم والتى اضطروا فى مواجهتها إلى تأويلها وصرفها عن آل البيت خدمة للحكام. .

يروى مسلم عن الرسولﷺ قوله: ان هذا الامر- الدين- لاينقضى حتى يمض فيهم اثنا عشر خليفة.[١٩].

ويروى أيضاً: لايزال أمر الناس ماضياً ماوليهم اثنا عشر رجلاً.[٢٠].

ويروى: لايزال الاسلام عزيزاً الى اثنى عشر خليفة.[٢١].

يروى: لايزال هذا الدين عزيزاً منيعاً الى اثنى عشر خليفة.[٢٢].

وجميع هذه الروايات تنتهى بقول الراوى: ثم تكلم بشئ- أى الرسول - لم افهمه. أو تكلم بكلمة خفيت على. . . ثم يفسر الرواى هذا الكلام على لسان الرسول بقوله: كلهم من قريش[٢٣].

---

(١٩) انظر مسلم . كتاب الامارة. .

(٢٠) المرجع السابق. .

(٢١) المرجع السابق. .

(٢٢) المرجع السابق. .

(٢٣) المرجع السابق. . وانظر شرح مسلم للنووى وفتح البارى شرح البخارى جـ١٣/ ٢١١وما بعدها . .

والسؤال الذى يطرح نفسه هنا هو: هل ما قاله الرسول خفية كلهم من قريش حقا؟

وما هو مبرر إخفاء الرسول لهذه الكلمة..؟

وهل يجوز للرسول أن يخفى حكماً عن المسلمين..؟

اننا امام هذه الروايات بين أمرين:

اما أن يكون الرسول ﷺ قد قال شيئاً أخفاه الراوى وأبدله بكلمة كلهم من قريش.. واما أن يكون قد قال كلهم من قريش وفى هذه الحالة ليس هناك مبرر لاخفائها لكونها لا تصطدم بالخط السائد..

ولو كان الرسول قد قال: كلهم من آل البيت لكان من الممكن أن يكون مبرر الاخفاء مقبولاً لكون الامام على هو رأس آل البيت وامامهم والقوم يسعون الى عزلهم عن المسلمين. لكن إن يكون المقصود بالاخفاء قريش فهو الأمر الغير مقبول عقلاً..

لقد أخضع هذا النص للسياسة كما اخضعت نصوص كثيرة على شاكلته وما يؤكد ذلك هو اضافة فقهاء القوم من شروح لهذا النص تهدف الى تطويعه للخط الاموى..

ويجمع فقهاء القوم على أن المقصود بالأئمة الاثنى عشر الذين أشار إليهم الرسول ﷺ هم ابو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم على ثم معاوية ثم يزيد بن معاوية ثم عبدالملك بن مروان ثم اولادة الاربعة: الوليد وسلميان ويزيد وهشام ثم عمر بن العزيز.(٢٤).

ويبرر الفقهاء هذا لتفسير بأن الأمة اجتمعت على هؤلاء واختلفت فيما سواهم والمراد بالاجتماع انقيادهم لبيعتهم فمن بعدهم انتشرت الفتن وتغيرت الأحوال.(٢٥).

---

(٢٤) انظر شرح العقيدة الطحاوية وكتب العقائد. وانظر لنا عقائد السنة وعقائد الشيعة.. وانظر فتح البارى جـ١٣/ باب الاستخلاف..

(٢٥) انظر المرجع السابق..

إلا أن الفقهاء فاتهم أن الامام على لم تجتمع عليه الأمة ومن ثم يجب حذفه من الاثنى عشر كما حذف سواه بحجة عدم الاجتماع عليه.(٢٦).

ان القوم يتخبطون فى مواجهة هذا النص تخبطاً لاحدود له وهم عاجزون عجزاً واضحاً عن تحديد الأئمة الإثنى عشر الذين قصدهم الرسول وربط عزة الاسلام بهم.(٢٧).

يروى ابن حجر عن أحد الفقهاء قوله: لم الق أحداً يقطع فى هذا الحديث- أى رواية الاثنى عشر- بشئ معين.(٢٨).

وهذا التخبط بين الفقهاء في تحديد شخصية الأئمة الاثنى عشر إنما يعود الى حصر مصدر التلقى في محيط الاسلام الاموى. وبالطبع لن يجدوا بين نصوص هذا الاسلام ومفاهيمه مايهديهم إلى حقيقة مراد الرسول ومعرفة الأئمة الاثنى عشر الذين قصدهم وأشار إليهم..

لو أطلع هؤلاء الفقهاء على خط آل البيت وتعرفوا على الاسلام النبوى وكسروا حواجز السياسة لأمكن لهم تحديد هوية الأئمة الاثنى عشر..

إن ربط مستقبل الاسلام بالحكام لا يمكن أن يكون مقصد الرسولﷺ فهؤلاء الحكام لاتنبأ سيرتهم بتقوى أو ورع اودين يمكن ان يربط مستقبل الاسلام بهم. وان ربط الفقهاء قضية الاثنى عشر بالحكام إنما يبرهن على خضوعهم للسياسة وتطويعهم النصوص لأهدافها..

والاسلام النبوى يحدد لنا الأئمة الاثنى عشر في الشخصيات التالية:

---

(٢٦) المرجع السابق..

(٢٧) المرجع السابق. ولمزيد من المعرفة حول تخبط القوم فى شرح حديث الاثنى عشر انظر مقدمة كتاب تاريخ الخلفاء للسيوطى. وكشف المشكل لابن الجوزى..

(٢٨) انظر فتح البارى جـ ١٣/ ٢١١. ويقول ابن الجوزى: قد أطلت البحث فى معنى هذا الحديث وتطلبت مظانه وسألت عنه فلم أقع على المقصود به.. انظر كشف المشكل..

-الامام على بن ابى طالب . .

-الامام الحسن بن على . .

-الامام الحسين بن على . .

-الامام على بن الحسين . .

-الامام محمد بن على . .

-الامام جعفر بن محمد . .

-الامام موسى بن جعفر . .

-الامام علي بن موسى . .

-الامام محمد بن على . .

- الامام على بن محمد . .

-الامام الحسن بن على . .

-الامام المهدى المنتظر ابن الحسن .(٢٩) .

وبتتبع سيرة هؤلاء الأئمة يتبين لنا أنهم ممثلى الاسلام النبوى والناطقين بلسانه على مر الزمان وأن سيرتهم هى سيرة الانبياء والصالحين وخلقهم هو خلق القرآن . إلا أن حكام الزمان تتبعوهم فقتلوهم ومحو سيرتهم وأسدلوا الستار عليهم وشاركهم الفقهاء هذه المؤامرة التى راح ضحيتها أجيال المسلمين الذين شبوا لايعرفون شيئاً عن هؤلاء الأئمة الذين حجبت عنهم الاضواء وشوهت سيرتهم فى كتب القوم وتم ضرب الروايات التى رووها عن الرسول ومحوها من كتب الاحاديث وتضخيم شخصيات معينة من الصحابة والتابعين بهدف التغطية عليهم(٣٠) .

---

(٢٩) انظر سيرة الأئمة الاثنى عشر فى كتاب أعيان الشيعة . وقادتنا كيف نعرفهم وكتب التاريخ الأخرى . .

(٣٠) انظر المراجع السابقة . وانظر لنا كتاب الخدعة . وكتاب حركة آل البيت . .

ركائز الاسلام الاموي

- مصحف عثمان..
- الصحابة..
- الروايات..

كانت صفين هى المنعطف التاريخى الذى ابثق منه الاسلام الاموى وساد واقع المسلمين. وكان ضرب خط الاسلام النبوى الذى رفع لواءه الامام علـى وتقوقعه هو بداية غياب التصور الاسلامى الصحيح من هذا الواقع..

ومنذ ذلك الحين بدأ معاوية وبنى أمية من بعده عملية تأسيس جديدة للإسلام معتمدين فيها على الخط القبلى ورموزه البارزة وعلى الرموز الأخرى التى تحالفت معهم..

وأصبح هذا الاسلام هو الاسلام الشرعى الذى حاز على رضا الحكام على مر الزمان من بنى العباس وغيرهم فقد وجدوا فيه الحصانة والشرعية التى تؤهلهم لمواجهة الاسلام النبوى والخارجين عليهم.

أصبح الاسلام الاموى مباحاً وخط الامام على محظوراً ومجرماً يبطش باتباعه وينكل بهم..

وأصبح الاسلام النبوى إسلام باطل يقود إلى النار..

وأصبح الاسلام الاموى حق يقود الى الجنة..

ولقد عاش الاسلام الاموى فى كنف الحكومات ورعايتها وحمايتها فتحققت له السيادة والبقاء..

وضرب الاسلام النبوى واغتيل أئمته فاضطر الى الاختفاء.

والسؤال الذى يطرح نفسه هنا: ماهى ركائز الاسلام الاموى..؟

والاجابة هى أن هذا الاسلام قد قام على ثلاثة ركائز أساسية:

الركيزة الاولى: مصحف عثمان

أحدث عثمان فتنة كبيرة بإحراقه المصاحف والزامه الأمة بمصحف محدد بهدف خدمة الخط السائد وضرب خط ال البيت والتعتيم على الاسلام النبوى.[1].

(١) انظر لنا الخدعة فصل القرآن. ولولا احراق عثمان للمصاحف ماقامت دولة بنو أمية..

ولقـد مهد عثـمان بعـمله هـذا لبروز الاسلام الامـوى ودعم أطروحـته إذ أن المصـاحف الأخرى كـانت بين يدى صـحابة مـن شيعـة على الملـتزمين بـالاسلام النبوى . .

كان هناك مصحف ابن مسعود . .

ومصحف ابى بن كعب . .

ومصحف ابن عباس . .

ثم مصحف الامام على . .

وهؤلاء الاربعة تلقوا القرآن من الرسول ﷺ مباشرة فمن ثم هم قاوموا عثمان ورفضوا قراره هذا مما اضطره إلى البطش بالرافضين . .

ووجه الخـلاف بين مصـحف عثـمان وبين مصـحف الامام عـلى ومصـاحف الصحابة ينحصر فى أمرين :

-أنه مرتب ترتيباً خاصاً . .

-أنه مجرد من الحواشى والتفسيرات التى كانت بالمصاحف الأخرى . .

وبالنسبة لأمر الترتيب فقد اعتمد فيـه عثمان على عدد من الصحابة الذين ليس لهم سابقة فى كتابة القرآن او حفظه .(٢).

ومن وجهـة أخرى هو اعتمد مـصحف حفصة مـن دون بقية المصاحـف التى كانت موجودة . ومصحف حفصة هو المصحـف الذى جمعه ابو بكر وعمر : فكأنه بهذا لايريد للمـسلمين أن يخرجوا عن حدودالقرآن الذى جمـعه ابو بكر ولا يريد أن يلتزم المـسلمون بمصحف الامـام على او ابن مسعود أو ابـى أو ابن عباس لأن هؤلاء من شيعة على ومصاحفهم لا تخـدم الخط القبلى وخط بن امية الذى يقوم بالتمهيد له .(٣).

---

(٢) انظر كتب تاريخ القرآن . والبخاري كتاب فضل القرآن وفتح البارى حـ١٣ . وكتابنا الخدعة .

(٣) أنظر المراجع السابقة . .

ان عثمان بالـزامة الامة بمصحف حفصه إنمـا يريد أن يلزمها بالخـط القبلى وأن يقضى على أية بادرة تنحرف بالامة عن هذا الخط . .

ومادامت المصاحف كـانت موجودة بين الصحابة فلم يكـن هناك من دافع قوى يدفع بعثمان إلى فعله هذا سوى ضرب الاسلام النبوى ومحاصرة الامام على الذى بدأ نجمه فى البروز نتيجة لكثرة المظالم والانحرافات فى عهده . .

وإذا كانت مسـألة القراءات هى الدافع لعـمل عثمان هذا كما يـصور المؤرخون وفقهـاء القوم فقـد كان من الممكـن لعثمـان أن يلزم الأمة بـقراءة واحدة دون أن يحرق المصاحف .(٤)

لو كانت المسألة مسألة قراءات ما تصدى له الصحابة ولا اصطدم به إبـن مسعـود . .

ومن المعروف تأريخياً أن مصحف الامام علـى كان مرتباً ترتيباً زمنياً ولاشك أن مثل هذا الترتيب من شأنه أن يسهم فى فهم مدلولات النص القرآنى .(٥).

وعندما تكون هناك آيات مدنية فى سورة مكية وآيات مكية فى سورة مدنية فإن هذا سوف يخلخل مضمون السورة.

والهدف من الترتيب العثمانى هو التمويه على نصوص القرآن الخاصة بآل البيت والتى ترمى الى معان محددة لاتخدم الخط السائد بوضعها فى وسط آيات تموه على معناها الحقيقى وتذهب بها مذهباً آخر . .

ومن أمثلـة ذلك وضع قوله تعالـى فى سورة الاحزاب: (إنما يريـد الله ليذهب

---

(٤) أنظر المراجع السـابقة ومقـدمات كتب التفسير وليس المقصود بالقراءات هنـا الاحرف السبعة وانما قراءة الآيات بتفـسيراتها التي اخذت عن الرسول ، مثل قراءة ابن عباس لقوله تعالى ﴿فما استمتعتم به منهن - إلى أجل مسـمى - فآتوهن اجورهن﴾ سورة النساء . . وفقهاء القوم يهاجمون هذه القراءة ويعتبرونها شاذة سيرا مع الخط القبلي . . .

(٥) اصطدم ابن مسعود وهو من حملة القرآن بعثمان ورفض الاعتراف بمصحفه حتى مات . وهذا الموقف يشير إلي ان المسألة لم تكن مسألة قراءات . وإذا كان هذا موقف ابـن مسعود وهو تلميذ الإمام عـلي فكيف يكون موقف الإمام؟ إن كتب التأريخ قد عتمت على هذا الموقف . وللمزيد من التفاصيل حول هذا الامر انظر المراجع السابقة . .

عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً) فى وسط آيات خاصة بنساء النبى حتى يتوطن فى ذهن المسلم أن نساء النبيﷺ من أهل البيت وبالتالى يضيع المفهوم الحقيقى لأهل البيت والخاص بالامام على وفاطمة وذريتهما ويتشتت بين نساء النبى وذرية على .[٦].

وبالنسبة للأمر الثانى فإن تجريد المصحف من المعانى والتفسيرات التى تلقاها الصحابة عن الرسول ﷺ يعني حرمان المسلمين من الوسيلة الشرعية لفهم القرآن التى تحسم الخلاف الذى من الممكن أن يقع حول تفسيره. وقد وقع هذا الخلاف..

ويعنى من جهة أخرى الحيلولة دون فهم القرآن على نهج النبيﷺ ودفع المسلمين الى تلقى هذا الفهم من جهة محددة هى الجهة التى سوف يفرضها الحكم..

ومن أمثلة ذلك ماكان فى مصحف ابن عباس فقد كان يقرأ قوله تعالى فى سورة النساء: (فما استمتعتم به منهن فاتوهن اجورهن) كان يقرأها: فما استمتعتم به منهن- الى أجل مسمى- فآتوهن أجورهن.[٧].

ولاشك أن مصحف كهذا سوف يخدم خط بنى أمية ويسهم فى دعم نموذج الاسلام الذى فرضوه على الأمة. فهو مصحف قابل للتأويل ويمكن استثمار نصوصه بهذا الشكل لصالحهم..

الركيزة الثانية: الصحابة

ولقد كانت العناصر التى تحالفت مع معاوية والتى امكن استقطابها من قبله بمثابة صمام أمن للخط الاموى وركيزة أساسية فى بناءه..

---

(٦) انظر المراجع السابقة. وقد كان مصحف الإمام يبدأ بسورة العلق. وانظر تفسير سورة الاحزاب في كتب التفسير. وقد ذم القرآن نساء النبي في سورة التحريم. انظر كتب التفسير. وهذا الذم فيه دلالة على أنهن لسن المقصودات بالتطهير في الاية..

(٧) انظر مسلم كتاب فضائل الصحابة باب فضل آل البيت. وانظر لنا عقائد السنة وعقائد السنة .

ومن أبرز العناصر التى تحالفت مع معاوية وبنى أمية من بعده ودعمت الاسلام الاموى فى مواجهة الاسلام النبوى: عمرو بن العاص وعائشة والمغيرة بن شعبة وابو هريرة وابن عمر وسمرة بن جندب وانس بن مالك وزيد بن أرقم والأشعث بن قيس وجرير بن عبدالله. وجميع هؤلاء من الصحابة الذين احتكوا برسول الله ﷺ واستثمرهم معاوية..

والمتابع لسيرة هؤلاء فى كتب الرجال وكتب التأريخ يتبين له ان التزامهم بنهج الرسول كان ضعيفاً ومشبوهاً وقد وردت على لسان الرسول أحاديث كثيرة بذمهم وكذلك على لسان الامام على ولا ترى فى كتب السنن أية فضائل لهؤلاء من الممكن أن ترفع مكانتهم وتخرجهم من دائرة الشك(٨).

ويروى ان علياً كان يقنت فى صلاة الفجر وفى صلاة المغرب ويلعن معاوية وعمراً والمغيرة والوليد بن عقبة وأبا الأعور والضحاك بن قيس وبسر بن أرطاة وحبيب بن مسلمة وابا موسى الاشعرى ومروان بن الحكم وكان هؤلاء يقنتون عليه ويلعنونه.(٩).

ويقول الامام على فى ابن العاص: انه ليقول فيكذب ويعد فيخلف. ويسأل فيحلف ويسأل فيبخل ويخون العهد ويقطع الال- الرحم- انه لم يبايع معاوية حتى شرط ان يؤتيه أتية ويرضخ له على ترك الدين رضيخة- ولاية مصر.(١٠).

وقال فى مروان بن الحكم حين أسره يوم الجمل:.. لاحاجة لى فى بيعته إنها كف يهودية. لو بايعنى بكفه لغدر بسبته. أما إن له إمرة كلعقة الكلب أنفه وهو ابو الأكبش الاربعة وستلقى الأمة منه ومن ولده يوماً احمر: الوليد . سليمان. يزيد. هشام.(١١).

---

(٨) انظر كتب تاريخ القرآن..

(٩) انظر كتب التراجم. وانظر شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد

(١٠) شرح نهج البلاغة

(١١) نهج البلاغة حـ١/ خطبة رقم ٨٢..

الركيزة الثالثة:الروايات

ولم يكن وقوف هؤلاء الصحابة مع معاوية ومناصرتهم للخط الاموى يقف عند حد القتال معه ونصرته بالسيف والبيان. بل تجاوز هذا الحد إلى اختراع الروايات المنسوبة للرسول ﷺ والتى تدعم معاوية وتشكك فى الامام على وتضفى المشروعية على الاسلام الأموى.

وهذه الروايات انما تنقسم إلى قسمين:

الأول: روايات خاصة بضرب الاسلام النبوى والتشكيك فى الامام على..

الثاني: روايات خاصة بالمسلمين واخضاعهم للاسلام الاموى..

ومنذ ذلك الحين انقسمت الروايت الواردة فى كتب الاحاديث إلى قسمين:

* قسم من رواية انصار معاوية والاسلام الاموى..
* وقسم من رواية انصار الامام على والاسلام النبوى..

ولقد دعمت السياسية رواة القسم الاول وسلطت الاضواء على أحاديثهم المنسوبة للرسول والكتب التى تحويها فى الوقت الذى قامت بالتعتيم على رواة القسم الثانى والتشكيك فى رواياتهم والكتب التى تحويها..

ومن هنا قدم البخارى على غيره من الكتب لكونه يحوى روايات أنصار الاسلام الاموى ولايحوى شيئاً من الروايات التى تدعم الاسلام النبوى..

والروايات الخاصة بضرب الاسلام النبوى اكثر من أن تحصى وهى روايات تقود إلى التشكيك فى الامام على ويبدو ان القوم لم يكتفوا بهذا فاخترعوا روايات خاصة بالإمام لتهز مكانته وقدره فى نفوس المسلمين..

ومن هذه الروايات القول المنسوب لرسول ﷺ : الناس تبع لقريش. ولا يزال هذا الأمر -الحكم- فى قريش ما بقى منهم اثنان.[12].

---

(١٢) انظر البخاري ومسلم وكتب السنن .

والقول الآخر: تركت فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا بعدى ابداً :كتاب الله وسنتي [(١٣)].

وحديث شهادة الرسول ﷺلابى بكر وعمرو عثمان بدخول الجنة.[(١٤)].

وحديث : عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى عضوا عليها بالنواجذ.[(١٥)].

وحديث اثبت أحد فإن عليك نبى وصديق وشهيدان أى ابو بكر وعمر وعثمان.[(١٦)].

وحديث خصومه على وعم النبى العباس بسبب المال وسب بعضهما البعض.[(١٧)].

وحديث خطبة الامام على ابنة ابى جهل على فاطمة الزهراء وغضب الرسول لذلك.[(١٨)].

وحديث افضل الرجال ابو بكر ثم عمر. ثم عثمان.[(١٩)].

ومثل هذه الروايات انما تهدف الى دعم الاسلام القبلى ورموزه التى تشكل من جانب آخر دعمًا للاسلام الاموى الذى ارتكز عليه ونبع منه. وهى من جهة أخرى تشكل طعنًا فى الاسلام النبوى الذى رفع رايته الامام وتشكل أيضًا طعنًا شخصياً له بتشويه صورته وتقديم الآخرين عليه..

---

(١٣) مسلم كتاب الإمارة وانظر موطأ مالك والحاكم..

(١٤) رواه مالك في الموطأ والحاكم في مستدركه..

(١٥) البخاري ومسلم كتاب فضائل الصحابة.. باب فضل ابي بكر وعمر وعثمان..

(١٦) انظر مستدرك الحاكم..

(١٧) البخاري ومسلم كتاب فضائل الصحابة..

(١٨) انظر البخاري. كتاب الاعتصام بالكتاب والسنّة باب/ ٥..

(١٩) البخاري. كتاب النكاح..

أما الروايات الخاصة بالمسلمين والتى تهدف الى اخضاعهم لخط بنى أمية فهى اكثر من أن تحصى:

يروى ان الرسول ﷺ قال: من يطع الأمير فقد أطاعنى ومن يعص الأمير فقد عصانى.[٢٠].

ويروى: السمع والطاعة فى عسرك ويسرك ومنشطك ومكرهك وأثرة عليك.[٢١].

ويروى : على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره.[٢٢].

ويروى: اسمعوا واطيعوا فإنما عليهم ما حملوا وعلكيم ما حملتم.[٢٣].

يروى: تسمع وتطيع للأمير وان جلد ظهرك وأخذ مالك فاسمع وأطع.[٢٤].

ويروى على لسان معاوية أنه سمع الرسول ﷺ يقول: لاتزال طائفة من أمتى قائمة بأمر الله لايضرهم من خذلهم او خالفهم حتى يأتى أمر الله وهم ظاهرون على الناس.[٢٥].

ويروي: من خرج من الطاعة وفارق الجماعة ثم مات ميتة جاهلية.[٢٦].

ويروي: من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر فإنه من فارق الجماعة شبراً فمات فميتته جاهلية.[٢٧].

(٢٠) البخاري. كتاب فضائل الصحابة. ويروي البخاري على لسان علي أنه أقر بتقديم أبي بكر وعمر وعثمان عليه. انظر باب فضل ابي بكر..

(٢١) مسلم كتاب الإمارة وانظر البخاري..

(٢٢) المرجعين السابقين

(٢٣) مسلم كتاب الإمارة..

(٢٤) المرجع السابق..

(٢٥) المرجع السابق..

(٢٦) المرجع السابق. وقد روى هذا الحديث عدة رجال من أنصار معاوية مثل جابر بن سمرة. وابن عمر. والمغيرة بن شعبة. ومروان الفزاري انظر باب لا تزال طائفة من امتي ظاهرين على الحق.

(٢٧) المرجع السابق..

ويروي: من أراد ان يفرق أمر هذه الأمة وهي جميع فاضربوه بالسيف كائناً من كان. . (٢٨).

ويروي: من اتاكم وأمركم جميع على رجل واحد يريد أن يشق عصاكم أو يفرق جماعتكم فاقتلوه. . (٢٩).

وهناك روايات توجب عدم قتال الحكام والخروج عليهم ما أقاموا الصلاة. . (٣٠).

ومن الواضح أن هذه الروايات من اختراع السياسة وليس من المعقول أن يحض الرسول على دعم المنكر والظلم وطاعة الحكام الفجرة الذين يسلبون الناس أموالهم ويعذبونهم. وهل جاء الاسلام ليقر الظلم والفساد. . ؟

واذا كان الحاكم يسلب الأموال ويجلد الظهور فهو بهذا يكون طاغية أو قاطع طريق وهل مهمة الحكام إلا حفظ الأمن والحقوق والعدل بين الناس ودفع المظالم عنهم. . ؟

ان مثل هذه الروايات إنما تعكس الوجه الحقيقي للاسلام الأموي الذي ساد الأمة حتى يومنا هذا. فهو إسلام استسلامي مداهن للحكام يبرر الظلم والفساد. .

وهو إسلام ينصر الحكام على الشعوب وينصر الأغنياء على الفقراء. .

وهو إسلام يضخم الفروع على حساب الأصول. .

وهو إسلام يزرع بذور الشقاق والانقسام في الأمة. .

وهو إسلام يهين الرسول وآل البيت. . (٣١).

---

(٢٨) المرجع السابق. .

(٢٩) المرجع السابق. .

(٣٠) المرجع السابق. وما أسهل إقامة الصلاة على الحكام ما دامت سوف تكسبهم طاعة الجماهير وانقيادها لسياساتهم. .

(٣١) انظر لنا كتاب الخدعة. فصل الرسول والنساء. وانظر عقائد الشيعة وعقائد السنة باب الرجال. .

هذه هي صورة الاسلام الأموي وأهم معالمه وهي على ما يبدو تتناقض تماماً مع صورة الاسلام النبوي الذي رفع رايته الامام علي الـذي يرتبط بالجماهير ويتصدى للـحكام وينـصر الفقـراء والمحرومين ويوحـد صفوف الأمة ويـركز على الجـوهر والاصول ويكـرم الرسول ويضـعه في مكـانته الشـرعية كمـا يضع آل البـيت في مكانتهم.

إنعكاسات الإسلام الأموي

- الدولة الإسلامية ..
- الفكر الإسلامي ..
- التيارات الاسلامية..

أربعة خطوط برزت بعد وفاة الرسول(ﷺ)

خط آل البيت بقيادة الإمام على وهو يمثل الإسلام النبوي . .

وخط ابو بكر وعمر وهو يمثل الإسلام القبلي . .

وخط عثمان ومعاوية وهو يمثل الإسلام الاموي . .

وخط الخوارج وهو يمثل الاسلام القشرى . .

وقد انتهى الإسلام القبلى بمصرع عمر وبقيت فى الساحة الخطوط الثلاثة الأخرى . .

بقى خط آل البيت فى أبناء الإمام على من بعده ثم فى شيعتهم من بعدهم . .

وبقى الإسلام الأموى فى كنف الحكومات حتى يومنا هذا . .

وبقى الإسلام القشرى منبوذاً ومحاصراً حتى تبنته الحركة الوهابية وقامت بنشره الدولة السعودية بين صفوف المسلمين والتيارات الإسلامية المختلفة فى كل مكان . .

ولقد تغلغل الإسلام الاموى فى الفكر الإسلامى على مر الزمان حتى صبغه بصبغته ثم جاء الإسلام القشرى ليلقى بظلاله على هذا الفكر مع الحقبة النفطية المعاصرة بينما قدر للإسلام النبوى أن يظل محصوراً فى فئة قليلة مستضعفة هى فئة الشيعة. ويظل بعيداً عن الأضواء محارباً من الحكومات حتى قيض الله له دولاً رفعت رايته وقوت شوكته فى عدة بقاع ولفترة من الزمن.

ومن أشهر هذه الدول الدولة الفاطمية فى مصر. والدولة الصفوية فى إيران.

إلا أن البروز المعاصر للإسلامى النبوى على يد الثورة الإسلامية فى إيران يعد أكثر الصور فاعلية وتأثيراً فى التاريخ الإسلامى إذ بعثت الروح فى هذا الإسلام بعد أن طمرته السياسة قروناً طويلة . .

من هنا فنحن اليوم نعاصر ثلاث صور للإسلام:

الأول: الإسلام الحكومى الذى تفرخ من الإسلام الأموى . .

الثاني: الإسلام السعودى الذى تفرخ من إسلام الخوارج..

الثالث: الإسلام الشيعى الذى يعبر عن الإسلام النبوي..

وسوف نعرض فى هذا الباب انعكاسات هذه الصور الثلاث على القضايا التالية:

- الدولة الإسلامية..
- الفكر الإسلامى..
- التيارات الإسلامية..

الدولة الإسلامية

أقام الأمويون نظاماً ملكياً هو الأول من نوعه في الإسلام وسارت الحكومات التى جاءت من بعدهم على هذا النهج. وساير الفكر الإسلامى هذا الوضع وبنى نظرية الدولة الإسلامية على أساسه..

ولقد كانت أهم ملامح نظام الحكم الإسلامى على مر التاريخ تنحصر فيما يلي:

* الاستبداد..
* البذخ..
* الملكية..
* افتقاد حرية الرأي واحترام الانسان..

ولم يحدث فى تاريخ الفكر الإسلامى أن اصطدم الفقهاء بهذه القواعد بل عايشوها وتفاعلوا معها تماماً كما يتعايش فقهاء اليوم مع الحكومات المعاصرة. فقد كان الحاكم هو الذى يعين القضاة ويتدخل فى الأحكام وهو الذى يعين الخليفة من بعده وهو صاحب الرأى الأوحد فى البلاد ويعيش حياة مترفة على حساب المسلمين الكادحين المطحونين..

وما يأسف له المرء أن هذه الصورة المنحرفة للحكم الإسلامى باركها الفقهاء

ودعموها ونسجوا من حولها الروايات والفتاوى التى تبرر هذه الصورة وتدفع بالمسلمين إلى التعاطف معها. .[1]

فهم قد دافعوا عن انحرافات عثمان وبرروها. .

ودافعوا عن بنى أمية وبنى العباسي. .

ثم عن الأيوبيين والمماليك والعثمانيين. .

ثم ها هم يبكون اليوم على دولة الخلافة العثمانية ويحلمون بعودة حكم الخلفاء. ناسين أو متناسين الجرائم والانتهاكات والدماء التى أراقها الخلفاء طوال فترات التاريخ الإسلامى من أجل تثبيت عروشهم. .

ان هؤلاء الفقهاء لا تعنيهم ممارسات الحكام ومواقفهم لكونها لا تمس الدين ولا تصطدم بهم فما دامت لا تمس الدين ولا تصطدم بهم فهى إذن فى صالح المسلمين. .

وكيف للحكام أن يمسوا الدين وهو ركيزتهم الأساسية ووسيلة تأمين وجودهم ومستقبلهم؟

وكيف لهم أن يصطدموا بالفقهاء وهم حلفائهم وأداتهم فى تطويع المسلمين وتخديرهم. . ؟

---

(١) تكتظ كتب السنن بالكثير من الروايات التى تدعم الحكام وتباركهم وتفرض على المسلمين طاعتهم والإستسلام لهم. ومن هذه الروات المنسوبة للرسول(ﷺ): اسمعوا وأطيعوا - للحكام - فإنما عليهم ما حملوا وعليكم ما حملتم. . تسمع وتطيع للأمير وان ضرب ظهرك وأخذ مالك فاسمع وأطع. . من رأى من اميره شيئا يكرهه فليصبر فإنه من فارق الجماعة شبرا فمات فميتته جاهلية. . من خلع يدا من طاعة لقى الله يوم القيام لا حجة له ومن مات وليس فى عنقه بيعة - للحكام - مات ميتة جاهلية. . من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد يريد أن يشق عصاكم أو يفرق جماعتكم فاقتلوه. . فمن أراد ان يفرق أمر هذه الأمة وهى جميع فاضربوه بالسيف كائنا من كان. . انظر مسلم كتاب الإمارة والبخارى وكتب السنن الأخرى. .

ومثل هذه الروايات هى التى بنى على أساسها الفقهاء موقفهم وتصورهم حول الحكم والدولة وجعلوه من المفاهيم والعقائد الثابتة التى لا يجوز للمسلم أن يتجاوزها. انظر كتب العقائد وانظر لنا فساد عقائد أهل السنة. .

ومثل هذا الموقف إنما هو نابع من التصور الأحادى الذى يجعلهم يتصورون كل ما يخرج عن دائـرتهم ودائرة إسلامهم هو الـباطل والضلال المبين. فمـن ثم يحق للحاكـم أن يقتل وان ينهب وان ينتهك الحرمات ما دام كل ذلك يسجرى فى دائرة المخالفين.

وان أهم انعـكاسات الخط الأمـوى على فكرة الـدولة وشكلهـا ومقوماتـها إنما يتمثـل فى اعتماد الفقهـاء لثلاثة صور لقيام الحـكم فى الإسلام هى مستنـبطه من واقع حكم الخلفاء الثلاثة ابوبكر وعمر وعثمان..

الصـورة الأولى: الشورى مـن خلال أهل الحـل والعقـد وهى مستـنبطـة من السقيفة ومن فعل ابى بكر وفعل عمر حين أوصى بالستة..

الصورة الثانـية: الوصية وهى مشتقـة من فعل ابى بكر حين أوصـى لعمر وقد مهدت هذه الفكرة لقيام الملكية فيما بعد..

الصورة الثالثة: ولاية الـعهد وهى مستنبطة من سلوك معـاوية وحكام بنى أمية وبنى الـعباس وقد أضفت هـذه الصورة المشروعـية على نظـم الحكم الملكيـة التى قامت فى بلاد المسلمين طوال فترات التاريخ..

يقول الـقاضى ابو يعلـى عن كيفيـة اختيار الحاكـم: وهى فرض على الكـفاية مخاطب بها طائفتان من الناس إحداهما: أهل الاجتهاد حتى يختاروا.

والثانية: من يوجد فيه شرائط الإمامة حتى ينتصب أحدهم الإمامة.

أما اهل الاختيار فيعتبر فيهم ثلاثة شروط أحدها:

العدالة. والثاني: العلم الذى يتوصل به إلى معرفة من يستحق الإمامة.

والثالث أن يكون مـن أهل الرأى والتدبير المؤديين إلى اختيـار من هو للإمامة أصلح..

وأما أهل الإمامة فيعتبر فيهم أربع شروط. أحدها: أن يكون قرشياً من الصميم وقد روى أحمد: لا يكون من غير قريش خليفة.

الثاني: أن يكـون على صفة من يصلـح أن يكون قاضياً: من الحريـة والبلوغ والعقل والعلم والعدالة.

الثالث: أن يكون قيماً بأمر الحرب والسياسة وإقامة الحدود لا تلحقه رأفة فى ذلك والذب عن الأمة.

الرابع: أن يكون من أفضلهم فى العلم والدين. وقد روى عن احمد الفاظ تقتضى إسقاط اعتبار العدالة والعلم والفضل. فقال: ومن غلبهم بالسيف - أى المسلمين وحاكمهم - حتى صار خليفة وسمى أمير المؤمنين لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر ان يبيت ولا يراه إماماً عليه براً كان أو فاجراً فهو أمير المؤمنين. وروى عنه: فإن كان أميراً يعرف بشرب المسكر والغلول - أى سرقة الغنائم - يغزو معه وإنما ذاك له فى نفسه.. (٢)

ويقول ابن تيمية عن أهل السنة والجماعة: يرون إقام الحج والجهاد والجمع والأعياد مع الأمراء أبراراً كانوا أو فجّاراً.. (٣)

ويقول البيجوري: ونصب إمام عادل واجب على الأمة عند عدم النص من الله أو رسوله على معين وعدم الاستخلاف من الإمام السابق بخلافه. ولا يتحقق إلا بشروط خمسة: الإسلام والبلوغ والعقل والحرية وعدم الفسق. ثم ان هذه الشروط إنما هي فى الابتداء وحالة الاختيار وأما فى الدوام فلا يشترط. ولو تغلب عليها - الإمامة - شخص قهراً انعقدت له وان لم يكن أهلاً.. (٤)

ومن الواضح أن هذه الرؤى التى يجمع عليها فقهاء القوم إنما هى مشتقة من الواقع القبلى والواقع الأموي. وقد بنيت على أساس سلوك الخلفاء الثلاثة وسلوك معاوية ومن بعده من الخلفاء الذين اغتصبوا الحكم بالقوة وفرضوا أنفسهم على الأمة وان لم تتوافر فيهم الشروط المطلوبة فى الحاكم حتى ولو كانوا صبياناً أو عبيداً..

ولقد دفعت الأمة الثمن غالياً ولا زالت تدفع بسبب هذا الطرح السياسى الذى

---

(٢) انظر الأحكام السلطانية لأبى يعلى ط القاهرة.. والأحكام السلطانية للماوردى أيضاً..

(٣) انظر العقيدة الواسطية لابن تيمية ط القاهرة أو السعودية..

(٤) انظر شرح البيجوري على متن الجوهرة المسمى تحفة المريد على جوهرة التوحيد ط القاهرة. وهو كتاب مقرر على طلبة المعاهد الأزهرية فى مصر..

لا صلة له بـالدين وإنما هو من نـتاج واقع باركه فقـهاء يسيرون فى ركـاب الحكام واضفوا عليه المشروعية بروايات واجتهادات ألزمت بها الأمة بتوجيه الحكام. .

يقول مالك للمنصور العباسي: لو لم تكن أهلاً لما ولاك الله تعالى. . (٥)

ومثل هذا القـول إنما يعكس فقه المتغـلب الذى تبناه القوم فـى مواجهة حالات اغتصاب الحكم من قبل من هو على شاكلة المنصور. .

ويقول ابو يوسف: إن أمـير المؤمنين ـ هارون ـ سألنى أن أضع له كـتاباً جامعاً يعمل به فى جبـاية الأموال والعشور والصدقات والجوالى ـ الجمـاعات الجائلة غير المستقرة فى مكان محدد ـ وغير ذلك مما يجب عليه النظر فيه والعمل به. . (٦)

وقد حدد ابو يوسف واجبات الحاكم فيما يلي:

ـ إقامة حدود الله. .

ـ رد الحقوق لأصحابها. .

ـ إحياء سنة الحكام الصالحين. .

ـ منع الظلم والمساواة بين الناس فى تطبيق أحكام الشرع. .

ـ أمر الناس بما أمر الله ونهيهم عما نهى عنه. .

ـ لا يؤخذ من الرعية إلا بالحق ولا ينفق إلا بالحق. . (٧)

أما واجبات المسلمين تجاه الحاكم فقد حددها بما يلي:

ـ ألا يعصوه أو يقاتلوه. .

ـ ألا يسبوه أو يغشوه. .

---

(٥) انظر مناقب ابو حنيفة للكردى. وقد قام مالك بتأليف كتاب الموطأ بتكليف من المنصور. انظر مقدمة الموطأ ط القاهرة. .

(٦) انظر مقدمة كتاب الخراج لأبى يوسف. .

(٧) انظر المرجع السابق. .

- أن يصبروا عليه ويخلصوا النصح له..
- أن ينهوه عن المنكر ويعاونوه على الخير..[٨]

ان الشروط التي اشترطها الفقهاء في الحكام لم تتوافر في حاكم ممن ولي أمر المسلمين منذ وفاة الرسول(ﷺ) وحتى اليوم. كما أن الواجبات التي من المفروض أن يؤدوها تجاه الأمة لم يلتزموا بشيء منها وضربوا بها عرض الحائط ولم يعترض الفقهاء على هذا الوضع بل عايشوه وطالبوا الأمة بالصبر عليه..[٩]

ان الفقهاء قد حددوا شكل الدولة الإسلامية ومقوماتها وصفات الحاكم من خلال سلوك ومواقف الخلفاء الثلاثة وبني أمية وبني العباس متجنبين الإمام علي ومواقفه ونموذج دولته لكون طرحه ونموذجه يتناقض مع الطرح والنموذج السائد الذي يسيرون في ركابه..

لقد كانت تجربة الإمام علي في الحكم هي التجربة التي تعكس صورة الدولة الإسلامية الحقة والتي قام الخط الأموي بالتعتيم عليها وتشويهها حتى لا تكتشف حقيقة الحكم الأموي وتناقضه مع الإسلام..

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا ما هي ملامح دولة الإمام علي..؟

إن الإمام علي كان زاهداً في الحكم كما كان زاهداً في الدنيا. وما كان يهدف إليه هو أن تستقيم الأمة على نهج الإسلام النبوي وتسترشد بعلمه الذي ورثه عن الرسول(ﷺ).

من هنا فحين طالبه الناس بالبيعة بعد مصرع عثمان قال: دعوني والتمسوا غيري.. واعلموا أني إن أجبتكم ركبت بكم ما أعلم ولم أصغ إلى قول القائل وعتب العاتب.. وانا لكم وزير خير لكم مني أميراً..[١٠]

---

(٨) المرجع السابق..

(٩) انظر شرح مسلم للنووي كتاب الإمارة. وشرح البخاري لابن حجر كتاب الأحكام وكتاب الفتن. جـ١٣

وانظر كتب العقائد والفقه وهي تحوي شروحات وتبريرات واسعة لهؤلاء الفقهاء تجاه الحكام ومواقفهم وانحرافاتهم وانظر كتاب العواصم من القواصم. وكتابنا فساد عقائد أهل السنة..

(١٠) انظر نهج البلاغة خطبة رقم ٩/٢٥٩..

ولقد حـدد الإمام على نهجـه فى الحكم فور تـسلمه السـلطة بقوله: لـم تكن بيعتـكم إياى فلته. ولـيس أمرى وأمركم واحد. إنــى أريدكم لله وانتم تريـدوننى لأنفسـكم. ايها الـناس أعينونى على أنفسكم وأيم الله لأنصفـن المظلوم من ظالمه. ولأقودن الظالم بخزامته حتى أورده منهل الحق وإن كان كارها..(١١)

ان الإمام يـوضح من خلال كـلمته عـدة حقائـق وإشارات هامة حـول صورة الحكم. فهو يـوجه نقده لطريقة وصول ابى بـكر للحكم مشيراً أن بيـعته إنما تمت بإرادة المسلمـين وحريتهم دون ضغوط كما حدث فـى أمر السقيفة. ثم هو يـعلنها ضراحة أنـه سوف يضرب أصـحاب المصالح والأهـواء والقبليـين الذين استـثمروا الأوضاع السابقة لصالحهم وحققوا المكاسـب على حساب المسلمين وبواسطة أنظمة الحكم السابقة..

ولقد أوضح الإمـام الرؤية للمسـلمين كحاكم بقـوله: لن يسرع أحد قـبلى إلى دعوة حق وصلة رحم وعائدة كرم. فاسمعوا قولى وعوا منطقى عسى أن تروا هذا الأمر من بعد هذا اليوم تنتضى فيه السيـوف وتخان فيه العهود حتى يكون بعضكم أئمة لأهل الضلالة وشيعة لأهل الجهالة..(١٢)

والإمام بتوضيح هذه الرؤية للرعية إنمـا يضرب مثلاً رائعاً فى الأمانة والمصارحة لهم فى مواجهة الأحداث القادمة التى تهدد وحدة الأمة..

والإمام يرفض اغتصاب السلطة والاستـسلام للإمر الواقع بقوله: أيها الناس إن أحق النـاس بهذا الأمر أقـواهم عليـه وأعلمهـم بأمر الله فيـه فإن شغب شـاغب استعتب فـإن أبى قوتل. ولعمرى لئن كانـت الإمامة لا تنعقد حتى تحـضرها عامة الناس فـما إلى ذلك سبـيل ولكن أهـلها يحكـمون على من غـاب عنها ثـم ليس للشاهد أن يرجع ولا للغائب أن يختار...(١٣)

(١١) انظر المرجع السابق خطبة رقم ١٣٤/٣٣٩

(١٢) المرجع السابق خطبة رقم ١٣٧/٣٤٤..

(١٣) المرجع السابق خطبة رقم ١٧١/٤٠٨..

ويؤكد الإمام من خلال قوله هذا أيضاً رفضه لبيعة الحكام في معزل عن الجماهير كما وقع مع الخلفاء الثلاثة من قبله وكما وقع للمسلمين من بعده . .

لقد رفع الإمام شعار العدل في وجه الظالمين ومغتصبي حقوق المسلمين وفي وجه أقارب عثمان وقام بمصادره ممتلكاته وقطائعه التي ملكها بأموال المسلمين والتي وزعها على أقاربه وأعوانه . .

يقول الإمام عن عثمان وقطائعه : والله لو وجدته قد تزوج به النساء وملك به الإماء لرددته فإن في العدل سعة ومن ضاق عليه العدل فالجور عليه أضيق . .(١٤)

وفي عهد الإمام علي لمالك الأشتر حين وجهه إلى مصر ملامح نظرية الحكم الاسلامي على نهج النبوة وأسس دستور يحقق العدل والاستقرار والأمن والتقدم للأمة . .

يقول الامام لمالك بعد أن أمره بطاعة الله وتقواه : . .وأشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم واللطف بهم ولاتكون عليهم سبعاً ضارياً تغتنم أكلهم . .أنصف الله وأنصف الناس من نفسك ومن خاصة أهلك وممن لك فيه هوى من رعيتك فإنك إلاتفعل تظلم ومن ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عباده. وليكن أحب الأمور إليك أوسطها في الحق وأعمها في العدل وأجمعها لرضا الرعية فإن سخط العامةيجحف برضا الخاصة وان سخط الخاصة يغتفر مع رضا العامة. وليكن أبعد رعيتك منك وأشنأهم عندك ـ أبغضهم ـ أطلبهم لمعائب الناس. وان شر وزرائك من كان للأشرار قبلك وزيراً ومن شركهم في الآثام فلا يكونن لك بطانة. والصق بأهل الورع والصدق. ولا يكونن المحسن والمسيء عندك بمنزلة سواء. وأعلم أنه ليس شيء بأدعى إلى حسن ظن راع رعيته من إحسانه إليهم وتخفيفه المؤونات عليهم. ،ولا تنقض سنة صالحة عمل بها صدر هذه الأمة واجتمعت به الالفة وصلحت عليه الرعية. واكثر مدارسة العلماء ومناقشة الحكماء في تثبيت ما صلح عليه أمر بلادك. وأعلم ان الرعية طبقات لا يصلح بعضها إلا ببعض ولا غنى ببعضها عن بعض. ثم اختر للحكم بين الناس أفضل رعيتك. ثم أكثر تعاهد قضائه

(١٤) المرجع السابق خطبة رقم ١٥/ ١١٨ . .

وأفسح له فى البذل مـا يزيل علته وتقل معه حاجته إلى الـناس. ثم انظر فى أمور عمالك فاستعمـلهم اختباراً ولا تولهم محاباة وأثرة. ثم اسـبغ عليهم الأرزاق فإن ذلك قوة لهم على استصلاح أنفسهم وغنى لهم عن تناول ما تحت أيديهم. وتفقد أمر الخراج بمـا يصلح أهـله. ثم استـوص بالتجـار وذوى الصناعـات وأوص بهم خيراً. ثم الله. الله فى الـطبقـة السفـلى من الـذين لا حيـلة لهـم من المسـاكين والمحتاجين وأهل البؤس والزمنى ـ المرضى وأصحاب العاهات ـ وتفقد أمور من لا يصل إليـك منهم. وتعهـد أهل اليتيم وذوى الـرقة فى السن ممن لا حـيلة له ولا ينصب للمسألـة نفسه. واجعل لذوى الحاجات منك قسماً تفـرغ لهم فيه شخصك وتجلس لهم مجلـساً عاماً. . فلا تطولن احتجابك عن رعيـتك فإن احتجاب الولاة عن الرعية شعبـة من الضيق وقلة علم بالأمور. والزم الحق مـن لزمه من القريب والبعيد وكن فى ذلك صابراً محتسباً. وان ظـنـت الرعية بك حيفاً ـ ظلماً ـ فأصحر ـ أظهر ـ لهم بعذرك وأعدل عنك ظنونهم باصحارك. ولا ترفضن صلحاً دعاك إليه عدوك ولله فيه رضا. وان عقدت بينك وبين عدوك عقدة أو ألبسته منك ذمة فحط عهدك بـالوفاء وارع ذمتك بـالأمانة. وإياك والدمـاء وسفكهـا بغير حلـها. وإياك والاعجاب بنفسك والـثقة بما يعجبك منها وحب الاطراء. وإيـاك والعجلة بالأمور قبل أوانها. .[15].

ولا شك أن هذه الاسس التى حواها عهد الإمـام للأشتر لا وجود لها فى واقع الدول التـى سادت من بعد صـفين. ولا وجود لها فى سـلوك الحكام ومواقـفهم أولئك الحكام الذين بـاركهم الفقهاء وطالبوا المسلمين بـالصلاة والحج والجهاد من خلفهم. .[16]

ولقد أبرز لنا الإمام من خلال سلوكه ومواقفه ملمحاً هاماً وخاصية فريدة يجب

(١٥) المرجع السابق جـ٢/ خطبة رقم ٥٤/ ٦٢١

(١٦) انظر عهد الاشتر للشيخ محمد مهدى شمس الدين ط بيروت وعهد الاشتر لمحمد باقر الناصرى والراعى والرعية للفكيكى ط. بيروت. وانظرشرح نهج البلاغة لابن ابى الحديد وغيره. .

أن تتوافر فى الحاكـم المسلم الا وهى خاصية الحوار مع الخصـوم حتى ولو شهروا سيوفهم فى وجه الدولة.

والإمام بانـتهاجه هذا السلوك والتزامـه بهذا الموقـف إنما يبرز روح التسـامح ويفسح المجال أمام الرأى الآخر ليقدم حججه وبـراهينه التى تدعم موقفه ورؤيته. ويمنح الفرصة للمنشقين كى يعودوا إلى صفوف الجماهير بقناعة ورضا..

برز هذا الموقف فى حواره مع أصحاب الجمل..

وبرز فى حواره مع أنصار معاوية فى صفين..

وبرز فى حواره مع الخوارج المنشقين عليه..

يقول الإمـام لابن عباس حين أرسله إلى الزبـير قبل وقـعة الجمل: لا تـلقين طلحة فإنـك ان تلقه تجده كالثور عاقـصاً قرنه يركب الصعب ويـقول: هو الذلول ولكن الق الزبير فإنـه ألين عريكة فقل له: يقول لك ابن خالك: عـرفتنى بالحجاز وانكرتنى بالعراق. فما عدا مما بدا..[17]

ويقول الإمام فى أهل صفـين وقد نهى أصحابه عن سبهم: اللـهم احقن دماءنا ودماءهم وأصلـح ذات بيننا وبيـنهم واهدهم من ضـلالتهم حتى يـعرف الحق من جهله ويرعوى عن الغى والعدوان من لهج به..[18]

وفى كتاب للإمام إلى معـاوية يقول فيه: ولعمرى يا معاوية لئـن نظرت بعقلك دون هواك لتجدنى أبرأ الناس من دم عثمان ولتعلمن أنى كنت فى عزلة عنه إلا ان تتجنى فتجن ما بدا لك والسـلام..[19]

وفى كتـاب له أيضاً إلى معـاوية يقول الإمام: وكـيف أنت صانع إذا تكـشفت

(١٧) انظر نهج البلاغة جـ١/ خطبة رقم ٣١/١٤٩..

(١٨) المرجع السابق جـ١ خطبة رقم ٢٠٤/٤٩٢..

(١٩) المرجع السابق جـ ٢خطبة رقم ٦/ ٥٤٣

عنك جلابيب ما أنت فيه من دنيا قد تبهجت بزينتها وخدعت بلذتها دعتك فأجبتها وقادتك فاتبعتها وأمرتك فأطعتها . .[٢٠]

وفي كتاب آخر يقول له: أما بعد فإنا كنا نحن وانتم على ما ذكرت من الألفة والجماعة ففرّق بيننا وبينكم أمس أنا آمنا وكفرتم. واليوم أنا استقمنا وفتنتم وما أسلم مسلمكم إلا كرهاً وبعد ان كان أنف الإسلام كله لرسول الله(ﷺ) حزباً . .[٢١]

ويقول الإمام في الخوارج حين رفعوا شعار لا حكم إلا لله: كلمة حق يراد بها الباطل. نعم لا حكم إلا لله. لكن هؤلاء يقولون: لا إمرة إلا لله . .[٢٢]

ويقول مخاطباً الخوارج لما حكموا على الإمام بالخطأ في التحكيم وشرطوا للعودة إلى طاعته ان يعترف بأنه كان قد كفر ثم آمن: أصابكم حصب - ريح شديدة - ولا بقي منكم آبر. أبعد إيماني بالله وجهادي مع رسول الله أشهد على نفسي بالكفر. لقد ضللت إذا وما أنا من المهتدين . .[٢٣]

وكان الإمام علي قد أرسل ابن عباس ليحاور الخوارج بعد أن انشقوا عليه. وأقام ابن عباس عليهم الحجة وعاد معه منهم ثلاثة آلاف . .[٢٤]

ولقد اضطر الإمام لمقاتلة الخوارج فيما بعد إلا انه لم يقاتلهم بسبب الأفكار التي تبنوها أو بسبب خروجهم عليه وإنما قاتلهم بسبب عدوانهم على المسلمين واستباحتهم دماءهم وأموالهم وهم بهذا الفعل قد استووا مع المحاربين الذين يسعون في الأرض فساداً ويجب على الإمام استئصالهم.

ان تبني الإمام علي لنهج الشورى والعدل والمساواة والحوار قد جذب إلى نهجه

---

(٢٠) المرجع السابق جـ٢/ ١٠/ ٥٤٦

(٢١) المرجع السابق جـ٢/ ٦٥/ ٦٦٢ . .

(٢٢) المرجع السابق جـ١ خطبة ٤/ ١٦٣ . .

(٢٣) المرجع السابق جـ١/ خطبة ٥٨/ ١٧٩ . .

(٢٤) أنظر محاورة ابن عباس للخوارج في كتاب جامع بيان العلم ط القاهرة . .

الموالى والجنسيات الأخرى غير العربية وعلى رأسهم الفرس الذين وجدوا فى طرحه ما ينشدون من العدل والمساواة والحرية وهو ما كانوا يفتقدونه فى الطرح الأموى الذى كان يقوم على أساس القبلية والعنصرية . .

ولعل هذا يفسر سر ارتباط الفرس بالإمام على وآل البيت من بعده إذ وجدوا فى خطهم الخلاص من الظلم والتفرقة العنصرية التى كانوا يعيشونها فى ظل بنى أمية . .

ومما سبق يتبين لنا مدى الفروق الشاسعة والهوة السحيقة بين دولة الإمام على ودولة بنى أمية التى يمكن تحديدها فيما يلي:

* ان دولة الإمام على هى دولة متغيرة حسب متطلبات الواقع ومصالح الجماهير بينما دولة الأمويون ثابتة المعالم والأطر.
* ان دولة الإمام على دولة جماهير بينما دولة معاوية وقومه دولة حكام . .
* ان دولة الإمام هى دولة العدل والمساواة والشورى بينما هذه الأسس الثلاث لا وجود لها فى واقع الدول الأخرى . .
* ان دولة الإمام على هى دولة الحوار بينما الدول الأخرى عدوة له وتغلق الأبواب أمامه . .

لقد ارتبطت فكرة الدولة فى الطرح السنى بالأستبداد والفصل بين سلطة الفقهاء وسلطة الحكام وعدم التدخل فى شئون الحاكم والاستسلام المطلق له وهذه هى أخطر انعكاسات الإسلام الأموى مما أدى إلى ضياع الشورى والعدل والمساواة من واقع المسلمين . .

بينما ارتبطت فكرة الدولة فى طرح آل البيت بالشورى وعدم الفصل بين السلطتين لضرورة أن يكون الحاكم فقيهاً كما ارتبطت بالعدل والمساواه والجماهير ووضعت الحاكم تحت رقابتها . .

ويحاول الطرح السنى ان يلزم الأمة بفكرة ثابتة وشكل ثابت للدولة الإسلامية وهو الشكل الذى تمخض عن الواقع القبلى الأموى والذى يقوم على سلطة

الحكام وسلطة الفقهاء ونتيجته الدائمة هى سقوط الفقهاء فى شباك السياسة وخضوعهم للحاكم . .

ويبدو ان هناك تخبط واضح لدى الطرف السنى فى تحديد معالم الدولة وشكلها وهذا التخبط إنما هو ناتج من اختلاف ممارسات الحكام ومواقفهم واختلاف شكل الدولة من حكم لآخر.

فدولة ابى بكر غير دولة عمر.

ودولة عمر غير دولة ابى بكر.

ودولة عثمان غير دولة عمر.

ودولة معاوية تختلف عن دولة الثلاثة . . (٢٥)

أما دولة الإمام على فهى نموذج آخر غير هذه النماذج والقوم لم يعتدوا به من الأصل ولعل لنهم عذرهم فى هذا فهم لم يعايشوه وإنما عايشوا حكم بنى أمية وبنى العباس.

ان الدولة الإسلامية فى منظور آل البيت ليس لها شكل محدد ومعالم وأطر ثابتة وهى متحررة تماماً من النزعة الألهية. ومثل هذه الأمور إنما هى متروكة للأجتهاد. ولعل طرح فكرة ولاية الفقيه من قبل الإمام الخمينى وتطبيقها فى إيران اليوم يشير إلى ذلك . . (٢٦)

ـ الفكر الإسلامي

انعكس الخط الأموى على الفكر الإسلامى بعد مرحلة صفين كما انعكس خط

---

(٢٥) أنظر كتاب تاريخ الخلفاء للسيوطى وهو يؤرخ من دولة ابى بكر إلى عصر المماليك. ويبدو للمطالع لهذا الكتاب مدى الفوارق والخلافات بين دول الإسلام التى قامت منذ وفاة الرسول(ﷺ) وحتى اليوم.

(٢٦) قام الإمام الخمينى بطرح فكرة ولاية الفقيه وتطبيقها عملياً لأول مرة فى تاريخ الشيعة. وقد اصطدم به كثير من فقهاء الشيعة وعارضوه فى هذه الفكرة حيث أن أغلب فقهاء الشيعة يرون عدم جواز حكم الفقيه فى عصر غيبة الإمام المهدي. وفي هذا الموقف إشارة إلى أن مسألة الحكم عند الشيعة ليس بالضرورة أن يتولاها فقيه من رجال الدين وليست فكرة الدولة تقوم على أساس الماضى كما هو الحال عند السنة. والشيعة لا ترفض فكرة الجمهورية او الأنتخاب الحر أو الأحزاب . .

آل البيت. غير أن خط آل البيت لم يقدر له البروز إلا في بعض فترات العصر العباسي وكانت أول صور البروز الفاعلة على يد الإمام جعفر الصادق في عهد الخليفة المنصور. بينما كان الخط الأموي هو السائد وقنواته هي القنوات المشروعة..

من هنا حرم الفكر الإسلامي من الاستفادة بخط آل البيت الذي عزل عنه تحت ضغط السياسة ليصبح الخط الأموي هو المصدر الوحيد له.

ولذا فقد اعتمد الفكر الإسلامي على مرتكزات الإسلام الأموي وانبنت على أساسها مفاهيمه وتصوراته وأطروحته بشكل عام..

لقد انعكست على هذا الفكر قضية الروايات المختلقة..

وانعكست عليه نظرية الرأي الواحد..

وانعكست عليه فكرة الحكم الألهي..

وأخطر هذه الانعكاسات إنما تنحصر في هذا الكم من الروايات المختلقة التي بنى الإسلام الأموي على أساسها وتأثر هذا الفكر بها. فعلى أساس هذه الروايات أضفيت المشروعية على حكام بني أمية والحكام من بعدهم حتى يومنا هذا..

وعلى أساس هذه الروايات أضفيت المشروعية والقداسة على العناصر التي تم انتخابها من بين الصحابة لتكون مصدراً للتلقي والتوجيه..

وعلى أساس هذه الروايات استنبطت الأحكام الفقهية التي سارت الأمة على أساسها حتى اليوم والتي نتجت عنها الكثير من المشكلات التي عاني منها المجتمع المسلم ولا زال يعاني وكانت الرواية ولا تزال سلاحاً يشهر في وجه المخالفين وأصحاب الرأي من أجل إرهابهم وإلزامهم بالسير وفق الخط السائد. [٢٧]

---

(٢٧) من هذه الروايات الروايات الخاصة بالحكام التي أشرنا لها والروايات الخاصة بالصحابة التي تمجد معاوية وابن العاص المغيرة وابو هريرة وعائشة وابن عمر وغيرهم ممن تحالفوا مع بني أمية وساندوهم وقد روى هؤلاء وعلى رأسهم أبي هريرة وعائشة وابن عمر الكثير من الروايات الخاصة بالاحكام على لسان الرسول(ﷺ) واعتمدها الفقهاء وبنوا على أساسها الكثير من الأحكام والاجتهادات. وهناك روايات اخترعت خصيصاً لمواجهة الرأي الآخر وإباحة دماء المعرضين مثل رواية من بدل دينه فاقتلوه. ورواية من

إن أزمة الفكر الإسلامى على مر الزمان إنما تكمن فى هذه الروايات التى قام على أساسها وطوق بها وحالت بينه وبين المرونة والتجديد ومواكبة المتغيرات..

مثل هذه الروايات هى التى ولدت التصور الأوحدى لهذا الفكر ذلك التصور الذى يقوم على أساس الهيمنة الفكرية والاستعلاء العقائدى على الآخرين. فكون هذا الفكر قد نشأ فى مناخ استبدادى خال من التيارات المنافسة قد ولد هذا الوضع لديه حالة من الاستعلاء والمثالية نابعة من تصور انحصار الحق فى دائرته ذلك التصور الذى تفرخت منه فكرة الفرقة الناجية أو أهل الحق الذين يسمون أنفسهم أهل السنة والجماعة... [٢٨]

ولم يحدث طوال فترات التأريخ أن دخل أهل السنة أو ممثلو الفكر الإسلامى النابع من الخط الأموى فى حوار مع التيارات الأخرى. فالحكومات لم تكن لتفسح الطريق لذلك..

من هنا يمكن القول ان الفكر السني لم يختبر حتى يتبين مدى صلاحيته ومواءمته للواقع ولذا فقد تأصلت فيه روح الاستبداد والتعصب وهذه هى أهم ملامحه التى انعكست عليه من الخط الأموي..

وعلى ضوء هذه الروايات أيضاً نشأت فكرة الحكم الالهى وتشبع بها هذا الفكر بحيث أصبحت إحدى مقوماته البارزة. فقد سقط هذا الفكر ضحية الروايات التى تقدس الحكام وتوجب طاعتهم وتلزم الأمة باتباعهم والصلاة والحج والجهاد من خلفهم وان كانوا فجاراً ومجرمين حتى تحولت هذه الفكرة إلى أصل من أصول الاعتقاد فى الفكر السني [٢٩]

= خرج عليكم وانتم جميع فاضربوه ضربة رجل واحد كائناً من كان. انظر لنا كتاب جريمة الرأى فى تاريخ الإسلام..

(٢٨) يعتبر أهل السنة انفسهم اهل الحق والفرقة الناجية من النار وجميع الفرق الاخرى هالكة وقد بنوا. هذا التصور على حديث يقول: تفترق امتى على ثلاث وسبعين فرقة. فرقة ناجية والباقى فى النار رواة الترمذى وغيره ومثل هذاالتصور إنما هو نابع من كونهم الاغلبية الظاهرة الآمنة وبقية الاتجاهات الاخرى قليلة ومستترة

(٢٩) انظر كتب العقائد والفرق..

ولقد نتجست أطروحات هذا الفكر بمعزل عن المشاركة فى الحكم فمن ثم فقد تأصلت فيه فكرة الفصل بين الدين والدولة وأصبحت من ملامحه. فقد قبض الحكام على السلطة السياسية بينما تركوا الدين لطبقة الفقهاء الذين يدينون لهم بالطاعة والولاء والذين بنوا اجتهاداتهم وتفسيراتهم للنصوص على أساس هذا الوضع..

من هنا وأمام ممارسات الحكام وانحرافاتهم ظهرت اتجاهات تقول بكفر مرتكب الكبيرة والمصر على المعصية وتقول بوجوب الخروج على الحاكم الفاسق والظالم. وقد تصدى الفقهاء لهذه التيارات وقالوا بعدم كفر مرتكب الكبيرة والمصر على المعصية وعدم جواز الخروج على الحاكم بأى صورة ولأى سبب وتحولت هذه الأقوال بعد ذلك إلى عقائد ومفاهيم ثابتة فى الفكر الإسلامى وما هى فى الحقيقة إلا فتاوى اخترعت للدفاع عن الحكام وتبرير سلوكياتهم المنحرفة...[٣٠]

واعتبر الفقهاء كل من يخرج عن هذه العقائد والمفاهيم ويخالفها من أهل البدع والزندقة الذين يجب مقاومتهم والقضاء عليهم فمن ثم أعطوا الضوء الأخضر للحاكم كى يقضى عليهم ويستأصلهم.[٣١]

ولقد أضفى فقهاء القوم المشروعية والقداسة على القرون الثلاثة الأولى التى نشأ وقنن فيها الفكر الإسلامى اعتماداً على رواية تقول: خير الناس قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم..[٣٢]

وعلى هذا فإن كل الجرائم والانتهاكات والبطش والتنكيل والانحرافات التى وقعت طوال القرون الثلاثة الأولى أضيفت عليها المشروعية وأمكن تبريرها على ضوء هذه الرواية وبالتالى تم اعتبار عصر الخلفاء وبنو أمية وبنو العباس العصر الذهبى المبارك..

(٣٠) انظر كتب العقائد.

(٣١) يقول ابن حنبل: أن شعار أهل البدع هو ترك انتحال اتباع السلف. انظر طبقات الحنابلة. وانظر كتب العقائد. وانظر لنا جريمة الرأي..

(٣٢) انظر البخارى ومسلم..

وإذا كان الفكر الإسلامى السنى قد نشأ فى كنف الحكومات وتحت رعايتها فإن الفكر الإسلامى الشيعى نشأ فى ظل ارهاب الحكومات وبطشها . .

الفكر السنى نشأ فى العلن آمناً . .

والفكر الشيعى نشأ فى السر خائفاً . .

من هنا فإن الفكر السنى قام على أساس الإستسلام للموقع والتعايش معه . بينما الفكر الشيعى قام على أساس رفض الواقع ومقاومته . .

وقد نتج عن هذا الوضع أن تبنى الفكر السنى طاعة الحكام وتقديسهم . .

وتبنى الفكر الشيعى رفض الحكام ولعنهم . .

وتبنى الفكر السنى الروايات التى جمعت طوال القرون الثلاثة الأولى وأقام على أساسها أطروحته .

ورفض الفكر الشيعى هذه الروايات لكونها صادرة عن جهات مشبوهة لا يثق بها . .

وتبنى الفكر السنى فكرة توثيق الراوى على أساس أخلاقى ينحصر فى مفهومى الصدق والأمانة دون حساب لسلوكيات الراوى ومواقفه السياسية أو الاجتماعية أو الفكرية . .

وتبنى الفكر الشيعى فكرة توثيق الراوى على أساس متكامل مع وضع سلوكياته ومواقفه فى الحساب . .

وعلى هذا الاساس قبل فى الفكر السنى رواة الحديث من الخوارج والنواصب والمشكوك فى صحبتهم للرسول وأهل الأهواء والبدع . .(٣٣)

بينما اعتبر الفكر الشيعى موالاة الحكام ومعاداة آل البيت ومناصرة الفرق من المواقف التى توجب رفض رواية الراوى والقدح فيه . .

---

(٣٣) انظر كتب الرجال وسوف تجد من هذه النماذج الكثير . وانظر هدى السارى مقدمة شرح البخارى لابن حجر وفيها يدافع عن رواة البخارى المطعون فيهم . .

وتبنى الفكر السنى الكثير من الروايات المناقضة للقرآن والعقل على أساس أن رواتها عدول..

واعتبر الفكر الشيعى مطابقة الرواية للقرآن والعقل شرط صحتها..

وينحصر مصدر التلقى فى الفكر السنى فى الصحابة والتابعين وتابعيهم..

بينما ينحصر مصدر التلقى فى الفكر الشيعى فى آل البيت..

ونتيجة لارتباط الفكر السنى بالسياسة وخضوعه للأطروحة الأموية أغلق باب الاجتهاد فى دائرته منذ قرون طويلة.

بينما ظل باب الاجتهاد مفتوحاً فى ظل الفكر الشيعى الى يومنا هذا..

وأصبحت المؤسسة الدينية السنية رهينة الحكومات يرتبط مصيرها ومستقبلها بها..

بينما تحررت المؤسسة الدينية الشيعية من سلطة الحكومات وأصبح مصيرها وقرارها بيدها..

والفكر السنى اعتمد على عائشة وابن عمر وابى هريرة ومعاوية وابن العاص والمغيرة بن شعبة بالإضافة إلى الخلفاء الثلاثة ومن تحالفوا معهم مثل سعد بن أبى وقاص وطلحة والزبير وابن عوف بينما رفض الفكر الشيعى هؤلاء الرجال والتلقى منهم واعتمد على الإمام على وذريته الأئمة الأثنى عشر بالإضافة إلى الصحابة الذين تحالفوا مع آل البيت وساروا على خط الإمام على مثل أبو ذر وعمار وسلمان وبلال وحذيفة والمقداد وغيرهم..[٣٤]

وعلى مستوى التابعين وتابعيهم اعتمد الفكر السنى على كل من سار وفق الخط الأموى والعباسى ممن عايشوا رموزه من الصحابة ومن لم يعايشوهم..

بينما رفض الفكر الشيعى اعتماد كل من خالف أهل البيت وتابع حكومات بنى أمية وبنى العباس من التابعين وتابعيهم..

ونتيجة لالتزام الفكر السنى بالخط الأموى تبنى الكثير من الادعاءات والقضايا

---

(٣٤) انظر فتح البارى شرح البخارى جـ٧ ...

الوهمية التى تهدف إلى تشويه خط الإمام على وإثارة الشبهات من حول شيعته . .

وعلى رأس هذه الإدعاءات والقضايا الوهمية :

* تمجيد معاوية والبيت الأموي . .

* اعتماد ابو هريرة[٣٥] كراوى أساسى لأحاديث الرسول . .

* تبنى فكرة السبأية وابن سبأ وإلصاقها بالشيعة . .

* ربط نشأة الشيعة والتشيع بالفرس . .

* تضخيم الرجال من الصحابة ورفع مكانتهم . .

* التقليل من شأن الإمام على ومكانه . .

* التقليل من شأن شيعته من الصحابة . .

* إعلاء كتابى البخارى ومسلم وتقديسهما . .

* تبنى فكرة عدالة الصحابة وتقديسهم . .

* تبنى فكرة الترتيب الرباعى للخلفاء : ابو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي . .

* تبنى فكرة الإجماع واعتمادها كمصدر من مصادر التشريع . .

* التقليل من شأن آل البيت وأهميتهم . .

أما تمجيد معاوية والبيت الأموى فأمر لا يقوم على أساس شرعى ولم تصح فيه رواية بشهادة فقهاء القوم والمحدثين وعلى رأسهم إسحاق بن راهويه استاذ البخارى الذى قال : لم تصح فى معاوية منقبة . وابن حجر فى شرحه للبخاري . .[٣٦]

---

(٣٥) انظر فتح البارى جـ٧ باب ذكر معاوية .

(٣٦) اختلف الفقهاء والمؤرخون فى ابى هريرة واسمه اكثر من عشرين خلافاً واصح الأسماء التى مال إليها بعضهم هى عبد الرحمن بن صخر . وقد أسلم أبو هريرة يوم خيبر كما يروى فمن أين أتى بكل هذا العلم الذى رواه على لسان الرسول(ﷺ) والذى فاق خمسة آلاف رواية وهو بهذا تفوق على خير الأمة ابى بكر وعلى عمر . وإذا كان هذا هو حال ابو هريرة وعلمه فلماذا لم يضعوه فى مقدمة الأمة ويفضلوه على ابى بكر وعمر . .؟ ويذكر ان ابا هريرة قد هوجم من عمر وعائشة وكثير من الصحابة بسبب إكثاره الرواية على لسان الرسول(ﷺ) . . انظر تاريخ ابن عساكر وهدى السارى والإصابة فى تمييز الصحابة لابن حجر والاستيعاب فى معرفة الأصحاب لابن عبد البر واسد الغابة لابن الأثير . .

ومسألة أبو هريرة من أوهام القوم ونتاجات السياسة إذ لا يعقل ان شخصاً مثل هذا أسلم يوم خيبر ولا وزن له ولا تعرف هويته يروى هذاالكم الهائل من الروايات عن الرسول(ﷺ) . . [٣٧]

وقضية ابن سبأ قضية وهمية من اختراع بنى أمية. فابن سبأ مشكوك فى صحة وجوده تاريخياً والطبرى هو الوحيد من بين المؤرخين الذى ذكره وروى عن أخباره والذين تناولوا ابن سبأ من المؤرخين مثل الذهبى وابن كثير وابن خلدون إنما أخذوا منه. وراوى أخبار ابن سبأ هو سيف بن عمر وهو راوى متهم بالكذب عند فقهاء القوم. . [٣٨]

أما قضية فارسية التشيع فالهدف منها التشكيك فى هوية التشيع ونشأته بربطه بالفرس المجوس. وقد نسى مخترعو هذه القضية أن الفرس الذين يتهمونهم بالتستر بدعوة التشيع لضرب الإسلام هم الذين نقلوا لهم الإسلام إلى بلاد الهند واسيا وهم الذين دونوا العلوم الإسلامية وجمعوا الأحاديث النبوية التى يتعبد بها القوم حتى يومنا هذا. . [٣٨]

وان اختراع قضية التضخيم لبعض الصحابة كان الهدف منها التغطية على الإمام على والتمويه عليه والتقليل من شأنه وشأن اتباعه من الصحابة. كذلك كان الهدف منها التغطية على آل البيت والتقليل من شأنهم واهمالهم. فما دام أفضل الأمة ابى بكر ثم عمر ثم عثمان فمعنى هذا أن الإمام على وآل البيت ليسوا بهذا القدر والمكانة التى يصورها شيعتهم. وما دام هناك من هو أفضل منهم فسوف تتجه نحوه الأمة وتعتبره مصدر التلقى والقدوة. .

وما دامت الأمة قد اتجهت نحو ابى بكر وعمر وعثمان فسوف تتجه تلقائياً نحو

---

(٣٧) انظر ترجمة سيف ابن عمر فى كتب الرجال. وانظر عبد الله بن سبأ واساطير اخرى للسيد مرتضى العسكرى ط بيروت. وعبد الله بن سبأ دراسة تاريخية سلسلة حوليات كلية الاداب جامعة الكويت. ولا تجد ذكراً لابن سبأ فى تاريخ المسعودى او الكامل لابن الأثير او الفتوح لابن الأعثم. .

(٣٨) أشهر فقهاء السنة وجامعى الأحاديث التى يتعبد بها القوم هم من الفرس مثل ابو حنيفة والغزالى والجوينى والبخارى ومسلم وابو داود والترمذى وابن ماجه والنسائى واغيرهم. .

انظر تراجم هؤلاء وغيرهم فى وفيات الأعيان لابن خلكان. وسير اعلام النبلاء للذهبى والأعلام للزركلى وانظر لنا كتاب مصر وإيران. . والأولى ان يقال فارسية التسنن

بنى أمية وخطهم الذى يعد امتداد لخط الخلفاء الثلاثة وهذا هو الهدف من وراء عملية التضخيم . . (٣٩).

ولقد وجهت السياسة الفقهاء نحو اعتبار البخارى أصح الكتب بعد كتاب الله يليه مسلم ثم ان بقية كتب السنن الأخرى محل اخذو ورد وقبول ورفض. وحسب قواعد علم الحديث وشهادة فقهاء القوم ينطبق على البخارى ومسلم حال الكتب الأخرى. وسر التركيز على هذين الكتابين يكمن فى كونهما يحويان الكثير من الروايات التى تقلل من شأن الإمام على وتحط من قدره ولا تروى شيئاً لآل البيت .

أما فكرة عدالة الصحابة فهى قمة الوهم إذ تهدف هذه الفكرة إلى إضفاء القداسة والتقوى والمثالية الفائقة على جميع الصحابة وبالتالى يدخل معاوية وشيعته فى دائرة العدالة بصفتهم من الصحابة. وقد انبنى على مفهوم العدالة مفهوم التوقف فى الصحابى وعدم الخوض فيه أو سبه أو التقليل من شأنه. وعلى أساس هذه الفكر يمكن تمرير الإسلام الأموى لكون مؤسسيه من الصحابة(٤٠).

ومسألة العدالة هذه تضفى صفة الملائكية على مجتمع الرسول(ﷺ) وهو ما لا يستقيم مع النصوص القرآنية وحتى النبوية التى تكشف وجود منافقين حول الرسول. كما لا يستقيم مع العقل أيضاً . .

وقد اعتمد فقهاء القوم على فكرة العدالة وبنوا على أساسها علم الحديث والرواية وقبلوا تجريح سلسلة رواة الحديث عدا الصحابى باعتبار أن من ثبتت صحبته ثبتت عدالته . . (٤١)

---

(٣٩) انظر فضائل الصحابة فى كتب السنن. وانظر لنا باب تضخيم الرجال فى كتاب الخدعة وتبدو الروايات التى تساند الإمام على وتدعم آل البيت فى كتب السنن الأخرى مثل النسائى ومسند احمد والترمذى والطبرانى وغيرهم. وقد شكك فقهاء القوم فى هذه الكتب وأجازوا رفض ما بها من الروايات لكونها ضعيفة أو موضوعة بينما استثنوا البخارى ومسلم من هذه القاعدة . .

(٤٠) جميع الصحابة عدول عند السنة الذى عاش عمره مع الرسول(ﷺ) وهاجر وقاتل معه والذى لم يره سوى دقيقة واحدة أو ولد فى عصره. ومن الواضح ان لهذه الفكرة دلالات سياسية . .

(٤١) انظر كتب علم الرجال عند أهل السنة مثل تدريب الراوى ومقدمة ابن الصلاح والملل ومعرفة الرجال والجرح والتعديل . .

وتأتى فكرة الترتيب الرباعى لتكشف لنا مدى تدخل السياسة وانعاكسها على الفكر السنى فهذا الترتيب لا يوجد له سند شرعى من كتاب أو سنة صحيحة والهدف منه إلزام الأمة بخط الخلفاء الذى يرتكز عليه الخط الأموي. [٤٢]

أما الإجماع فهو السند الإساسى الذى يرتكز عليه الفكر السنى لسد النقص فى الأدلة والنصوص التى تدعم مفاهيمهم وعقائدهم. فإن فكرة تضخيم الصحابة ومعاوية خاصة وفكرة العدالة وفكرة السبأية واعتبار البخارى ومسلم أصح الكتب وفكرة الترتيب الرباعي كل هذه الأفكار سندها الوحيد هو الإجماع. بالإضافة إلى أن جميع الروايات التى تقلل من شأن الإمام على وآل البيت والصحابة الذين تشيعوا لهم هى محل إجماع القوم. . [٤٣]

والفكر الشيعى لا يعتمد شيئاً من هذه الأوهام لكونه يعتبر العقل أحد مصادر التشريع بعد الكتاب والسنة وهو ان ركز على الإمام على وآل البيت ورفع من مكانتهم وشأنهم فهو لا يبتدع هذا الموقف إلا على أساس نصوص الكتاب والسنة الصحيحة لا على أساس الروايات المختلقة والإجماع الكاذب كما هو حال الفكر السني.

ان الفكر الشيعى إنما يقوم على أساس النص. بينما الفكر السنى يقوم على أساس أقوال الرجال وهذا الفرق الجوهرى بين الفكرين إنما يعكس مدى ارتباط الفكر الشيعى بالإسلام النبوى ومدى ارتباط الفكر السنى بالسياسة والحكام. .

ـ التيارات الإسلامية

تبنت التيارات الإسلامية الأطروحة السنية كما هى ودخلت بها فى صراع مع

(٤٢) انظر هذا الترتيب فى كتب العقائد .

(٤٣) هناك الكثير من الروايات التى تطعن فى الإمام على وتقلل من شأن آل البيت فى البخارى ومسلم وكتب السنن الأخرى ومن هذه الروايات رواية خطبة الإمام على بنت ابى جهل على فاطمة وغضب الرسول منه. ورواية ترك الإمام صلاة الليل ورفضه أمر الرسول له بتاديتها. ومنها رواية جهل الإمام بحكم المذي. وجميع الروايات التى تضخم من أبى بكر وعائشة وعمر وعثمان الهدف منهاضرب آل البيت والتقليل من شانهم. انظر البخارى ومسلم وكتب السنن. . وانظر لنا كتاب الخدعة. .

الواقع فكانت النتيجة أن أخفقت فى تحقيق أهدافها وإقامة الدولة الإسلامية المنشودة . .

تبنت التيارات الإسلامية أطروحة حكومية دون أن تدرى ودخلت بها فى صراع مع الحكومات فكانت النتيجة أن تخلخل بناءها الفكرى وتصدت لها المؤسسة الدينية الرسمية لتواجهها بنفس الأطروحة وتعرقل مسيرتها . .

لقد سقطت التيارات الإسلامية ضحية الإسلام الأموى بعد أن غاب عنها الإسلام النبوى وضلت عن سبيله .

والإسلام الأموى لم يعطها سوى الجمود والفرقة الشتات . .

الإسلام الأموى جعلها لقمة سائغة للحكومات وأفقدها ثقة الجماهير وعزلها عن الواقع . . ثم تلقفت التيارات الإسلامية إسلام الخوارج من السعودية فى الحقبة النفطية المعاصرة فكانت النتيجة أن ازدادت تخلفاً عن الواقع .

وتبدو لنا أزمة التيارات الإسلامية المعاصرة فى النظرية التى تتبناها فى مواجهة الواقع وصورة الدولة التى تنشد إقامتها . .

ومن خلال النظرية وصورة الدولة تبرز لنا انعكاسات الإسلام الأموى وإسلام الخوارج على هذه التيارات التى تشبعت بهذين الإسلامين والتصقت بهما .

فقد تبنت هذه التيارات عقائد ومفاهيم السلف مجملة كما تبنت نتاجات الفقهاء . .

وتبنت الروايات الواردة عن طريقهم . .

وتبنت تقديس الصحابة والسلف وعدم الخوض فيهم . .

وتبنت شكل الدولة الإسلامية السلفية . .

وتبنت فكرة الصلاة وراء كل بر وفاجر . .

وتبنت فكرة الفرقة الناجية والاستعلاء على المخالفين . .

وتبنت خط الخلفاء الثلاثة وخط الملوك من بعده..

وتبنت فكرة مساواة معاوية بالإمام علي..

وتبنت منهج التبرير والتأويل..

وتبنت اجتهادات فقهاء السلف ومواقفهم..

وتبنت فكرة الرفض لكل ما هو مخالف..

ولقد كان نتيجة تبنيها هذه الأفكار أن أصبحت هناك فجوة كبيرة بين نظريتها وبين الواقع حالت بينها وبين التفاعل معه وكسبه إلى صفها..

كان تبني التيارات الإسلامية الفكر السنى قد ادى إلى إخفاقها أمام الواقع وافتقادها القدرة على مواجهته..

فالفكر الذى يساند الحكام ويبرر جرائمهم كيف يمكن أن تبنى عليه نظرية مواجهة معهم..؟

والفكر الذى يستعلى على الواقع والجماهير كيف يمكن أن يحقق الاستقرار والتقدم للدعوة..؟

والفكر الذى يعيش على عقل الماضى كيف يمكن أن يواجه الحاضر..؟

والفكر الذى يتبنى شكل الحكم القبلى والاموى والعباسى كيف يمكن أن يتجاوب معه الواقع..؟

والفكر الذى يقوم على روايات مختلقة ومناقضة للقرآن والعقل كيف يمكن أن يتحقق له الثبات والصمود في وجه الاحداث والمتغيرات..؟

ولقد ازداد الموقف تعقيداً حين تبنت التيارات الإسلامية الأطروحة الوهابية الحنبلية التى تعد امتداداً لإسلام الخوارج بعد سقوطها فى قبضة الأخطبوط السعودي..

وازدادت حدة الأزمة الفكرية والحركية التى تعيشها هذه التيارات فى مواجهة

الواقع وليس هناك من سبيل لخروجها من هذه الأزمة إلا بالتحرر من الخط الأموى وخط الخوارج . .

وكما انعكست صورة الاسلام الأموى على التيارات الإسلامية ويبدا أثره واضحاً على تصورها ونظريتها. انعكس أيضاً إسلام الخوارج وبدت ملامحه تبرز على مواقفها ونظريتها وممارساتها ذلك الإنعكاس الذى يمكن تحديده فيما يلي:

* القشرية والسطحية فى فهم النصوص . .
* تركيزالعداء على الجماهير . .
* تكفير المخالفين . .
* تعطيل العقل . .
* انعدام الوعى بطبيعة الصراع وبالواقع . .
* الغلظة في الدعوة وتبنى العنف فى تطبيق الأحكام . .

أما القشرية والسطحية فقد كانت أهم ملامح شخصية الخوارج وهى تبدو اليوم أبرز ملامح التيارات الإسلامية وتظهر لنا من خلال تركيزهم على مسألة اللحية وتقصير الثوب وتغطية وجه المرأة ومحاربة التدخين والاهتمام بالممارسات التعبدية كالصلاة والصوم وحفظ القرآن دون الأهتمام بجوهر الإسلام . .(٤٤)

ويبدو من خلال ممارسات التيارات الإسلامية ومواقفها انها تتجه بغضبها نحو الجماهير متهمة إياها بالكفر والفسوق والتسيب ومن مظاهر هذه الممارسات الأعتداء على الشيعة والمتصوفة والنوادى والمسيحيين واحتفالات الزواج وحرق الأضرحة والاعتداء على زوارها وكذلك كان تاريخ حركة الخوارج من قبل كان يتركز فى العدوان على المسلمين الآمنين وليس على الحكام وكذلك أيضاً كان تاريخ الوهابيون فى جزيرة العرب . . .(٤٥)

(٤٤) أنظر لنا الحركة الإسلامية فى مصر . وأنظر تأريخ الحركة الوهابية . وانظر لنا كتاب فقهاء النفط وكتاب عقائد السنة وعقائد الشيعة . وكتاب فساد عقائد أهل السنة . .

(٤٥) انظر المراجع السابقة .

وتكفير المخالفين واستباحتهم سمة بارزة من سمات التيارات الإسلامية اليوم وقد كانت إحدى سمات الخوارج من قبل وهى من سمات الوهابيين اليوم. .[٤٦]

كذلك تعطيل العقل يعد من الملامح الأساسية للتيارات الإسلامية حيث ان هذه التيارات تعيش بعقل الماضي ولا تعمل العقل في الحاضر أو فى النصوص المختلقة التى تتبناها وتنادى بتطبيقها اوحتى فى الاحداث والمتغيرات التى تجرى من حولها فهى تريد أن تطبق النص كما هو دون حساب للنتائج أو المتغيرات ودون وعى بحقيقة النص ومدلوله. وكذلك كانت عقلية الخوارج. .

والتيارات الإسلامية لا تعطى اهتماماً بالسياسة أو الثقافة أو فقه الواقع وكل ما يعنيها هو تطبيق الكتاب والسنة دون ان يكون لديها الوعى بطبيعة العوائق التى تقف فى طريق هذا التطبيق وطبيعة القوى المعادية التى تتربص بها وبالإسلام. وهذه التيارات تتبنى تصوراً وهمياً مفاده أن تمسكها بالكتاب والسنة سوف ينجيها من كل شر ويحقق لها النصر على الباطل دون أن تملك أية أسباب أخرى. فالوعى عند هذه التيارات ينحصر فى دائرة النصوص ويتركز حولها. ويتضح لنا هذا الأمر من خلال محاولة هذه التيارات لتطبيق النصوص على الواقع كما هى وصدامها مع الواقع بسبب نص وهمى أو نص لا ترمى دلالاته للمعنى المقصود. وهذه إحدى ملامح شخصية الخوارج الأساسية حين رفعوا فى وجه الإمام على قوله تعالى(ان الحكم إلالله) وحكموا بكفر الإمام على أساسه لكونه حكم الرجال فى قضية التحكيم. ومثل هذا الفهم السطحى للنصوص ينطبق على التيارات الإسلامية. .

ولقد كانت الغلظة والعنف ركيزة أساسية فى دعوة الخوارج وعلى أساسها أراقوا دماء المسلمين واستباحوا أموالهم وهى سمة بارزة من سمات التيارات الإسلامية اليوم أفقدتها ثقة الجماهير بها وعزلتها عن الواقع. .

ونظرة فاحصة على التيارات الإسلامية الشيعية سوف يتبين مدى الفارق الشاسع بينها وبين التيارات الإسلامية السنية:

---

(٤٦) المراجع السابقة.

على مستوى الفكر والتصور . .

وعلى مستوى الحركة والمواجهة . .

وعلى مستوى العلاقة بالواقع والجماهير . .

ان نجاح الثورة الاسلامية فى إيران يعود لتوافر مقومات الوعى والحركة والمواجهة وفقه الواقع والارتباط بالجماهير . وهذه المقومات إنما هى نتاج خط الإمام علي وتبنى نهجه، ولو كانت هذه الثورة تتبنى نهجاً آخر ما كتب لها النجاح . . [٤٧]

ان إيجابية التيارات الإسلامية السنية وفاعليتها لن يتحققا إلا بالإلتزام بالإسلام النبوى ونهج الإمام علي ودون ذلك لن تملك الرؤية الواعية للواقع وطبيعة الصراع وسوف تظل تتخبط فى ساحة المواجهة بأطروحة هى من اختراع السياسة وتهدف إلى تخدير المسلمين وعزلهم عن الواقع .

(٤٧) انظر كيف يحمل التيار الشيعى راية المواجهة مع اليهود فى جنوب لبنان بينما التيار السنى يقف موقف المتفرج . .

خاتمة

إن إعادة قراءة التاريخ مقدمة ضرورية لتصحيح الفكر الاسلامى المعاصر الذى ورث تراكمات السياسة وصبغها بصبغة الاسلام حتى تحولت بمرور الزمن إلى مفاهيم وقواعد يتعبد بها المسلمون ويقيسون الحق والباطل على أساسها .

لقد أصبح أبو بكر وعمر وعائشة وأبو هريرة وابن عمر رموز الاسلام الكبرى التى يستمد منها صورة الاسلام ونهجه . بينما ضرب الامام على وعمار وأبو ذر وحذيفة وابن مسعود وغيرهم ممن ساروا على نهج الامام .

إن الفكر الاسلامى المعاصر لن يقوم إعوجاجه ويتحرر من أغلال الماضى إلا بطرح الرؤية الأحادية للتاريخ والتى فرضتها عليه السياسة ..

وعلى المسلمين أن يتحرروا من أغلال الحقبة النفطية المعاصرة والتى فرضت عليهم الرؤية الوهابية الحنبلية وصورتها لهم على أنها المعبر الحقيقى عن الاسلام.

عليهم أن يتحرروا من عبادة الرجال .

وعليهم أن يتحرروا من وهم قداسة الماضى .

عليهم أن يجعلوا النصوص فوق الرجال . وأن يتخذوها مقياساً ونبراساً لهم على طريق تصحيح الفكر الإسلامى وقراءة أحداث التاريخ

وأخيراً عليهم أن يدركوا حقيقة هامة وهى أن هذا التاريخ الذى بين أيدينا هو تاريخ المسلمين وليس تاريخ الاسلام .

والفرقْ كبير وشاسع بين تاريخ الاسلام وتاريخ المسلمين .

تاريخ الإسلام هو كتاب الله .

وتاريخ المسلمين مادون ذلك مما يخضع للبحث والأخذ والرد .. وعلى ضوء كتاب الله يجب أن يدرس تاريخ المسلمين .

أهم مصادر البحث

* البخاري..
* مسلم..
* كتب السنن:
* البداية والنهاية: ابن كثير
* تاريخ الطبرى : ابن جرير الطبرى..
* مروج الذهب: المسعودى..
* الطبقات: ابن سعد..
* فتح البارى شرح البخارى : ابن حجر العسقلانى..
* العقيدة الواسطية: ابن تيمية..
* الاصابة فى تميز الصحابة :ابن حجر العسقلانى..
* العواصم من القواصم : ابو بكر بن العربى..
* الخلافة والملك: ابو الاعلى المودودى..
* فتاوى ابن تيمية: ابن تيمية..
* نهج البلاغة : الامام على..
* الكامل فى التاريخ: ابن الأثير..
* شرح مسلم : النووى..
* الاحكام السلطانية: ابى يعلى..
* الخراج : ابو يوسف..

صدر للمؤلف

- الشيعة فى مصر: من الامام على حتى الامام الخمينى..
- عقائد السنة وعقائد الشيعة: التقارب والتباعد..
- مصر وايران: صراع الأمن والسياسة..
- الحركة الاسلامية فى مصر: الواقع والتحديات..
- فقهاء النفط: راية الاسلام ام راية آل سعود..
- الخدعة: حقيقة الاسلام بين النص والسياسة..
- حركة آل البيت..
- فساد عقائد أهل السنة..
- مذكرات معتقل سياسي: ثلاث سنوات تحت التعذيب.

وتحت الطبع :

- زواج المتعة حلال ..
- فقه الهزيمة: دراسة فى أصول الفكر السلفى..
- أحاديث نبوية اخترعتها السياسة..
- السلفيون والشيعة..
- العقل المسلم بين أغلال السلف وأوهام الخلف..
- الازهر والحكام..
- مصارع الحكام فى تاريخ الاسلام..
- جريمة الرأى فى التاريخ الاسلامى..

فهرس الكتاب

الصفحة

هذا الكتاب

برز بعد وفاة الرسول (ﷺ)خطان :

خط سار فى طريق القبلية وتمثل فى ابى بكر وعمر وعثمان ثم معاوية وهو مافرخ فى النهاية نهج أهل السنة والجماعه ...

وخط سار فى طريق آل البيت بقيادة الإمام على وأولاده من بعده وهو ماتولد منه نهج الشيعة ...

وهذا الكتاب يعرض للجذور التاريخيه لكلا الخطين بداية من وفاة الرسول (ﷺ)وحتى سيادة الخط الاموى . ومدى انعكاسات هذا الخط على واقع المسلمين وعلى الفكر الأسلامى عامة ...

وعلى فكرة الدولة والتيارات الإسلاميه خاصة .. وما يهدف إليه الكاتب هو توكيد حقيقة هامة وهى أن فقه حركه التاريخ مقدمة ضرورية لفقه الأسلام وأن فقه الماضى مقدمة لفقه الحاضر ...

الناشر